

كِتَابُ  
الْأَدَبِ  
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

UTL AT DOWNSVIEW



D RANGE BAY SHLF POS ITEM C  
39 11 21 06 04 021 3

BJ  
1291  
M38  
1882

al-Mawardī, 'Alī ibn Muḥammad  
Kitāb adab al-dunyā wa-al-  
dīn

PLEASE DO NOT REMOVE  
CARDS OR SLIPS FROM THIS POCKET

---

UNIVERSITY OF TORONTO LIBRARY

---

760























# كِتَابُ أَدَبِ

## الدُّنْيَا وَالْدِّينِ

*Kitāb adab al-dunya wa-al-din*

### تَأَلَّفَ

﴿ العالم العلامة \* الجبر الفهامة \* الامام الكبير \* المحقق ﴾

﴿ الشهير \* اقضى القضاة ابى الحسن على بن محمد بن ﴾

﴿ حبيب البصرى الماوردى ﴾

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

---

﴿ الطبعة الاولى ﴾

---

﴿ طبع فى مطبعة الجوائب ﴾

﴿ قسطنطينية ﴾

سنة

١٢٩٩

BJ  
1291  
M38  
1882



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ قال القاضي ابو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى ﴾

﴿ رحمه الله تعالى ﴾

الحمد لله ذى الطول والآلاء \* وصلى الله على سيدنا محمد خاتم الرسل والانباء \*  
وعلى آله واصحابه الاتقياء \* اما بعد فان شرف المطلوب بشرف نتاجه وعظم  
خطره بكثرة منافعه وبحسب منافعه تجب العناية به وعلى قدر العناية به يكون  
اجتناء ثمرته واعظم الامور خطرا وقدرها واعمها نفعها ورفدا ما استقام به الدين  
والدنيا وانتظم به صلاح الآخرة والاولى لان باستقامة الدين تصح العبادة \*  
وبصلاح الدنيا تتم السعادة \* وقد توخيت بهذا الكتاب الاشارة الى آدابها \*  
وتفصيل ما اجل من احوالهما \* على اعدل الامر من اجاز وبسط اجمع  
فيه بين تحقيق الفقهاء \* وترقيق الادياء \* فلا ينبو عن فهم \* ولا يدق في  
وهم \* مستشهدا من كتاب الله جل اسمه بما يقتضيه \* ومن سنن رسول الله  
صلوات الله عليه بما يضاويه \* ثم متبعا ذلك بامثال الحكماء \* وآداب البلغاء \*  
واقوال الشعراء \* لان القلوب تتراح الى الفنون المختلفة وتسام من الفن الواحد

وقد قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ان التلويح مثل كمثل الابدان فأهدوا اليها طرائف الحكمة فكان هذا الاسلوب \* يجب التنقل في المطلوب \* من مكان الى مكان وكان المؤمن رحمه الله تعالى ينتقل كثيرا في داره من مكان الى مكان وينشد قول ابي العتاهية رحمه الله

\* لا يصلح النفس اذ كانت مدبرة \* الا التنقل من حال الى حال \*  
 وجعلت ما تضمنه هذا الكتاب خمسة ابواب ﴿ الباب الاول ﴾ في فضل العقل ودم الهوى ﴿ الباب الثاني ﴾ في ادب العلم ﴿ الباب الثالث ﴾ في ادب الدين ﴿ الباب الرابع ﴾ في ادب الدنيا ﴿ الباب الخامس ﴾ في ادب النفس وانما استمد من الله تعالى حسن معاونته \* واستودعه حفاظ موهبته \* بحوله ومشيئته \* وهو حسي من معين وحفيظ

﴿ باب فضل العقل ودم الهوى ﴾

اعلم ان لكل فضيلة <sup>بيده</sup> أسسا ولكل ادب ينبوعا واس الفضائل وينبوع الآداب هو العقل الذي جعله الله تعالى للدين اصلا وللدنيا عمادا فلو وجب الدين بكماله وجعل الدنيا مدبرة باحكامه والفرق بين خلقه مع اختلاف همهم وما ربههم \* وتبين اغراضهم ومقاصدهم \* وجعل ما تعبدتهم به قسامين قسما وجب بالعقل فوكده الشرع وقسما جاز في العقل فأوجبه الشرع فكان العقل لهما عمادا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما اكتسب المرء مثل عقل يهدي صاحبه الى هدى \* او يرده عن ردى \* وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شيء عمل دعامة ودعامة عمل المرء عقله فيقدر عقله تكون عبادته لربه أما سمعتم قول الفجار لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه اصل الرجل عقله وحسبه دينه ومروته خلقه وقال الحسن البصري رحمه الله ما استودع الله احدا عقلا الا استنقذه به يوما ما وقال بعض الحكماء العقل افضل مرجو \* والجهل انكى عدو \* وقال بعض الابداء صديق كل امرء عقله \* وعدوه جهله \* وقال بعض البلغاء خير

المواهب العقل \* وشر المصائب الجهل \* وقال بعض الشعراء وهو ابراهيم  
ابن حسان

- \* يزين الفتى في الناس صحة عقله \* وان كان محظورا عليه مكاسبه \*
- \* يشين الفتى في الناس قلة عقله \* وان كرمت اعراقه ومناسبه \*
- \* يعيش الفتى بالعقل في الناس انه \* على العقل يجري علمه وتجاربه \*
- \* وافضل قسم الله للمرء عقله \* فليس من الاشياء شئ يقاربه \*
- \* اذا اكل الرحمن للمرء عقله \* فقد كملت اخلاقه وما ربه \*

واعلم ان بالعقل تعرف حقائق الامور ويفصل بين الحسنات والسيئات وقد ينقسم  
قسمين غريزي ومكتسب فالغريزي هو العقل الحقيقي وله حد يتعلق به التكليف  
لا يجاوزه الى زيادة ولا يقصر عنه، الى نقصان وبه يمتاز الانسان عن سائر  
الحيوان فاذا تم في الانسان سمى عاقلا وخرج به الى حد الكمال كما قال صالح  
ابن عبد القدوس

- \* اذا تم عقل المرء تمت اموره \* وتمت امانيه وتم بناؤه \*
- وروى الضحاك في قوله تعالى لينذر من كان حيا اي من كان عاقلا واختلف  
الناس فيه وفي صفة على مذاهب شتى فقال قوم هو جوهر لطيف يفصل به  
بين حقائق المعلومات ومن قال بهذا القول اختلفوا في محله فقالت طائفة منهم  
محله الدماغ لان الدماغ محل الحس وقالت طائفة اخرى منهم محله القلب لان  
القلب معدن الحياة ومادة الحواس وهذا القول في العقل بانه جوهر لطيف  
فاسد من وجهين ❖ احدهما ❖ ان الجواهر متماثلة فلا يصح ان يوجب بعضها  
ما لا يوجب سائرها ولو اوجب سائرها ما يوجب بعضها لاستغنى العاقل  
بوجود نفسه عن وجود عقله ❖ والثاني ❖ ان الجوهر يصح قيامه بذاته  
فلو كان العقل جوهرًا لجاز ان يكون عقل بغير عاقل كما جاز ان يكون جسم  
بغير عقل فامتنع بهذين ان يكون العقل جوهرًا وقال آخرون العقل هو المدرك  
للاشياء على ما هي عليه من حقائق المعنى وهذا القول وان كان اقرب مما قبله



فبعيد من الصواب من وجه واحد وهو انه الادراك من صفات الحى والعقل  
 عرض يستحيل ذلك منه كما يستحيل ان يكون مثلذا او آسا او مشتها وقال  
 آخرون من المتكلمين العقل هو جملة علوم ضرورية وهذا الحد غير محصور  
 لما تضمنه من الاجمال \* ويتأوله من الاحتمال \* والحدانما هو بيان المحدود  
 بما يتنى عنه الاجمال والاحتمال وقال آخرون وهو القول الصحيح ان العقل  
 هو العلم بالمدركات الضرورية وذلك نوعان احدهما ما وقع عن درك  
 الحواس والثانى ما كان مبتدئا فى النفوس فاما ما كان واقعا عن درك  
 الحواس فمثل المرئيات المدركة بالنظر والاصوات المدركة بالسمع والطعوم المدركة  
 بالذوق والروائح المدركة بالشم والاجسام المدركة باللمس فاذا كان الانسان  
 ممن لو ادرك بحواسه هذه الاشياء ثبت له هذا النوع من العلم لان خروجه  
 فى حال تغميض عينيه من ان يدرك بهما ويعلم لا يخرجـ من ان يكون كامل  
 العقل من حيث علم من حاله انه لو ادرك لعلم واما ما كان مبتدئا فى النفوس فكالعلم  
 بان الشيء لا يخلو من وجود او عدم وان الموجود لا يخلو من حدوث او قدم  
 وان من المحال اجتماع الضدين وان الواحد اقل من الاثنين وهذا النوع من  
 العلم لا يجوز ان يتنى عن العاقل مع سلامة حاله وكال عقله فاذا صار عالما  
 بالمدركات الضرورية من هذين النوعين فهو كامل العقل وسمى بذلك تشبيها  
 بعقل الناقة لان العقل يمنع الانسان من الاقدام على شهواته اذا قبحت كما يمنع  
 العقل الناقة من الشرود اذا نفرت ولذلك قال عامر بن قيس اذا عقلك عقلك  
 عما لا ينبغى فانت عاقل وقد جاءت السنة بما يؤيد هذا القول فى العمل وهو ما  
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العقل نور فى القلب يفرق بين الحق  
 والباطل وكل من نفى ان يكون العقل جوهر ا ثبت محله فى القلب لان القلب محل  
 العلوم كلها قال الله تعالى أفلم يسيروا فى الارض فتكون لهم قلوب يعقلون  
 بها فذلت هذه الآية على امرين احدهما ان العقل علم والثانى ان محله القلب  
 وفى قوله تعالى يعقلون بها تأويلان احدهما يعلمون بها والثانى يعبرون بها

فهذه جملة القول في العقل الغريزي واما العقل المكتسب فهو نتيجة العقل الغريزي وهو نهاية المعرفة وصحة السياسة واصابة الفكرة وليس لهذا حد لانه يبنى ان استعماله وينقص ان اهل ولا يماؤه يكون باحد وجهين اما بكثرة الاستعمال اذا لم يعارضه مانع من هوى ولا صاد عن شهوة كالذى يحصل لذوى الاسنان من الحنكة وصحة الروية بكثرة التجارب وممارسة الامور ولذلك حدثت العرب آراء الشيوخ حتى قال بعضهم المشايخ اشجار الوقار \* ومناجع الاخبار \* لا يطيش لهم سهم \* ولا يستط لهم وهم \* ان رأوك في قببح صدوك \* وان ابصروك على جبل امدوك \* وقيل عليكم بأراء الشيوخ فانهم ان فقدوا ذكاء الطبع فقد مرت على عيونهم وجوه العبر \* وتصدت لاسماعهم آثار الغير \* وقيل في منشور الحكم من طال عمره نقصت قوة بدنه وزادت قوة عقله وقيل فيه لا تدع الايام جاهلا الا ادبته وقال بعض الحكماء كفى بالتجارب تأدبا وبقلب الايام عظة وقال بعض البلغاء التجربة مرآة العقل \* والغرة ثمرة الجهل \* وقال بعض الابداء كفى مخبرا عما بقى ما مضى وكنى عبرا لاولى الالباب ما جربوا وقال بعض الشعراء

\* ألم تر ان العقل زين لاهله \* ولكن تمام العقل طول التجارب \*

❖ وقال آخر ❖

\* اذا طال عمر المرء في غير آفة \* افانت له الايام في كرها عقلا \*

واما الوجه الثانى فقد يكون بفرط الذكاء وحسن الفطنة وذلك جودة الحدس فى زمان غير مهمل للحدس فاذا امتزج بالعقل الغريزي صارت نتيجتهما نمو العقل المكتسب كالذى يكون فى الاحداث من وفور العقل وجودة الرأى حتى قال هرم بن قطبة حين تنافر اليه عامر بن الطفيل وعلامة بن علاثة عليكم بالحديث السن \* الحديد الذهن \* ولعل هرما اراد ان يدفعهما عن نفسه فاعتذر بما قال لكن لم ينكرا قوله اذا نال الحق فصارا الى ابى جهل لحدائثة سنه \* وحدة ذهنه \* فابى ان يحكم بينهما فرجعا الى هرم فحكم بينهما وفيه قال لبيد

\* يا هرم ابن الاكرمين منصبا \* انك قد اوتيت حكما معجبا \*

وقد قالت العرب عليكم بمشاورة الشباب فانهم ينتجون رأيا لم ينله طول القدم \*  
ولا استولت عليه رطوبة الهرم \* وقد قال الشاعر

\* رأيت العقل لم يكن انتهابا \* ولم يقسم على عدد السنينا \*  
\* ولو ان السنين تقاسمته \* حوى الاباء انصبه البنينا \*

وحكى الاصمعي رحمه الله قال قلت لغلام حدث من اولاد العرب كان يحدثني فامتنعني بفصاحة وملاحة أيسرك ان يكون لك مائة الف درهم وانت احق قال لا والله قال فقلت ولم قال اخاف ان يجنى على حقي جناية تذهب بمالي ويبقى علي حقي فانظر الى هذا الصبي كيف استخرج بفرط ذكائه واستنبط بجودة قريحته ما لعله يدق على من هو اكبر منه سنا واكثر تجربة واحسن من هذا الذكاء والفتنة ما حكي ابن قتيبة ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بصبيان يلعبون وفيهم عبد الله بن الزبير فهرّبوا منه الا عبد الله فقال له عمر رضى الله عنه ما لك لم لا تهرب مع اصحابك فقال يا امير المؤمنين لم اكن على رية فاخافك ولم يكن الطريق ضيقا فافوسع لك فانظر ما تضمنه هذا الجواب من الفتنة وقوة المنة وحسن البديهة وكيف نفى عنه اللوم واثبت له الحجة فليس للذكاء غاية \*  
ولا لجودة القريحة نهايه \* وحكى ان سليمان بن عبد الملك امر الفرزدق بضرب اعناق اسارى من الروم فاستعفاه الفرزدق فلم يفعل واعطاه سيفا لا يقطع شيئا فقال الفرزدق بل اضربهم بسيف ابى رغو ان مجاشع يعنى نفسه فقام فضرب به عنق رومي منهم فنبأ السيف عنه فضحك سليمان ومن حوله فقال الفرزدق

\* أوجب الناس ان اضحكت سيدهم \* خليفة الله يستسقى به المطر \*  
\* لم ينب سيفي من رعب ولا دهش \* عن الاسير ولكن آخر القدر \*  
\* ولئن يقدم نفسا قبل ميتتها \* جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر \*  
ثم غمد سيفه وهو يقول

\* ما ان يعاب سيد اذا صبا \* ولا يعاب صارم اذا نبا \*  
\* ولا يعاب شاعر اذا كبا \*

ثم جلس وهو يقول كأنى بآبن القين قد هجاني فقال

\* بسيف ابى رغوان سيف مجاشع \* ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم \*  
ثم قام فانصرف وحضر جرير وخبر بالخبر ولم ينشده الشعر فانشأ يقول

\* بسيف ابى رغوان سيف مجاشع \* ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم \*  
ثم قال يا امير المؤمنين كانى بآبن المراغة وقد اجابنى فقال

\* ولا تقتل الاسرى ولكن نفكهم \* اذا ثقل الاعناق حمل المغارم \*  
فاستحسن سليمان حدس الفرزدق على جرير ثم اخبر الفرزدق بشعر جرير ولم  
ينبئه بمحدثه فقال الفرزدق

\* كذاك سيوف الهند تذبوظباتها \* وتقطع احسانا مناط التمام \*  
\* ولن تقتل الاسرى ولكن نفكهم \* اذا اثقل الاعناق حمل المغارم \*  
\* وهل ضربة الرومى جاعلة لكم \* ابا عن كليب او اخا مثل دارم \*

فشاع حديث الفرزدق بهذا حتى حكى ان المهدي اتى باسرى من الروم فامر  
بقتلهم وكان عنده شيب بن شيمة فقال له اضرب عنق هذا العلي فقال يا امير  
قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فعير به قوم الى اليوم فقال انما اردت تشريفك  
وقد اعفيتك وكان ابو الهول الشاعر حاضرا فقال

\* جزعت من الرومى وهو مقيد \* فكيف ولو لاقيته وهو مطلق \*  
\* دعاك امير المؤمنين لقتله \* فكاد شيب عند ذلك يفرق \*  
\* تمنح شيبا عن قراع كتيبة \* وأذن شيبا من كلام يلفق \*

وليس العجب من كلام الفرزدق ان صح من جودة القريحتين ولكن  
من اتساق الخاطرين ولئيل ذلك قالت الحكماء آية العقل سرعة  
الفهم \* وغايته اصابة الوهم \* وليس لمن منح جودة القريحة وسرعة  
الخاطر عجز عن جواب وان اعضل كما قيل لعلى رضى الله عنه كيف يحسب الله  
العباد على كثرة عددهم قال كما يرزقهم على كثرة عددهم وقيل لعبد الله بن  
عباس اين تذهب الارواح اذا فارقت الاجساد قال اين تذهب نار المصابيح

عند فناء الأدهان وهذان الجوابان جوابا اسكت تضمننا دليل اذعان وحجتي قهر  
ومن غير هذا الفن وان كان مسكتا ما حكى عن ابلوس لعنه الله انه حين ظهر لعيسى  
ابن مريم عليه السلام فقال ألسنت تقول انه لن يصيبك الا ما كتبه الله عليك قال  
نعم قال فارم نفسك من ذروة هذا الجبل فانه ان يقدر لك السلامة تسلم فقال له  
يا ملعون ان لله ان يختبر عباده وليس للعبد ان يختبر ربه وئمل هذا الجواب لا يستغرب  
من انبياء الله تعالى الذين امدهم بوحيه وايدهم بنصره وانما يستغرب ممن يلجأ الى  
خاطره ويعول على بديهته وروى قثم بن العباس رضى الله عنهما قال قيل لعلى  
ابن ابي طالب رضى الله عنه كم بين السماء والارض قال دعوة مستجابة قيل فكيف بين  
المشرق والمغرب قال مسيرة يوم للشمس فكان هذا السؤال من سألته اما اختبارا  
واما استبصارا فصدر عنه من الجواب ما اسكت فاما اذا اجتمع هذان الوجهان  
في العقل المكتسب وهو ما ينيه فرط الذكاء بجودة الحس وصحة القرينة بحسن  
البدية مع ما ينيه الاستعمال بطول التجارب ومرور الزمان بكثرة الاختبار  
فهو العقل الكامل على الاطلاق في الرجل الفاضل الاستحقاق روى انس بن  
مالك رضى الله عنه قال اثنى على رجل عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بخير  
فقال كيف عقله قالوا يا رسول الله ان من عبادته ان من خلقه ان من فضله ان  
من ادبه فقال كيف عقله قالوا يا رسول الله ثنى عليه بالعبادة واصناف الخير  
وتسألنا عن عقله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الاجق العابد يصيب  
بجهله اعظم من فجور الفاجر وانما يقرب الناس من ربهم بالزلف على قدر عقولهم  
واختلف الناس في العقل المكتسب اذا تناهى وزاد هل يكون فضيلة ام لا فقال قوم  
لا يكون فضيلة لان الفضائل هيأت متوسطة بين فضيلتين ناقصتين كما ان الخير  
توسط بين رذيلتين لما جاوز التوسط خرج عن حد الفضيلة وقد قالت الحكماء  
للاسكندر ايها الملك عليك بالاعتدال في كل الامور فان الزيادة عيب والنقصان  
عجز هذا مع ما وردت به السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال خير  
الامور اوساطها وقال على بن ابي طالب رضى الله عنه خير الامور النمط الاوسط  
اليه يرجع العالى ومنه يلحق التالى وقال الشاعر لا تذهبن في الامور فرطاً \*  
لا تسألن ان سألته شططاً \* وكن من الناس جميعاً وسطاً \* قالوا لان زيادة العقل

تغضى بصاحبها الى الدهاء والمكر وذلك مذموم وصاحبه ملوم وقد امر عمر  
ابن الخطاب رضى الله عنه ابا موسى الاشعري ان يعزل زيارا عن ولايته فقال زيار  
يا امير المؤمنين اعدن موجدة او خيانة فقال لا عن واحدة منهما ولكن خفت ان اجمل  
على الناس فضل عقلك ولاجل هذا المحكي عن عمر ما قيل قديما افراط  
العقل مضر بالجسد وقال بعض الحكماء كفاك من عقلك ما ذلك على سبيل  
رشدك وقال بعض البلغاء قليل يكفي خيرا من كثير يطغى وقال آخرون وهو  
اصح القولين زيادة العقل فضيلة لان لکنسب غير محدود وانما تكون زيادة الفضائل  
المحمودة نقصا مذموما لان ما جاوز الحد لا يسمى فضيلة كالشجاع اذا زاد على  
حد الشجاعة نسب الى التهور والسخى اذا زاد على حد السخاء نسب الى التبذير  
وليس كذلك حال العقل المكتسب لان الزيادة فيه زيادة علم بالامور وحسن  
اصابة بالظنون ومعرفة ما لم يكن الى ما يكون وذلك فضيلة لا نقص وقد روى  
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس اعقل الناس وروى عنه صلى  
الله عليه وسلم انه قال العقل حيث كان مألوف وقد قيل في تأويل قوله تعالى قل  
كل يعمل على شاكلته اى بحسب عقله وقال القاسم بن محمد كانت العرب تقول  
من لم يكن عقله اغلب خصال الخير عليه كان حظه في اغلب خصال الخير عليه  
وقيل في مشور الحكم كل شئ اذا اكثر رخص الا العقل فانه اذا اكثر غلا وقال  
بعض البلغاء ان العاقل من عقله في ارشاد \* ومن رأيه في امداد \* فقوله  
سديد \* وفعله حميد \* والجاهل من جهله في اغواء \* ومن هواه في اغراء  
\* فقوله سقيم \* وفعله ذميم \* وانشدني ابن لذك لايم  
\* من لم يكن اكثره عقله \* اهلكه اكثر ما فيه \*

فاما الدهاء والمكر فهو مذموم لان صاحبه صرف فضل عقله الى الشر ولو  
صرفه الى الخير لكان محمودا وقد ذكر المغيرة بن شعبة عمر بن الخطاب فقال  
كان والله افضل من ان يخدع واعقل من ان يخدع وقال عمر لست بالخب  
ولا يخدعنى الخب و اختلف الناس فيمن صرف فضل عقله الى الشر كزياد  
واشباهه من الدهاة هل يسمى الداهية منهم عاقلا ام لا فقال بعضهم اسميه  
عاقلا لوجود العقل منه وقال آخرون لا اسميه عاقلا حتى يكون خيرا دينا لان

الخير و الدين من موجبات العقل فاما الشرير فلا اسميه عاقلا و اما اسميه صاحب روية و فكر و قد قيل العاقل من عقل عن الله امره و نهيه حتى قال اصحاب الشافعي رضى الله عنه فيمن اوصى بثلاث ماله ليعقل الناس انه يكون معسروفا في الزهاد لانهم انقادوا للعقل و لم يغتروا بالامل و روى لقمان بن ابي عامر عن ابي الدرداء ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال يا عويمر ازدد عقلا تزدد من ربك قريبا قلت يا ابي انت و امي و من لى بالعقل قال اجتنب محارم الله و اد فرائض الله تكن عاقلا ثم تنفل بصالحات الاعمال تزدد في الدنيا عقلا و تزدد من ربك قريبا و به عزا و انشدني بعض اهل الادب هذه الايات و ذكر انها لعلى بن ابي طالب رضى الله عنه

\* ان المكارم اخلاق مطهرة \* فالعقل اولها و الدين ثانيها \*  
 \* و العلم ثالثها و الحلم رابعها \* و الجود خامسها و العرف سادسها \*  
 \* و البر سابعها و الصبر ثامنها \* و الشكر تاسعها و اللين عاشيها \*  
 \* و النفس تعلم انى لا اصدقها \* و لست ارشد الا حين اعصها \*  
 \* و العين تعلم في عيني محدثها \* من كان من حزبها او من اعادها \*  
 \* عينك قد دلتنا عيني منك على \* اشياء لولاها ما كنت تبديها \*

و اعلم ان العقل المكتسب لا ينفك عن العقل الغريزي لانه نتيجة منه و قد ينفك العقل الغريزي عن العقل المكتسب فيكون صاحبه مسلوب الفضائل \* موفور الرذائل \* كالانوك الذى لا يجده فضيله \* و الاحق الذى قل ما يملو من رذيله \* و قد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال الاحق كالفخار لا يرقع ولا يشعب و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال الاحق ابغض خلق الله اليه \* اذ حرمه اعز الاشياء عليه \* و قال بعض الحكماء الحاجة الى العقل اقبح من الحاجة الى المال و قال بعض البلغاء دولة الجاهل عبرة العاقل و قال انوشروان لبرزجهر اى الاشياء خير للمرء قال عقل يعيش به قال فان لم يكن قال فاخوان يسترون بعينه قال فان لم يكن قال فقال يجب به الى الناس قال فان لم يكن قال فعي صامت قال فان لم يكن قال فموت جارف و قال سابور بن ازدشير العقل نوعان احدهما مطبوع \* و الآخر

مسموع ولا يصلح واحد منهما الا بصاحبه فاخذ ذلك بعض الشعراء فقال  
 \* رأيت العقل نوعين \* مسموع ومطبوع \*  
 \* ولا ينفع مسموع \* اذا لم يك مطبوع \*  
 \* كما لا تنفع الشمس \* وضوء العين ممنوع \*  
 وقد وصف بعض الادباء العاقل بما فيه من الفضائل \* والاحق بما فيه من  
 الرذائل \* فقال العاقل اذا والى بذل في المودة نصيره \* واذا عانى رفع عن  
 الظلم قدره \* فيسعد مواليه بعقله \* ويعتصم معاديه بعقله \* ان احسن  
 الى احد ترك المطالبة بالشكر \* وان اساء اليه مسمى سبب له اسباب  
 العذر \* او منحه الصفع والعفو والاحق ضال مضل ان اونس تـكـكـر \*  
 وان او حش تكدر \* وان استنطق تخلف \* وان ترك تكلف \* بحالته  
 مهينه \* ومعاتبته محنه \* ومحاورته تعر \* وموالاته تضر \* ومقاربه عمى  
 ومقارنته شقا وكانت ملوك الفرس اذا غضبت على عاقل حبسته مع جاهل والاحق  
 يسيء الى غيره ويظن انه قد احسن اليه فيطالبه بالشكر \* ويحسن اليه  
 فيظن انه قد اساء فيطالبه بالوتر \* فساوى الاحق لا تنقضى وعيوبه لا تنهاى  
 ولا يقف النظر منها الى غاية الا لوحت ما وراءها مما هو ادنى منها واردى  
 وامر وادهى فما اكثر العبر لمن نظر \* وانفعها لمن اعتبر \* وقال الاحنف  
 ابن قيس من كل شيء يحفظ الاحق الامن نفسه وقال بعض البلغاء ان الدنيا  
 ربما اقبلت على الجاهل بالاتفاق \* وادبرت عن العاقل بالاستحقاق \* فان  
 اتك منها سهمة مع جهل \* او فاتك منها بغيه مع عقل \* فلا يحملك ذلك  
 على الرغبة في الجهل \* والزهد في العقل \* فدولة الجاهل من الممكنات \*  
 ودولة العاقل من الواجبات \* وليس من امكنه شيء من ذاته \* تكن استوجبه  
 بآلته وادواته \* وبعد فدولة الجاهل ككـالـغـرـيب الذي يحن الى النقلة \*  
 ودولة العاقل كالنسيب الذي يحن الى الوصله \* فلا يفرح المرء بحالة جليلة  
 نالها بغير عقل \* ومترلة رفيعة حلها بغير فضل \* فان الجهل ينزله منها \* ويزيله  
 عنها \* ويحطه الى رتبته \* ويرده الى قيمته \* بعد ان تظهر عيوبه \* وتكثر  
 ذنوبه \* ويصير مادحه هاجيا \* ووليه معاديا \* واعلم ❁ انه



بحسب ما ينشر من فضائل العاقل \* كذلك يظهر من رذائل الجاهل \*  
 حتى يصير مثلاً في الغابرين \* وحديثاً في الآخرين \* مع هتكه في عصره \*  
 وقبح ذكره في دهره \* كالذي رواه عطاء عن جابر قال كان في بني  
 إسرائيل رجل له حمار فقال يارب لو كان لك حمار لعلفته مع حماري فهم به نبي  
 من انبياء الله فلوحي الله اليه انما ائيب كل انسان على قدر عقله واستعمل معاوية  
 رجلاً من كلب فذكر المجوس يوماً عنده فقال لعن الله المجوس ينكحون امهاتهم  
 والله لو اعطيت عشرة آلاف درهم ما نكحت امي فبلغ ذلك معاوية فقال  
 قبحه الله أتروني لو زادوه فعل وعزله وولى الربيع العامري وكان من النوى  
 سائر اليمامة فاقاد كلباً بكلب فقال فيه الشاعر

\* شهدت بان الله حقاً لقاءه \* ولئن الربيع العامري رقيق \*  
 \* افاد لنا كلباً بكلب ولم يدع \* بقاء كلاب المسلمين تضيع \*  
 وليس معار الجهل غايه \* ولا لمضار والحق نهايه \* قال الشاعر  
 \* لكل داء دواء يستطب \* فان الجماعة اعيت من دوايها \*

❖ فصل ❖ واما الهوى فهو عن امت صايد \* وللعقل مضار \* لانه يتبع  
 من الاخلاق قبائحها \* ويظهر من الافعال فضائحها \* ويجعل ستر المروءة  
 مهتوكا \* ومدخل الشر مسلوكا \* قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما  
 الهوى اله يعبد من دون الله ثم تلا أفرأيت من اتخذ الهه هواه وقال  
 عكرمة في قوله تعالى ولكنكم فتمم انفسكم بكم يعني بالشهوات وتربصتم  
 يعني بالتوبة واربتتم يعني في امر الله وغرة بكم الاماني يعني بالتسويق  
 حتى جاء امر الله يعني الموت وغرركم بالله بغرور يعني الشيطان وروى  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال طاعة الشياطين داء \* وعصيانها دواء \*  
 وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقدعوا هذه النفوس عن شهواتها  
 فانها طاعة تنزع الى شر غاية ان هذا الحق ثقيل مري وان الباطل  
 خفيف وبني وترك الخبيثة خير من معالجة التوبة ورب نظرة زرعت شهوة  
 وشهوة ساعة اورثت حزناً طويلاً وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه  
 اخاف عليكم اثنين اتباع الهوى وطول الامل فان اتباع الهوى يصد عن الحق

وطول الامل ينمى الآخرة وقال الشعبي انما سمى الهوى هوى لانه يهوى بصاحبه  
 وقال اعرابي الهوى هوان ولكن غلط باسمه فاخذته الشاعر وقال <sup>هذه حقا من</sup>  
 \* ان الهوان هو الهوى قلب اسمه \* فاذا هويت فتد ليمت هوانا \*  
 وقيل في مشور الحكمم من اطاع هواه \* اعطى عدوه مناه \* وقال بعض الحكماء  
 العقل صديق مقطوع \* والهوى عدو متبوع \* وقال بعض البغاة افضل  
 الناس من عصى هواه \* وافضل منه من رفض دنياه \* وقال هشام بن عبد الملك  
 ابن مروان

\* اذا انت لم تعص الهوى فانك الهوى \* الى كل ما فيه عليك مقال \*  
 قال ابن المعتز رحمه الله لم يقل هشام بن عبد الملك سوى هذا البيت وقال الشاعر  
 \* اذا ما رأيت المرء يعتاده الهوى \* فقد شكنته عند ذاك ثواكبه \*  
 \* وقد اشمت الاعداء جهلا بنفسه \* وقد وجدت فيه مقالا عواذله \*  
 \* وما يردع النفس الموجع عن الهوى <sup>الذي</sup> من الناس الا حازم الراى كامله \*  
 فلما كان الهوى غالبا والى سبيل <sup>الذي</sup> لهالك موردا جعل العقل عليه رقيباً  
 مجاهدا يلاحظ عثرة غفلته \* ويستع بادرة <sup>سأو</sup> سيظوته \* ويدفع خداع  
 حيلته \* لان سلطان الهوى قوى \* ومدخل <sup>سيرة</sup> مكره خفي \* ومن  
 هذين الوجهين يؤتى العاقل حتى تنفذ احكام الهوى عليه اعنى باحد الوجهين  
 قوة سلطانه وبالاخر خفاء مكره فاما الوجه الاول فهو ان يقوى سلطان  
 الهوى بكثرة دواعيه حتى <sup>تولى</sup> تولى عليه مغالبة الشهوات فيكل العقل عن  
 دفعها \* ويضعف عن <sup>منه</sup> منها \* مع وضوح قبورها في العقل المتهور بها  
 وهذا يكون في الاحداث اكثر وعلى الشباب اغلب لقوة شهواتهم وكثرة دواعي  
 الهوى المتسلط عليهم وايزيم ربما جعلوا الشباب عذرا لهم كما قال محمد بن بشير  
 \* كل يرى ان الشباب له \* في كل مبلغ لذة عذرا \*  
 ولذلك قال بعض الحكماء الهوى ملك غشوم \* ومتسلط ظلوم \* وقال  
 بعض الادباء الهوى عسوف \* والعدل مألوف \* وقال بعض الشعراء  
 \* يا عاقلا اردى الهوى عقله \* مالك قد سدت عليك الامور \*  
 \* أ تجعل العقل اسير الهوى \* وانما العقل عليه امير \*

وحسم ذلك ان يستعين بالعقل على النفس النفورة فيشعرها ما في عواقب  
 الهوى من شدة الضرر \* وقبح الاثر \* وكثرة الاجرام \* وتراكم الآثام \* فقد قال  
 النبي صلى الله عليه وسلم حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات اخبر  
 ان الطريق الى الجنة احتمال المكاره والطريق الى النار اتباع الشهوات اخبر  
 قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه اياكم وتحكميم الشهوات على انفسكم  
 فان عاجلها ذميم \* وآجلها وخيم \* فان لم ترها تنقاد بالتحذير والارهاب \*  
 فسوفها بالتأميل والارباب \* فان الرغبة والرغبة اذا اجتمعا على النفس ذلت لهما  
 وانقادت وقد قال ابن السماك كن لهواك مسوفا \* واعقلك مسعفا \*  
 وانظر الى ما تسوء عاقبه فوطن نفسك على مجابته فان ترك النفس وما تهوى  
 داؤها \* وترك ما تهوى دواؤها \* فاصبر على الدواء \* كما تخاف من الداء \* وقال

الشاعر

\* صبرت على الايام حتى تولت \* والزمت نفسي صبرها فاستمرت \*  
 \* وما النفس الا حيث يجعلها الفتى \* فان طمعت تافت والانسلت \*  
 فاذا انقادت النفس للعقل بما قد اشعرت من عواقب الهوى لم يلبث الهوى  
 ان يصير بالعقل مدحورا \* وبالنفس مقهورا \* ثم له الخنث الاوفى في ثواب  
 الخالق وثناء المخلوقين قال الله تعالى واما من خاف مقام ربه ونهى النفس  
 عن الهوى فان الجنة هي المأوى وقال الحسن البصرى افضل الجهاد جهاد  
 الهوى وقال بعض الحكماء اعز العز الامتناع من ذلك الهوى وقال بعض  
 البلغاء خير الناس من اخرج الشهوة من قلبه \* وعدى هواه في طاعة ربه  
 وقال بعض الادباء من انات شهوته \* فقد احبى مروءته \* وقال بعض العلماء  
 ركب الله الملائكة من عقل بلا شهوة وركب البهائم من شهوة بلا عقل وركب  
 ابن آدم من كليهما فن خلب عقله على شهوته فهو خير من الملائكة ومن خلبت  
 شهوته على عقله فهو شر من البهائم وقيل لبعض الحكماء من اشجع الناس  
 واحراهم بالظفر في مجاهدته قال من جاهد الهوى طاعة ربه \* واحترس  
 في مجاهدته من ورود خواطر الهوى على قلبه \* وقال بعض الشعراء  
 \* قد يدرك الخازم ذوالرأى المنى \* بطاعة الحزم وعصيان الهوى \*

وأما الوجه الثاني فهو ان يخفى الهوى بكره حتى تتموه افعاله على العقل فيتصور  
التبجح حسنا والضرر نفعا وهذا يدعو اليه احد شيئين اما ان يكون للنفس ميل  
الى ذلك الشيء فيخفى عنها التبجح لحسن ظنهما وتصوره حسنا لشدة ميلهما ولذلك  
قال النبي صلى الله عليه وسلم حبك الشيء يعمى ويصم اي يعمى عن الرشد ويصم  
عن الموعدة وقال علي رضي الله عنه الهوى عمى قال الشاعر

\* حسن في كل عين من تورد \*

وقال عبيد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن ابي طالب رضي الله عنه  
\* ولست براء عيب ذي الودكلك \* ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا  
\* فعين الرضى عن كل عيب كاملة \* ولكن عين السخط تبدى المساويا  
وأما السبب الثاني فهو اشتغال الفكر في تمير ما اشتبهه فيطلب الراحة في اتباع  
ما استسهل حتى يظن ان ذلك اوفق امره واحمد حاله اغترار ابا ن الاسهل  
محمود والاعسر مذموم فلن يعدم ان يتورط بخدع الهوى وريية المكر في كل  
مخوف حذر \* ومكروه عسر \* ولذلك قال عامر بن الظرب الهوى يقظان  
والعقل راقد فن ثم غلب وقال سليمان بن وهب الهوى اضنع \* والرأى  
انفع \* وقيل في المثل العقل وزير ناصح \* والهوى وكييل فاضح \*  
وقال الشاعر

\* اذا المرء اعطى نفسه كلما اشتته \* ولم ينهها تاقت الى كل باطل  
\* وسأقت اليه الاثم والعار بالذى \* دعت، اليه من حلاوة عاجل  
وحسم السبب الاول ان يجعل فكر قلبه حكما على نظر عينه فان العين رائد  
الشهوة والشهوة من دواعى الهوى والقلب رائد الحق والحق من دواعى العقل \*  
وقال بعض الحكماء نظر الجاهل بعينه وناظره \* ونظر العاقل بقلبه وخاطره \* ثم  
يتهم نفسه في صواب ما احبت وتحسين ما اشتته ليصح له الصواب ويتبين له  
الحق فان الحق اثقل محملا واصعب مر كبا فان اشكل عليه امر ان اجتب  
احبهما اليه \* وترك اسم لهما عليه \* فان النفس عن الحق انفر \* وللهوى  
آثر \* وقد قال العباس بن عبد المطلب اذا اشتبه عليك امر ان فدع احبهما  
اليك \* وخذ اثلمهما عليك \* وحلة هذا القول هو ان القلب يبطل النفس

عن التسرع اليه فيضج مع الابطاء وتطاول الزمان صواب ما استجم \*  
 وظهور ما استبهم \* وقد قال علي بن ابي طالب من تفكر ابصر والمحجوب اسهل  
 شئ تسرع النفس اليه \* وتجلج بالاقدام عليه \* فيقصر الزمان عن تصفحه  
 ويفوت استدراكه لتقصير فعله فلا ينفع التصفيح بعد العمل ولا الاستبانة بعد  
 الفوت وقال بعض الحكماء ما كان عنك معرضا \* فلا تكن به متعرضا \* وقال

الشاعر

\* أليس طلاب ما قد فات جهلا \* وذكر المرء ما لا يستطيع \*  
 ولقد وصف بعض البلغاء حال الهوى وما يقارنه من محن الدنيا فقال الهوى  
 مطية القنء \* والدنيا دار المحنة \* فانزل عن الهوى تسام \* واعرض  
 عن الدنيا تنعم \* ولا يغرنك هواك بطيب الملاهي ولا تفتك دنياك بحسن  
 العواري فذة اللهو تتمتع وعارية الدهر ترجع ويبقى عليك ما ترتكبه من  
 المحارم \* وتكتسبه من المآثم \* وقال علي بن عبد الله الجعفرى سمعتنى امرأة  
 بالطواف وانا انشد

\* اهوى هوى الدين والذات تعجبنى \* فكيف لى بهوى اللذات والدين \*  
 فقالت هما ضرتان فذرايهما شئت وخذ الاخرى فاما فرق ما بين الهوى  
 والشهوة مع اجتماعهما فى العلة والمعلول \* واتفاقهما فى الدلالة والمدلول \* فهو  
 ان الهوى يختص بالآراء والاعتقادات والشهوة مختصة بذيل اللذة فصارت الشهوة  
 من نتائج الهوى وهى اخص والهوى اصل هو اعم ونحن نسأل الله تعالى ان  
 يكفيننا دواعى الهوى \* ويصرف عنا سبل الردى \* ويجعل التوفيق لنا قائدا \*  
 والعقل لنا مرشدا \* فقد روى ان الله تعالى اوحى الى عيسى عليه السلام عظ  
 نفسك فان تعظت فعظ الناس والا فاستحي منى وقال محمد بن كنفاسة

\* ما من روى انبا فلم يعمل به \* ويكف عن زيف الهوى بايديه \*  
 \* حتى يكون بما تعلم عاملا \* من صالح فيكون غير معيب \*  
 \* ولقما تفى اصابة قائل \* افعاله افعال غير مصيب \*

❖❖

❖ وقال آخر ❖

\* يا ايها الرجل المعلم غيره \* هلا لنفسك كان ذا التعليم \*  
 \* تصف الدواء لذى السقام وذى الضنى \* كما يصح به وانت سقيم \*  
 \* ابدأ بنفسك فانهما عن غيرها \* فاذا انتهت عنه فانت حكيم \*  
 \* فهناك تعذر ان وعظت ويقتدى \* بالقول منك ويقبل التعليم \*  
 \* لاته عن خلق وتأتى مثله \* عار عليك اذا فعلت عظيم \*  
 حكي ابو فروة ان طارقا صاحب شرطة خالد القسرى مر بابن شبرمة وطارق  
 في موكب فقل ابن شبرمة

\* اراها وان كانت تحب كأنها \* سخابة صيف عن قريب تقشع \*  
 اللهم لي ديني ولهم دنياهم فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء فقال له ابنه  
 ابو بكر أذكر قولك يوم كذا اذ مر بك طارق في موكب فقل يا بنى انهم يحدون  
 مثل ابيك ولا يحد ابوك مثلهم ان اباك اكل من حلاوتهم \* فخط في هواهم \* أما ترى  
 هذا الدين الفاضل كيف عوجل بالتقريع وقوبل بالتوبيخ من اخص ذويه \* ولعله  
 من ابرئيه \* فكيف بنا ونحن اطلق منه عنانا \* واقلق منه جنانا \* اذا رمقتنا  
 اعين المتبعين \* وتناولتنا السن المتبعين \* هل نجد غير توفيق الله تعالى ملاذا \*  
 وسوى عصمته معاذنا \*

❖ باب ادب العلم ❖

اعلم ان العلم اشرف ما رغب فيه الراغب \* وافضل ما طلب وجد فيه الطالب \*  
 وانفع ما كسبه واقتناه الكاسب \* لان شرفه يثمر على صاحبه \* وفضله ينمي على  
 طالبه \* قال الله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ففتح المساواة  
 بين العالم والجاهل لما قد خص به العالم من فضيلة العلم وقال تعالى وما يعقلها  
 الا العاؤون فنفي ان يكون غير العالم يعقل عنه امرا \* اوفيههم منه زجرا \*  
 وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الى ابراهيم عليه السلام  
 اني اعلم احب كل عليم وروى ابو امامة قال سئل رسول الله صلى الله عليه

وسلم عن رجلين احدهما عالم والآخر عابد فقال صلى الله عليه وسلم فضل العالم على العابد كفضلي على ادناكم رجلا وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه الناس ابناء ما يحسنون وقال مصعب بن الزبير تعلم العلم فان يكن لك مال كان لك جمالا وان لم يكن لك مال كان لك مالا وقال عبد الملك بن مروان لبيته يا بني تعلموا العلم فان كنتم سادة فتمم \* وان كنتم وسطا سدتم \* وان كنتم سوقة عثتم \* وقال بعض الحكماء العلم شرف لا قدر له والادب مال لا خوف عليه وقال بعض الادباء العلم افضل خلف \* والعمل به اكل شرف \* وقال بعض البلغاء تعلم العلم فانه يقومك ويسدك صغيرا \* ويقدمك ويسودك كبيرا \* ويصلح زيفك وفاسدك \* ويرغم عدوك وحاسدك \* ويقوم عوجك وميلك \* ويصح همتك واملاك \* وقال علي رضى الله تعالى عنه قيمة كل امرئ ما يحسن فاخذه الخليل فنظمه شعرا فقال

\* لا يكون العلي مثل الذني \* لا ولا ذو الذكاء مثل الغي \*  
\* قيمة المرء قدر ما يحسن المرء \* قضاء من الامام على \*

وليس يجهل فضل العلم الا اهل الجهل لان فضل العلم انما يعرف بالعلم وهذا ابلغ في فضله لان فضله لا يعلم الا به فلما عدم الجهال العلم الذي به يتوصلون الى فضل العلم جهلوا فضله \* واسترذلوا اهله \* وتوهموا ان ما قيل اليه نفوسهم من الاموال المقتناه \* والطرف المشتهاه \* اولى ان يكون اقبالهم عليها واخرى ان يكون اشتغالهم بها وقد قال ابن المعتز في منشور الحكم العالم يعرف الجاهل لانه كان جاهلا والجاهل لا يعرف العالم لانه لم يكن عالما وهذا صحيح ولاجله انصرفوا عن العلم واهله انصرفوا الزاهدين \* وانحرفوا عنه وعنهم انحرفوا المعاندين \* لان من جهل شيئا طناه وانشدني ابن لنتك لابي بكر بن دريد

\* جهلت فعاديت العلوم واهلها \* كذلك يعادى العلم من هو جاهله \*  
\* ومن كان بهوى ان يرى متصدرا \* ويكره لا ادري اصيبت مقاتله \*  
وقيل لبرزجهر العلم افضل ام المال فقال بل العلم قيل فما بالنارى العلماء على ابواب الاغنياء ولا نكاد نرى الاغنياء على ابواب العلماء فتعال ذلك لمعرفة العلماء

بمنفعة المال وجهل الاغنياء لفضل العلم وقيل لبعض الحكماء لم لا يجمع السلم والمال \*  
 فقال لعز الكمال \* فانشدت لبعض اهل هذا العصر  
 \* وفي الجهل قبل الموت موت لاهله \* فأجسامهم قبل القبور قبور \*  
 \* وان امرء لم يحى بالعلم ميت \* فليس له حتى الشور نشور \*  
 ووقف بعض المتعلمين بباب عالم ثم نادى تصدقوا علينا بما لا يتعب ضميرنا \*  
 ولا يسقم نفسا \* فأخرج له طعاما ونفقة فتعال فأقبح الى كلامكم \* اشد من  
 فأقبح الى طعامكم \* انى طالب هدى \* لا سائل ندى \* فأذن له العالم وافاده من كل  
 ما سأل عنه فخرج جزلا فرحا وهو يقول علم اوضح لبنا \* خير من مال اغنى  
 نفسا \* واعلم ان كل العلوم شريفة ولكل علم منها فضيلة والاحاطة بجميعها محال  
 قيل لبعض الحكماء من يعرف كل العلوم فتعال كل الناس وروى عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم انه قال من ظن ان للعلم غاية فقد بنحسه حقه، ووضعوه في غير منزلته  
 التي وصفه الله بها حيث يقول وما اوتيتم من العلم الا قليلا وقال بعض العلماء  
 لو كنا نطلب العلم لتبلغ غايته كنا قد بدأنا العلم بالتقصير ولكننا نطلبه لتقص في  
 كل يوم من الجهل ونزداد في كل يوم من العلم وقال بعض العلماء المتعمق في  
 العلم كالساج في البحر ليس يرى ارضا \* ولا يعرف طولا ولا عرضا \* وقيل  
 لجماد الراوية أما تشبع من هذه العلوم فقال استفرغنا فيها المجهود \* فلم نبلغ  
 منها المحدود \* فتحن كما قال الشاعر

\* اذا قطعنا علما بدا علم \*  
 وانشد الرشيد عن المهدي يتين وقال اظنهما له  
 \* يا نفس خوضي بحار العلم او غوصي \* فالناس ما بين معوم ومخصوص \*  
 \* لا شئ في هذه الدنيا تحيط به \* الا احاطة منقوص بمنقوص \*  
 واذا لم يكن الى معرفة جميع العلوم سبيل وجب صرف الاهتمام الى معرفة  
 اهمها والعناية باولاها وافضلها واولى العلوم وافضلها علم الدين لان الناس  
 بمعرفته يرشدون \* و بجهله يضلون \* اذ لا يصح أداء عبادة جهل فاعلمها صفات  
 آدابها \* ولم يعلم شروط اجزائها \* ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فضل العلم خير من فضل العبادة وانما كان كذلك لان العلم يعث على فضل



العبادة والعبادة مع خلو فاعلها من العلم بها قد لا تكون عبادة فلزم علم الدين كل مكلف وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة على كل مسلم وفيه تأويلان أحدهما علم ما لا يسع جهله من العبادات والثاني جملة العلم اذا لم يتم بطلابه من فيه كفاية واذا كان علم الدين قد اوجب الله تعالى فرض بعضه على الاعيان وفرض جميعه على الكافة كان اولى مما لم يجب فرضه على الاعيان ولا على الكافة قال الله تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين واينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وروى عبد الله بن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد فاذا هو بمجلسين احدهما يذكرون الله تعالى والآخر يتفقهون فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا المجلسين على خير واحدهما احب الى من صاحبه اما هؤلاء فيسألون الله تعالى ويذكرونه فان شاء اعطاهم وان شاء منعهم واما المجلس الآخر فيتعلمون الفقه ويعلمون الجاهل وانما بعثت معلما وجلس الى اهل الفقه وروى مروان بن جناح عن يونس بن ميسرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال الخيرة عادة والشر بلجاجة ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خييار امتي علماءؤها وخييار علمائها فتهاؤنها وروى معاذ بن رفاعة عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين \* وانتحال المبطلين \* وتأويل الجاهلين \* وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال علي بن خلفان قالوا ومن خلفائك قال الذين يحييون سنتي ويعلمونها عباد الله وروى حميد عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال التفقه في الدين حق على كل مسلم الا فتعلوا وعلما وتفقهوا ولا تموتوا جهالا وروى سليمان بن يسار عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما عبد الله بشيء افضل من فقهه في الدين ولفقيه واحد اشد على الشيطان من الف عابد ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه وربما مال بعض المتهاونين بالدين الى العلوم العقلية ورأى انها احق بافضلية واولى بالتقدمة استحقاقا لما تضمنه الدين من التكليف \* واستردالا لما جاء به الشرع

من التعبد والتوقيف\* والكلام مع مثل هذا في اصل\* لا يتسع له هذا الفصل\*  
ولن ترى ذلك فيمن سلت فطنة\* وصحت روية\* لان العقل يمنع من ان يكون الانسان  
هملا او سدى يعتمدون على آرائهم المختلفة ويتقادون لاهوائهم المتشعبة لما  
تؤول اليه امورهم من الاختلاف والتنازع\* ويفضى اليه احوالهم من التباين  
والاقتناع\* فلم يستغنوا عن دين يتألفون به ويفتخرون عليه ثم العقل موجب له  
او مانع ولو تصور هذا المحتل التصور ان الدين ضرورة في العقل وان العقل  
في الدين اصل لتصر عن التقصير واذعن للحق ولكن اهمل نفسه فضل واصل  
وقد يتعلق بالدين علوم قد بين الشافعي فضيلة كل واحد منها فقال من تعلم  
القرآن عظمت قيمته ومن تعلم الفقه نبه مداره ومن كتب الحديث قويت حجته  
ومن تعلم الحساب جزل رأيه ومن تعلم العربية رق طبعه ومن لم يصن نفسه لم  
ينفعه عمله ولعمري ان صيانة النفس اصل الفضائل لان من اهمل صيانة نفسه  
ثقة بما فتحه العلم من فضيلته وتوكل على ما يلزم الناس من صيانتها  
سلبوه فضيلة عمله ووسموه بتبجح تبذله فلم يف ما اعطاه العلم بما سلبه التبذل  
لان التبجح اثم من الجميل والذليلة اشهر من الفضيلة لان الناس لما في طبائعهم  
من البغضة والحسد ونزاع المناقسة تنصرف عيونهم عن المحاسن الى المساوي  
فلا ينصفون محسنا ولا يحابون مسيئا لاسيما من كان بالعلم موسوما واليه منسوبا  
فان زلته لا تقال وهفوته لا تعذر اما لقبج اثرها واغترار كثير من الناس بها  
وقد قيل في منشور الحكم ان زلة العالم كالسفينة تغرق ويغرق معها خلق كثير  
وقيل لعيسى ابن مريم عليه السلام من اشد الناس فتنة قال زلة العالم اذا زل  
زل بزلة عالم كثير فهذا وجهه واما لان الجهال بذه اغرى\* وعلى تنصه  
اخرى\* ليسلبوه فضيلة التقدم ومنعوه مباينة التخصيص عناد الما جهلوه  
ومقتا لما بينوه لان الجاهل يرى العلم تكلفا ولو ما\* كما ان العالم يرى الجهل  
تحلفا وذما\* وانشدت عن الربيع للشافعي رضى الله عنه

- \* ومنزلة السفيه من الفقيه \* كمنزلة الفقيه من السفيه \*  
\* فهذا زاهد في قرب هذا \* وهذا فيه ازهد منه فيه \*  
\* اذا غلب الشقاء على سفيه \* تقطع في مخالفة الفقيه \*

وقال يحيى بن خالد لابنه عليك بكل نوع من العلم فخذ منه فان المرء عدو ما جهل وانا اكره ان تكون عدو شئ من العلم وانشد

\* تفنن وخذ من كل علم فانما \* يفوق امرؤ في كل فن له علم \*  
\* فانت عدو للذي انت جاهل \* به ولعلم انت تتقنه سلم \*

واذا صان ذو العلم نفسه حق صيانتها ولازم فعل ما يلزمها امن تعبير الموالي وتمييز المعادى وجمع الى فضيلة العلم جميل الصيانة وعز الزاهمة فصار بالنزلة التي يستحقها بفضائله وروى ابو الدرداء ان النبي صلى الله عليه وسلم قال العلماء ورثة الانبياء لان الانبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وانما ورثوا العلم وروى ابو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للانبياء على العلماء فضل درجتين وللعلماء على الشهداء فضل درجة وقال بعض البلغاء ان من التريعة ان تجل اهل الشريعة \* ومن الصنعة ان ترب حسن الصنيع، \* فيبني لمن استدل بفطرته على استحسان الفضائل \* واستباح الرذائل \* ان ينفي عن نفسه رذائل الجاهل بفضائل العلم وغفلة الاهمال باتيغاط المعاناة ويرغب في العلم رغبة متحمق لفضائله واثق بمنافعه ولا يلهيه عن طلبه كثرة مال وجده ولا نفوذ امر وعلو منزلة فان من نفذ امره فهو الى العلم احوج ومن علت منزلته فهو بالعلم احق وروى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الحكمة تزيد الشريف شرفا وترفع العبد المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك وقد قال بعض الادباء كل عز لا يوطئه علم مذه \* وكل علم لا يؤيده عقل مضله \* وقال بعض علماء السلف اذا اراد الله بالناس خيرا جعل العلم في ملوكهم والمالك في علمائهم وقال بعض البلغاء العلم عصمة الملوك لانه يمنعهم من الظلم ويردهم الى الحليم \* ويصدهم عن الاذية \* ويعطفهم على الرعية \* فمن حتمهم ان يعرفوا حتمه ويستبطنوا اهله فاما المال فظل زائل وعارية مسترجعة وليس في كثرته فضيلة ولو كانت فيه فضيلة لخص الله به من اصطفاه لرسالته \* واجتباها لنبوته \* وقد كان اكثر انبياء الله تعالى مع ما خصهم الله به من كرامته وفضلهم على سائر خلقه، فقراء لا يجدون بلدة ولا يقدرون على شئ حتى صاروا في القفر مثلا فقال البحترى

- \* فقر كفتقر الانبياء وغربة \* وصباية ليس البلاء بواحد  
 \* ولعدم الفضيلة في المال فتحه الله للكافر وحرمه المؤمن قال الشاعر  
 \* كم ككافر بالله امواله \* تزداء اضعافا على كفره  
 \* ومؤمن ليس له درهم \* يزداد ايمانا على فقره  
 \* يالأمم الدهر و افعاله \* مشتغلا يزرى على دهره  
 \* الدهر مأمور له أمر \* ينصرف الدهر على امره

وقد بين علي بن ابي طالب رضي الله عنه فضل ما بين العلم والمال فقال العلم خير من المال العلم يحرسك وانت تحرس المال العلم حاكم والمال محكوم عليه مات خزان الاموال وبقى خزان العلم اعيانهم مفقوده \* و اشخاصهم في القلوب موجوده \* و سئل بعض العلماء ايما افضل المال ام العلم فقال الجواب عن هذا ايما افضل المال ام العقل و قال صالح بن عبد التموس

- \* لا خير فيمن كان خير ثناءه \* في الناس قولهم غني واجد  
 \* وربما امتنع الانسان من طلب العلم لكبرسه واستحيائه من تقصيره في صغره \*  
 ان يتعلم في كبره \* فرضى بالجهل ان يكون موسوما به وآثره على العلم  
 ان يصيد مبتدئا به وهذا من خدع الجهل وغرور الكسل لان العلم اذا كان  
 فضيلة فرغبة ذوى الاسنان فيه اولى و الابتداء بالفضيلة فضيلة ولان يكون  
 شيخا متعلا اولى من ان يكون شيخا جاهلا حكي ان بعض الحكماء رأى شيخا  
 كبيرا يحب النظر في العلم ويستحي فقال له يا هذا أتستحي ان تكون  
 في آخر عمرك افضل مما كنت في اوله وذكر ان ابراهيم بن المهدي دخل على  
 المأمون وعنده جماعة يتكلمون في الفقه فقال ياعم ما عندك فيما يقول هؤلاء فقال  
 يا امير المؤمنين شغلونا في الصغر و اشتغلنا في الكبر فقال لم لا تتعلم اليوم قال  
 أويحسن بمنلى طلب العلم قال نعم والله لان تموت طالبا للعلم خير من ان تعيش  
 قانعا بالجهل قال و الى متى يحسن بي طلب العلم قال ما حسنت بك الحياة ولان  
 الصغير اعذر و ان لم يكن في الجهل عذر لانه لم تطل به مدة التفريط ولا استمرت  
 عليه ايام الالهام و قد قيل في منشور الحكماء جهل الصغير معذور \* وعلمه  
 محذور \* فلما الكبير فالجهل به اقبح \* و نقصه عليه افضح \* لان علو السن

اذالم يكسبه فضلا و ام يفده علما و كانت ايامه في الجهل ماضيته \* و من  
الفضل خاليه \* كان الصغير افضل منه لان الرجاء له اكثر \* و الامل فيه  
انظر \* و حسبك نقصا في رجل يكون الصغير المساوي له في الجهل افضل منه  
و انشدت لبعض اهل الادب

\* اذا لم يكن مر السنين مترجما \* عن الفضل في الانسان سميته طفلا \*  
\* و ما تنفع الايام حين يعدها \* و لم يستفد فيهن علما و لا فضلا \*  
\* ارى الدهر من سوء التصرف مائلا \* الى كل ذى جهل كأن به جهلا \*

و ربما امتنع من طلب العلم لتعذر المادة و شغله اكتسابها عن التماس العلم و هذا  
و ان كان اعذر من غيره مع انه قل ما يكون ذلك الا عند ذى شره و عيب و شهوة  
مستعبدة فينبغي ان يصرف الى العلم حظا من زمانه فليس كل الزمان زمان  
اكتساب و لا بد للمكتسب من اوقات استراحة و ايام عطلة و من صرف كل  
نفسه الى الكسب حتى لم يترك لها فراغا الى غيره فهو من عبيد الدنيا و اسراء  
الحرص و قد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال لكل شئ فترة فمن  
كانت فترته الى العلم فقد نجح و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال  
كونوا علماء صالحين فان لم تكونوا علماء صالحين فجالسوا العلماء و اسمعوا علما  
يدلكم على الهدى و يردكم عن الردى و قال بعض العلماء من احب العلم احاطت  
به فضائله و قال بعض الحكماء من صاحب العلماء و قر \* و من جالس السفهاء  
حقر \* و ربما منعه من طلب العلم ما يظنه من صعوبته و بعد غايته و يخشى  
من قلة ذهنه و بعد فطنته و هذا الظن اعتذار ذرى النقص و خيفة اهل العجز  
لان الاخبار قبل الاختبار جهل و الخشية قبل الابتلاء مجز و قد قال الشاعر

\* لا تكونن للامور هيوبا \* فلى خيبة يصير الهيوب \*  
و قال رجل لابي هريرة رضى الله عنه اريد ان اتعلم العلم و اخاف ان اضيعه  
فقال كفى بترك العلم اضاعته و ليس وان تفاضلت الازهان و تفاوتت الفطن  
ينبغي لمن قل منها حظه ان يئس من نيل القليل و ادراك اليسير الذى يخرج به  
من حد الجهالة الى اذنى مراتب التخصيص فان الماء مع لينة يؤثر في صم الصخور  
فكيف لا يؤثر العلم الزكى \* في نفس راغب شهوى \* و طالب خلى \* لا سيما

وطالب العلم معان قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الملائكة لتضع اجنحتها لطالب العلم رضا بما يطلب وربما منع اذا السفاهة من طلب العلم ان يصور في نفسه حرفة اهله وتضايق الامور مع الاشتغال به حتى يسمهم بالادبار ويتوسمهم بالحرمان فان رأى محبرة تطير منها وان رأى كتابا اعرض عنه وان رأى متحملا بالعلم هرب منه كأنه لم ير عالما متعبلا وجاهلا مدبرا ولتقد رأيت من هذه العائقة جماعة ذوى منازل واحوال كنت اخفى عنهم ما يصحبنى من محبرة وكتاب لئلا اكون عندهم مستقبلا وان كان البعد عنهم مؤنسا ومصححا والترب دنهم موحشا ومفسدا فقد قال بزرجمهر الجهل في القلب كالنر في الارض يفسد ما حوله لكن اتبعت فيهم الحديث المروى عن ابي الاشعث عن ابي عثمان عن ثوبان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خالطوا الناس باخلاقهم وخالفوهم في اعمالهم ولذلك قال بعض البلغاء رب جهل وقيت به علماء \* وسفه حيت به حملاء \* وهذه الطبقة ممن لا يرجى لها صلاح \* ولا يؤمل لها فلاح \* لان من اعتقد ان العلم شين \* وان تركه زين \* وان للجهل اقبالا مجديا \* وللعلم ادبارا مكديا \* كان ضلاله مستحكما ورشاده مستعبدا وكان هو الخامس الهالك الذي قال فيه علي بن ابي طالب رضى الله عنه اغد عالما او متعلما او سمعنا او حميا ولا تكن الخامس فهلك وقد رواه خالد الخذاء عن عبد الرحمن ابن ابي بكرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مسندا وليس لمن هذه حاله في العذل نفع ولا في الاصلاح مطمع وقد قيل لبرزجمهر ما لكم لا تعاتبون الجهال فقال انا لا نكلف العمى ان يبصروا ولا الصم ان يسمعوا وهذه الطائفة التي تنفر من العلم هذا النفور وتعقد ان العاقل محارف وان الاحق المثابة وتنفر من العقلاء هذا النفور وتعقد ان العاقل محارف وان الاحق محظوظ وناهيك بضلال من هذا اعتقاده في العقل والعلم هل يكون لطير اهلا او لفضيلة موضعا وقد قال بعض البلغاء اخبث الناس المساوي بين المحاسن والمساوي وعلته هذا انهم ربما رأوا عاقلا غير محظوظ وعلما غير مرزوق فظنوا ان العلم والعقل هما السبب في قلة حظه ورزقه وقد انصرفت عيونهم عن حرمان اكثر النوكى وادبار اكثر الجهال لان في العقلاء والعلماء قلة

و عليهم من فضلهم سمة ولذلك قيل العلماء غرباء لكثرة الجهال فإذا ظهرت سمة فضلهم و صادف ذلك قلة حظ بعضهم تنوهوا بالتميز واشتهروا بالتعيين فصاروا مقصودين بإشارة المتعنتين ملحوظين بإيحاء الشائتين و الجهال و الحمقى لما كثروا ولم يتخصصوا انصرفت عنهم النفوس فلم يلحظ المحروم منهم بطرف شامت و لا قصد المجدود منهم بإشارة عائب فلذلك ظن الجاهل المزروق ان الفقر والضيق مختص بالعلم والعقل دون الجهل و الحمق ولو قنشت احوال العلماء و العقلاء مع قلتهم لوجدت الاقبال في اكثرهم ولو اختبرت امور الجهال و الحمقى مع كثرتهم لوجدت الحرمان في اكثرهم و انما يصير ذو الحال الواسعة منهم ملحوظا مشتهرا لان حنطة عجيب و اقباله مستغرب كما ان حرمان العاقل العالم غريب و اقباله عجيب و لم تزل الناس على سالف الدهور من ذلك متعجبين و به معتبرين حتى قيل لبرزجهم ما اعجب الاشياء فقال نجح الجاهل و اكدها العاقل لكن الرزق بالحنط و الجند لا بالعلم و العقل حكمة منه تعالى يدل بها على قدرته و اجراء الامور على مثيلته و قد قالت الحكماء لو جرت الاقسام على قدر العقول لم تعش البهائم فنظمه ابو تمام فقال

\* ينال الفتى من عيشه وهو جاهل \* و يكدي الفتى من دهره وهو عالم \*  
 \* ولو كانت الارزاق تجري على الحبي \* هلكن اذن من جهلهم البهائم \*  
 \* وقال كعب بن زهير بن ابي سلمى \*

\* لو كنت اعجب من شئ لا اعجبني \* سعى الفتى وهو مخبوء له القدر \*  
 \* يسعى الفتى لامور ليس يدركها \* و النفس واحدة و الهمة منتشر \*  
 على ان العلم و العقل سعادة و اقبال \* و ان قل معهما المال \* و ضاقت معهما الحال \*  
 و الجهل و الحمق حرمان و انبار و ان كثر معهما المال \* و اتسعت فيهما الحال \*  
 لان السعادة ليست بكثرة المال فكم من مكثر شقى و مقل سعيد و كيف يكون الجاهل الغنى سعيدا و الجهل يضره \* ام كيف يكون العالم الفقير شقيا و العلم يرفعه \* و قد قيل في منثور الحكمم كم من ذليل اعزاه عمله و من عزيز اذله جهله و قال عبد الله بن المعتز الجاهل كروضة على منبلة و قال بعض الحكماء كما حسنت نعمة الجاهل ازداد قبحا و قال بعض العلماء لبنيه يا بني تعلموا

العلم فان لم تناولوا به من الدنيا حظا فلا ن يذم الزمان لكم احب الى من ان  
 يذم الزمان بكم وقال بعض الادباء من لم يفد بالعلم مالا \* كسب به جبالا \*  
 وانشد بعض اهل الادب لابن طباطبا

\* حسود مريض القلب يخفى انينه \* ويضحى كئيب البال عندي حزينه \*  
 \* يلوم على ان رحى للعلم طالبا \* اجع من عند الرواة فنونه \*  
 \* فاعرف ابكار الكلام وعونه \* واحفظ مما استفيد عيونه \*  
 \* ويزعم ان العلم لا يكسب الغنى \* ويحسن بالجهل الذميمة ظنونه \*  
 \* فيا لأئمة دعنى اغالى بقتي \* فقيمة كل الناس ما يحسنونه \*  
 وانا استعذ بالله من خدع الجهل المذله \* وبوادى الحلق المضله \* واسأله  
 السعادة بعقل رادع يستقيم به من زل \* وعلم نافع يستهدى به من ضل \* فقد  
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا استرذل الله عبدا حنظر عليه العلم  
 فينبغي لمن زهد في العلم ان يكون فيه راعيا \* ولمن رغب فيه ان يكون له  
 طالبا \* ولمن طلبه ان يكون منه مستكثرا \* ولمن استكثر منه ان يكون به عاملا  
 ولا يطلب لتركه احتجاجا ولا للتصير فيه عذرا وقد قال الشاعر  
 \* فلا تعذرانى فى الاساءة انه \* شرار الرجال من يسئ فيعذر \*  
 ولا يسوف نفسه بالمواعيد الكاذبة ويمنيها بانقطاع الاشغال المتصلة فان لكل  
 وقت شغلا ولكل زمان عذرا وقال الشاعر

\* نروح ونغدو لحاجتنا \* وحاجة من عاش لا تنقضى \*  
 \* تموت مع المرء حاجاته \* وتبقى له حاجة ما بقى \*  
 ويقصد طلب العلم واثقا بتيسير الله قاصدا وجهد الله تعالى بنية خالصة وعزيمة  
 صادقة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من تعلم علما لغير الله  
 واراد به غير الله فليتبأ متعمده من النار وروى ابوهريرة رضى الله عنه  
 ان النبي صلى الله عليه وسلم قال تعلموا العلم قبل ان يرفع ورفعه ذهاب اهله  
 فان احدكم لا يدري متى يحتاج اليه او متى يحتاج الى ما عنده وليحذر ان يطلبه  
 لمرء او رياء فان الممارى به مهجور لا ينفع \* والمرائى به محقور لا يرتفع \* وروى  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تعلموا العلم لتماروا به السفهاء \* ولا تعلموا



العلم تجادلوا به العلماء \* فمن فعل ذلك منكم فلنار مشواه وليس الممارى به هو المناظر فيه، طالبا للصواب منه، ولكنه، القاصد لدفع ما يرد عليه من فاسد او صحيح وفيهم جاءت السنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يجادل الا متافق او مرتاب وقال الاوزاعي اذا اراد الله بقوم شرا اعطاهم الجدل \* ومنعهم العمل \* وانشد الريشى لمصعب بن عبد الله

- \* اجادل كل معترض ظنين \* واجعل دينه عرضا لديني \*
- \* وترك ما علمت لرأى غيري \* وليس الرأى كالعلم اليقين \*
- \* وما انا والخصومة وهي شئ \* يصرّف في الشمال وفي اليمين \*
- \* فلما ما علمت فتمد كفاني \* واما ما جهلت فجنّبوني \*

وقد بين ذلك بعض العلماء فتال لصاحبه لا يمنعك حذر المرء من حسن المناظرة فان الممارى هو الذى لا يريد ان يتعلم منه احد ولا يرجو ان يتعلم من احد \* واعلم \* ان لكل مطلوب باعنا و الباعث على المطلوب شيان رغبة او رهبة فليكن طالب العلم راغباً راهباً اما الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته \* وحافظي مفترضاته \* واما الرهبة ففي عقاب الله تعالى لتاركى او امره \* ومهملي زواجره \* فاذا اجتمعت الرغبة والرهبة اديا الى كنه العلم و حقيقة الزهد لان الرغبة اقوى الباعثين على العلم والرغبة اقوى السببين في الزهد وقد قالت الحكماء اصل العلم الرغبة وثمرته السعادة \* واصل الزهد الرهبة وثمرته العبادة \* فاذا اقترن الزهد والعلم فتمت السعادة وامت الفضيلة وان افترقا فيا ويح مفترقين ما اضر افتراقهما و اقبح انفردهما وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من ازدان في العلم رشدا \* فلم يزد في الدنيا زهدا \* ام يزد من الله الا بعدا \* وقال مالك بن دينار من لم يؤت من العلم ما يقيمه \* فئاوتى منه لا ينفعه \* وقال بعض الحكماء الفقيه بغير ورع كالسراج يضيء البيت ويحرق نفسه \* فصل \* واعلم ان للعلوم اوائل تؤدى الى اواخرها ومداخل تفضى الى حقائقها فليبتدىء طالب العلم باوائلها ليتهاي الى اواخرها و بمداخلها لتفضى الى حقائقها ولا يطلب الآخر قبل الاول \* ولا الحقيقة قبل المدخل \* فلا

يدرك الآخر ولا يعرف الحقيقة لان البناء على غير اس لا يبنى \* و الثمر من غير  
 غرس لا يجنى \* و لذلك اسباب فاسدة و دواعى واهية ﴿ فتها ﴾ ان  
 يكون فى النفس اغراض تختص بنوع من العلم فيدعو الغرض الى قصد ذلك  
 النوع و يعدل عن مقدماته كرجل يؤثر القضاء و يتصدى للحكم فيقصد من علم  
 الفقه اذ التقاضى و ما يتعلق به من الدعوى و البيئات او يحب الاتسام  
 بالشهادة فيتعلم كتاب الشهادات فيصير موسوما بجهل ما يعانى فاذا ادرك ذلك  
 ظن انه قد حاز من العلم جهوره \* و ادرك منه مشهوره \* و لم يرب ما بقى منه، الا  
 غامضا طلبه عناء \* و غويصا استخراجه فناء \* لتصور همة على ما ادرك \*  
 و انصر افها عما ترك \* ولو نصح نفسه لعلم ان ماترك اهم مما ادرك لان بعض  
 العلم مرتبط ببعض و لكل باب منه تعلق بما قبله فلا تقوم الاواخر الا باوائلها  
 و قد يصح قيام الاوائل بانفسها فيصير طلب الاواخر بترك الاوائل تركا  
 للاوائل و الاواخر فاذا ليس يعرى من لوم و ان كان تارك الآخر الوم  
 ﴿ ومنها ﴾ ان يجب الاشتهار بالعلم اما لتكسب او لتجمل فيقصد من العلم  
 ما اشتهر من مسائل الجدل و طريق النظر و يعاطى علم ما اختلف فيه دون  
 ما اتفق عليه لينظر على الخلاف و هو لا يعرف الوفاق و يتبادل الخصوم  
 و هو لا يعرف مذهباً مخصوصاً و لقد رأيت من هذه الطبقة عدداً قد تحققوا  
 بالعلم تحقق المتكلمين \* و اشتهروا به اشتهار التجيرين \* اذا اخذوا فى  
 مناظرة الخصوم ظهر كلامهم \* و اذا سئلوا عن واضح مذهبهم ضلت افهامهم \*  
 حتى انهم ليخبطون فى الجواب خبط عشواء فلا يظهر لهم صواب \* و لا يتقرر  
 لهم جواب \* و لا يرون ذلك نقصاً اذا تمقوا فى المجالس كلاماً و صوفاً \*  
 و لفقوا على المخالف حججاً مألوفاً \* و قد جهلوا من المذاهب ما يعلم المبتدى  
 و يتداوله الناشى فهم دائماً فى لغط مضل \* او غلط مندل \* و رأيت قوماً منهم  
 يرون الاشتغال بالمذاهب تكلفاً \* و الاستكثار منه تخلفاً \* و حاجنى بعضهم عليه  
 فقال لان علم حافظ المذاهب مستور \* و علم المناظر عليه مشهور \* فقلت  
 فكيف يكون علم حافظ المذهب مستورا و هو سريع الجواب \* كثير الصواب \*  
 فقال لانه ان لم يسأل سكت فلم يعرف و المناظر ان لم يسأل سائل يعرف فقلت

أليس اذا سئل الحافظ فاصاب بان فضله قال نعم قلت أفليس اذا سئل المناظر  
فاخطأ بان نقصه وقد قيل عند الامتحان \* يكرم المرء او يهان \* فامسك عن جوابي  
لانه ان انكر كابر المعقول ولو اعترف لزمته الطجعة والامسك اذعان والسكروت  
رضى وان يتقاد الى الحق اولى من ان يستقره الباطل وهذه طريقة من يقول  
اعرفوني وهو غير عروف ولا معروف وبعيد ممن لا يعرف العلم ان يعرفه وقد  
قال زهير

\* ومهما تكن عند امرئ من خليقة \* وان خالها تخفى على الناس تعلم \*  
ومن اسباب التقصير ايضا ان يغفل عن التعلم في الصغر \* ثم يشتغل به في الكبر \*  
فيستحي ان يتدبى بما يتدبى الصغير \* ويستنكف ان يساويه الحدث الغرير \*  
فيبدأ باواخر العلوم واطرافها \* ويهتم بحواشئها وان كان نافها \* ليقدم  
على الصغير المتدبى \* ويساوى الكبير المنتهى \* وهذا ممن رضى بخداع  
نفسه \* وقنع بمداهنة حسه \* لان معقوله ان احس ومعقول كل ذى  
حس يشهد بفساد هذا التصور وينطق باختلال هذا التخييل لانه شئ لا يقوم  
في وهم ويجهل ما يتدبى به المتعلم اقمح من جهل ما يتدبى اليه العام وقد قال  
الشاعر

\* ترق الى صغير الامر حتى \* يريقك الصغير الى الكبير \*  
\* فتعرف بالتفكر في صغير \* كبيرا بعد معرفة الصغير \*

ولهذا المعنى واثباهه كان المتعلم في الصغر احمد روى مروان بن سالم عن  
اسماعيل بن ابي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل الذى يتعلم  
في صغره كالتمش على الحجر و الذى يتعلم في كبره كالذى يكتب على الماء  
وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه قلب الحدث كالاراضى الخالية ما التى  
فيها من شئ قبلته واما كان كذلك لان الصغير اغرغ قلبا و اقل شغلا  
و ايسر تبذلا و اكثر تواضعا و قد قيل في منشور الحكيم المتواضع من طلاب العلم  
اكثرهم علما كما ان المكان المنخفض اكثر البتاع ماء فاما ان يكون الصغير  
اضبط من الكبير اذا عرى من هذه الموانع واوعى منه اذا خلا من هذه  
القواطع فلا \* حكى ان الاحنف بن قيس سمع رجلا يقول التعليم في الصغر



مطالعتهما من ثلاثة اوجه قلب مفكر ولسان معبر وبيان مصور فاذا عقل الكلام بسمعه فهم معانيه بقلبه واذا فهم المعاني سقط عنه كلفة استخراجها وبقي عليه معاناة حفظها واستقرارها لان المعاني شوارد تضل بالاغفال \* والعلوم وحشية تنفر بالارسال \* فاذا حفظها بعد الفهم انست \* واذا ذكرها بعد الانس رست \* وقال بعض العلماء من اكثر المذاكرة بالعلم ينس ما علم واستفاد ما لم يعلم وقال الشاعر

\* اذالم يذاكر ذو العلوم بعلمه \* ولم يستفد علما نسي ما تعلمه \*  
 \* فكلم جامع للكتب في كل مذهب \* يزيد مع الايام في جمعه عى \*  
 وان لم يفهم معاني ما سمع كشف عن السبب المانع منها ليعلم العلة في تعذر فهمها فان بمعرفة اسباب الاشياء وعللها يصل الى تلافى ما شذ وصلاح ما فسد وليس يخلو السبب المانع من ذلك من ثلاثة اقسام اما ان يكون لعله في الكلام المترجم عنها واما ان يكون لعله في المعنى المستودع فيها واما ان يكون لعله في السامع المستخرج فان كان السبب المانع من فهمها لعله في الكلام المترجم عنها لم يخل ذلك من ثلاثة احوال \* احدها \* ان يكون لتقصير اللفظ عن المعنى فيصير تقصير اللفظ عن ذلك المعنى سببا مانعا من فهم ذلك المعنى وهذا يكون من احد وجهين اما من حصر المتكلم وعيه واما من بلادته وقلة فهمه \* الحال الثاني \* ان يكون لزيادة اللفظ على المعنى فتصير الزيادة علة مانعة من فهم المقصود منه وهذا قد يكون من احد وجهين اما من هذر المتكلم واكثره واما لسوء ظنه بفهم سامعه \* والحال الثالث \* ان يكون لمواضعة يقصدها المتكلم بكلامه فاذا لم يعرفها السامع لم يفهم معانيها واما تقصير اللفظ وزيادته فمن الاسباب الخاصة دون العامة لانك لست تجد ذلك عاما في كل الكلام واما تجده في بعضه فان عدلت عن الكلام المقصر الى الكلام المستوفى وعن الزائد الى الكافي ارحت نفسك من تكلف ما يكدر خاطرك وان اقت على استخراجها اما لضرورة دعوتك اليه عند اعواز غيره او لجمية داخلتك عند تعذر فهمه فانظر في سبب الزيادة والتقصير فان كان التقصير لحصر الزيادة لهذر سهل عليك استخراج المعنى منه لان ماله من الكلام محصول لا يجوز ان يكون المختل

منه اكثر من الصحيح و في الاكثر على الاقل دليل و ان كانت زيادة اللفظ على المعنى دليلا لسوء ظن المتكلم بفهم السامع كان استخراجها اسهل وان كان تقصير اللفظ عن المعنى لسوء فهم المتكلم فهو اصعب الامور حالا و بعدها استخراجها لان ما لم يفهمه مكلّمك فانت من فهمه ابعده الا ان يكون بفرط ذكائك وجوده خاطرك تنبهه باشارته على استنباط ما يحجز عنه و استخراج ما قصر فيه فتكون فضيلة الاستيفاء لك و حق التقدم له و اما المواضعة فضريان عامة و خاصة اما العامة فهي مواضعة العلماء فيما جعلوه القابا لمعان لا يستغنى المتعلم عنها ولا يقف على معنى كلامهم الا بها كما جعل المتكلمون الجواهر و الاعراض و الاجسام القابا تواضعوها اعان اتفقوا عليها و لست تجد من العلوم علما يخلو من هذا و هذه المواضعة العامة تسمى عرفا و اما الخاصة فمواضعة الواحد يقصد بباطن كلامه غير ظاهره فاذا كانت في الكلام كانت رمزا \* و ان كانت في الشعر كانت لغزا \* فاما الرمز فلست تجده في علم معنوي \* ولا في كلام لنوي \* و انما يختص غالبا بحدس شينين اما بمذهب شنيع يخفيه معتقده و يجعل الرمز سببا لتطلع النفوس اليه و احتمال التأويل فيه سببا لدفع التهمة عنه و اما لما يدعى اربابه انه علم معوز \* و ان ادراكه بديع مجز \* كالصنعة التي وضعها اربابها اسماء لعلم الكيمياء فرمزوا باوصافه و اخفوا معانيه ليوهموا الشح به و الاسف عليه خديعة للعقول الواهية و الآراء الفاسدة و قد قال الشاعر

\* منعت شيئا فاكثرت الولوع به \* احب شيء الى الانسان ما منعنا \*  
 ثم ليكونوا براء من عهده ما قالوه اذا جرب ولو كان ما تضمن هذين النوعين و اشباههما من الرموز معنى صحيحا و علما مستفادا نخرج من الرمز الخفي الى العلم الجلي فان اغراض الناس مع اختلاف اهوائهم لا تتفق على ستر سليم و اخفاء مفيد و قد قال زهير

\* الستردون الفاحشات ولا \* يلتمك دون الخير من ستر \*  
 وربما استعمل الرمز من الكلام فيما يراد تفخيمه من المعاني و تعظيمه من الالفاظ ليكون احلى في القلوب موقعا \* و اجل في النفوس موضعا \* فيصير بالرمز

سأثراً وفي الصحف مخددا كالذي حكى عن فيثاغورس في وصاياه المرموزة انه قال  
احفظ ميراثك من البذى واوزانك من الصدى يريد بحفظ اللسان الميران من  
البذى حفظ اللسان من الخنا وحفظ الاوزان من الصدى حفظ العقل من الهوى  
فصار بهذا الرمز مستحسنا ومدونا ولو قاله باللفظ الصريح \* والمعنى الصحيح \*  
لما سار عنه \* ولا استحسن منه \* وعلة ذلك ان المحجوب عن الافهام كالمحجوب  
عن الابصار فيما يحصل له في النفوس من التعظيم \* وفي التلويح من التفتيح \*  
وما ظهر منها ولم يتحجب هان واسترذل وهذا انما يصح استخلاؤه فيما قل  
وهو باللفظ الصريح مستقل فاما العلوم المنتشرة التي تتطلع النفوس اليها  
فقد استغنت بقوة الباعث عليها \* وشدة الداعي اليها \* عن الاستدعاء اليها برمز  
مستحلي ولفظ مستغرب بل ذلك منفر عنها لما في التشاغل باستخراج رموزها  
من الابطاء عن دركها فهذا حال الرمز واما اللغز فهو تحرى اهل الفراغ  
وشغل ذوى البطالة ليتنافسوا في تباين قرأحهم ويتفاخروا في سرعه خواطرهم  
فيستكدوا خواطرا قد منحوا صحتها فيما لا يجدى نفعا ولا يفيد علما كاهل الصراع  
الذين قد صرفوا ما منحوه من صحة اجسامهم الى صراع كدود يصرع عقولهم  
ويهد اجسامهم ولا يكسبهم حدا ولا يجدى عليهم نفعا انظر الى قول الشاعر  
\* رجل مات وخلف رجلا \* ابن ام ابن ابى اخت ابيه \*  
\* معه ام بنى اولاده \* و ابا اخت بنى عم اخيه \*  
اخبرنى عن هذين البيتين وقد روعك صعوبة ما تضمنتهما من السؤال اذا  
استكديت الفكر في استخراجاه فعلت انه اراد ميتا خلف ابا وزوجة وعم  
ما الذى افادك من العلم ونفى عنك من الجهل ألسنت بعد علمه تجهل ما كنت  
جاهلا من قبله ولو ان السائل قلب لك السؤال فاخر ما قدم وقدم ما اخر لكنت  
في الجهل به قبل استخراجاه كما كنت في الجهل الاول وقد كدبت نفسك واتعبت  
خاطرك ثم لا تعدم ان يرد عليك مثل هذا مما تجهله فتكون فيه كما كنت قبله  
فاصرف نفسك تولى الله رشذك عن علوم النوكى وتكلف البطالين فقد روى  
عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه  
ثم اجعل ما من الله به عليك من صحة القريحة وسرعة الخاطر مصروفا الى علم

ما يكون انفاق خاطرك فيه مذخورا \* وكذ فكرك فيه مشكورا \* وقد روى  
 سعيد بن ابي هند عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ ونحن نستعبد بالله  
 من ان نغبن بفضل نعمته، علينا ونجهل نفع احسانه اليانا وقد قيل في منشور  
 الحكم من الفراغ تكون الصبوة وقال بعض البلغاء من اضى يومه في غير حق  
 قضاء \* او فرض اداه \* او مجد الله \* او جد حمله \* او خير اسسه \*  
 او علم اقتبسه \* فقد عقى يومه وظلم نفسه وقال بعض الشعراء  
 \* لقد اهاج الفراغ عليك شعلا \* واسباب البلاء من الفراغ \*  
 فهذا تعليل ما في الكلام من الاسباب المانعة من فهم معانيه حتى خرج بنا الاستيفاء  
 والكشف الى الاغماض واما التسم الثاني وهو ان يكون السبب المانع من  
 فهم السامع لعلته في المعنى المستودع فلا يخلو حال المعنى من ثلاثة اقسام اما  
 ان يكون مستقلا بنفسه او يكون مقدمة لغيره او يكون نتيجة من غيره فاما  
 المستقل بنفسه فضربان جلي وخفي فاما الجلي فهو يسبق الى فهم متصوره  
 من اول وهلة وليس هو من اقسام ما يشكل على من تصوره واما الخفي فيحتاج  
 في ادراكه الى زيادة تأمل وفضل معانة لينجلي عما اخفي وينكشف عما اغض  
 وباستعمال الفكر فيه يكون الارتياض به وبالارتياض به يسهل منه ما استصعب  
 ويقرب منه ما بعد فان الرياضة جراءة وللدراسة تأثيرا واما ما كان مقدمة  
 لغيره فضربان احدهما ان تقوم المقدمة بنفسها وان تعدت الى غيرها فتكون  
 كالمستقل بنفسه في تصوره وفهمه مستدعيان لنتيجته والثاني ان يكون مقفرا  
 الى نتيجته فيتعذر فهم المقدمة الا بما يتبعها من النتيجة لانها تكون بعضا  
 وتبعض المعنى اشكل له وبعضه لا يغنى عن كله واما ما كان نتيجة لغيره فهو  
 لا يدرك الا باوله ولا يتصور على حقيقته الا بمقدمته والاشتغال به قبل المقدمة  
 عناء \* واتعاب الفكر في استنباطه قبل قاعدته اذاء \* فهذا يوضح تعليل ما في  
 المعاني من الاسباب المانعة من فهمها واما القسم الثالث وهو ان يكون السبب  
 المانع لعلته في المستمع فذلك ضربان احدهما من ذاته والثاني من طار عليه فاما ما  
 كان من ذاته فيتنوع نوعين احدهما ما كان مانعا من تصور المعنى والثاني ما كان

الاشياء  
 نظمه  
 صبيد  
 مال  
 صاح

الاشياء  
 دخل تحت  
 انك خير  
 عابه  
 بقاء



مانعا من حفظه بعد تصوره وفهمه، فاما ما كان مانعا من تصور المعنى وفهمه فهو البلادة وقلة الفطنة وهو الداء العياء وقد قال بعض الحكماء اذا فقد العالم الذهن قل على الاضداد احتجابه \* وكثر الى الكعب احتياجه \* وليس لمن بلي به الا الصبر والاقبال لانه على التليل اقدر \* وبالصبر اخرى ان ينال ويظفر \* وقد قال بعض الحكماء قدم لحاجتك بعض الجاجتك وليس يقدر على الصبر من هذا حاله الا ان يكون غالب الشهوة بعيد الهمة فيشعر قلبه الصبر لتوة شهوته وجسده احتمال التعب لبعده هيمته فاذا تلوح له المعنى بمساعدة الشهوة اعتمه ذلك الطاح الآملين ونشاط المدركين فتمل عنده كل كثير \* وسهل عليه كل عسير \* وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تتلون ما تحبون الا بالصبر على ما تكرهون \* ولا تبلغون ما تهوون الا بترك ما تشتهون \* وقيل في مشور الحكم اتعب قدمك \* فان تعب قدمك \* وقال بعض البلغاء اذا اشتد الكلف \* هانت الكلف \* وانشد بعض اهل الادب لعلي بن ابي طالب كرم الله وجهه

\* لا تجزى ولا يدخلك مضجرة \* فالنجح يهلك بين العجز والضعف \*  
 واما المانع من حفظه بعد تصوره وفهمه فهو النسيان الحادث عن غفلة التقصير واهمال التواني فينبغي لمن بلي به ان يستدرك تقصيره بكثرة الدرس ويوقظ غفلة بادامة النظر فقد قيل لا يدرك العلم من لا يطيل درسه \* ويكد نفسه \* وكثرة الدرس كدود لا يصبر عليه الا من يرى العلم مغنا \* وابهالة مغرما \* فيحتمل تعب الدرس ليدرك راحة العلم وينفي عنه معرفة الجهل فان نيل العظيم بامر عظيم وعلى قدر الرغبة تكون المطالب وبحسب الراحة يكون التعب وقد قيل طلب الراحة قلة الاستراحة وقال بعض الحكماء اكل الراحة ما كانت عن كد التعب \* واعز العلم ما كان عن ذل الطلب \* وربما استتمل المتعلم الدرس والحفظ واتكل بعد فهم المعاني على الرجوع الى الكتب والمطالعة فيها عند الحاجة فلا يكون الا كمن اطلق ما صاده ثقة بالقدرة عليه بعد الامتناع منه فلا تعبه الثقة الا خجلا والتفريط الاندما وهذه حال قديعو اليها احد ثلاثة اشياء اما الضجر من معاناة الحفظ ومراعاة وطول الامل في التوفر عليه

اعد الاس  
 وهو اول  
 ح في الاس  
 بلجايا  
 الالزام  
 والاطم  
 كالمين  
 لاد  
 هين  
 غم في  
 خسر  
 ف

عليه عند نشاطه وفساد الرأي في عزيمة وليس يعلم ان الضجور خائب وان  
الطويل الأمل مغرور وان الفاسد الرأي مصاب والعرب تقول في امثالها  
حرف في قلبك \* خير من الف في كتبك \* وقالوا الاخير في علم لا يعبر معك  
الواني \* ولا يعمر بك النادي \* وانشدت عن الربيع للتافعي رضي الله عنه  
\* علمي معي حيث ما عيتم ينفعني \* قلبي وعاء له لا بطن صندوق \*  
\* ان كنت في البيت كان العلم فيه معي \* او كنت في السوق كان العلم في السوق \*  
وربما اعتنى المتعلم بالحفظ من غير تصور ولا فهم حتى يصير حافظا لالفاظ المعاني  
قيما بتلاوتها وهو لا يتصورها ولا يفهم ما تضمنها يروي بغير روية ويخبر عن  
غير خبرة فهو كالكتاب الذي لا يدفع شبهة ولا يؤيد حجة وقد روى عن  
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال همة السفهاء الرواية \* وهمة العلماء الرعايه \*  
وقال ابن مسعود رضي الله عنه كونوا للعلم رعا \* ولا تكونوا له رواه \* فقد  
يرعوى من لا يروي \* ويروي من لا يرعوى \* وحدث الحسن البصري بحديث  
فقال له رجل يا ابا سعيد عن قال ما تصنع بعين اما انت فقد نالتك عظمة \*  
وقامت عليك حجة \* وربما اعتمد على حفظه وتصوره واغفل تقيد العلم في  
كتبه ثقة بما استقر في ذهنه وهذا خطأ منه لان الشكل معترض والنسيان  
طارق وقد روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قيدوا العلم  
بالكتاب وروى ان رجلا شكى الى النبي صلى الله عليه وسلم النسيان فقال له  
استعمل يدك اى اكتب حتى ترجع اذا نسيت الى ما كتبت وقال الخليل بن احمد  
اجعل ما في الكتاب رأس المد وما في القلب النفقة وقال مهمود لولا ما عقده  
الكتب من تجارب الاولين \* لانحل مع النسيان عقود الآخرين \* وقال  
بعض البلغاء ان هذه الآداب نوافر تند عن عقل الاذهان فاجعلوا الكتب  
عنها حياه \* والاقلام لها رعا \* واما الطواري فنوعان احدهما شبهة  
تعترض المعنى فتمنع عن نفس تصوره وتدفع عن ادراك حقيقته فينبغي ان يزيل  
تلك الشبهة عن نفسه بالسؤال والنظر ليصل الى تصور المعنى وادراك حقيقته  
ولذلك قال بعض العلماء لا تحل قلبك من المذاكرة فعود عقيما \* ولا تعف طبعك  
من المناظرة فيعود سقيما \* وقال بشار بن برد

\* شفاء العمى طول السؤال وانما \* دوام العمى طول السكوت على الجهل \*

\* فكن سائلا عما عناك فالتمس \* دعيت اخا عقل لتبحث بالعقل \*

و الثاني افكار تعارض الخاطر فيذهل عن تصور المعنى وهذا سبب قل ما يعرى  
منه احد لا سيما فيمن انبسطت آماله واتسعت امانيه وقد يقل فيمن لم يكن له في  
غير العلم ارب ولا فيما سواه همة فان طرأت على الانسان لم يقدر على مكابرة نفسه  
على الفهم وغلبة قلبه على التصور لان التلب مع الاكراه اشد نفورا و ابعد  
قبولا وقد جاء الاثر بان التلب اذا ~~سكره~~ عمى ولكن يعمل في دفع ما طرأ  
عليه من هم مذهل او فكر قاطع ليستجيب له التلب مطيعا وقد قال الشاعر

\* وليس بمن في المودة شافع \* اذا لم يكن بين الضلوع شفيع \*

وقال بعض الحكماء ان لهذه القلوب تنافر كتنافر الوحش فألفوها بالاقتصاد في  
التعليم والتوسط في التقديم لتحسن طاعتها ويدوم نشاطها. فهذا تعليلا ما في المستمع  
من الاسباب المانعة من فهم المعاني وهاهنا قسم رابع يمنع من معرفة الكلام وفهم  
معانيه ولكنه قد يعرى من بعض الكلام فلذلك لم يدخل في جملة اقسامه ولم نستجز  
الاخلاق بذكره لان من الكلام ما كان مسموعا لا يحتاج في فهمه الى تأمل الخطبه  
والمنايع من فهمه هو على ما ذكرنا من اقسامه ومنه ما كان مستودعا بالخط  
محفوظا بالكتابة مأخوذا بالاخراج فكان الخط حافظا له ومعبرا عنه وقد  
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما في قوله تعالى واثارة من العلم قال يعنى  
الخط وروى عن مجاهد في قوله تعالى يؤتى الحكمة من يشاء يعنى الخط ومن يؤتى  
الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا يعنى الخط والعرب تقول الخط احد اللسانين  
وحسنه احد الفصاحتين وقال جعفر بن يحيى الخط سمط الحكمة به يفصل  
شذورها \* وينظم منشورها \* وقال ابن المقفع اللسان مقصور على القريب  
الحاضر والتلم على الشاهد والغائب وهو للغابر الكائن مثله للقاء الدائم وقال  
حكيم الروم الخط هندسة روحانيه \* وان ظهرت باكة جسمانيه \* وقال حكيم  
العرب الخط اصل في الروح وان ظهر بجواس الجسد واختلف في اول من كتب  
الخط فنذكر كعب الاحبار ان اول من كتب آدم عليه السلام كتب سائر الكتب  
قبل موته بثلاثمائة سنة في طين ثم طبخه فلما غرقت الارض في ايام نوح على نبينا

وعليه السلام بقيت الكتابه فاصاب كل قوم كتابهم وبقى الكتاب العربي الى ان خص الله تعالى به اسمعيل فاصابه وتعلمها وحكى ابن قتيبة ان اول من كتب انديس على نبينا وعليه السلام وكانت العرب تعظم قدر الخط وتعدده من اجل نافع حتى قال عكرمة بلغ فداء اهل بدر اربعة آلاف حتى ان الرجل ليفادي على انه يعلم الخط لما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره وظهور نفعه واثره وقد قال الله تعالى لنبينا صلى الله عليه وسلم اقرأ وربك الاكرم الذي علم بالقلم فوصف نفسه بالكرم واعد ذلك من نعمه العظام \* ومن آياته الجسام \* حتى اقسام به في كتابه فقال سبحانه وتعالى نون والقلم وما يسطرون فاقسم بالقلم وما يخط بالقلم واختلف في اول من كتب بالعربية فذكر كعب الاحبار ان اول من كتب به آدم عليه السلام ثم وجدها بعد الطوفان اسمعيل على نبينا وعليه السلام وحكى ابن عباس رضى الله عنه ان اول من كتب بها ووضعها اسمعيل عليه السلام على لفظه ومنطقه وحكى عروة بن الزبير رضى الله عنه ان اول من كتب بها قوم من الاوائل اسمائوهم ابيد وهوز وحطى وكلمن وسعقص وقرشت وكانوا ملوك مدين وحكى ابن قتيبة في المعارف ان اول من كتب بالعربي مرار بن مرة من اهل الانبار ومن الانبار انتشرت وحكى المدائني ان اول من كتب بها مرار بن مرة واسم بن سدره وعامر بن حذرة فرار وضع الصور واسم فصل ووصل وعامر وضع الاجمام ولما كان الخط بهذا الحال وجب على من اراد حفظ العلم ان يعبأ بامرئ احدهما تقويم الحروف على اشكالها الموضوعه لهما والثاني ضبط ما اشتهر منها بالنقط والاشكال المهيمة لهما ثم ما زاد على هذين من تحسين الخط وملاحه نظمها فلما هو زينة حذق بصنعة وليس بشرط في صحته وقد قال علي بن عبيدة حسن الخط لسان اليد وبهجة الضمير وقال ابو العباس المبرد رداء الخط زمانة الاب وقال عبد الحميد البيان في اللسان والخط في البنان وانشدني بعض اهل العلم لاحد شعراء البصرة

- \* اعذر احلك على نزاله خطه \* واغفر نزالته بلودة ضبطه \*  
 \* فاذا ابان عن المعاني لم يكن \* تحسينه الا زيادة شرطه \*

\* واعلم بان الخط ليس يراد من \* تركيبه الا تبين سمطه \*  
 ومحل ما زاد على الخط المفهوم من تصحيح الحروف وحسن الصورة محل ما زاد على  
 الكلام المفهوم من فصاحة الالفاظ وصحة الاعراب وانك قالت العرب حسن الخط  
 احد الفصاحتين وكما انه لا يعذر من اراد التقدم في الكلام ان يطرح الفصاحة  
 والاعراب وان فهم وافهم كذلك لا يعذر من اراد التقدم في الخط ان يطرح  
 تصحيح الحروف وتحسين الصورة وان فهم وافهم وربما تقدم بالخط من كان الخط  
 من جل فضائله \* واشرف خصائله \* حتى صار عالما مشهورا \* وسيدا مذكورا \*  
 غير ان العلماء اطرحوا صرف الهممة الى تحسين الخط لانه يشغلهم عن العلم  
 ويقطعهم عن التوفر عليه ولذلك تجدد خطوط العلماء في الاغلب رديئة لا يخط  
 الا من اسعده القضاء وقد قال الفضل بن سهل من سعادة المرء ان يكون رديء الخط  
 لان الزمان الذي يفنيه بالكتابة يشغله بالحفظ والنظر وليست رداءة الخط هي  
 السعادة وانما السعادة ان لا يكون له صارف عن العلم وعادة ذى الخط الحسن  
 ان يتشاغل بتحسين خطه عن العلم فمن هذا الوجه صار برداءة خطه سعيدا  
 وان لم تكن رداءة الخط سعادة واذا كان ذلك كذلك فتمد يعرض للخط اسباب  
 تمنع من قراءته ومعرفة كما يعرض للكلام اسباب تمنع من فهمه وصحته  
 والاسباب المانعة من قراءة الخط وفهمه ما تضمنه قد تكون من ثمانية اوجه  
 \* احدها \* اسقاطه الفاظ من اثناء الكلام يصير الباقي بها مبتورا لا يعرف  
 استخراجها ولا يفهم معناها وهذا يكون اما من سهو الكاتب او من فساد نقله  
 وهذا يسهل استنباطه على من كان مرتاضا بذلك النوع فيستدل بحواشي الكلام  
 وما سلم منه على ما سقط او فسد لاسيما اذا قل لان الكلمة تستدعي ما يليها ومعرفة  
 المعنى توضح عن الكلام المترجم عنه فالما من كان قليل الارتياض بذلك النوع  
 فانه يصعب عليه استنباط المعنى منه لاسيما اذا كان كثيرا لانه يحتاج في فهم  
 المعاني الى الفكرة والروية فيما قد استخراجها بالكتابة فاذا هو لم يعرف تمام  
 الكلام المترجم عن المعنى قصر فهمه عن ادراكه وضل فكره عن استنباطه  
 \* والوجه الثاني \* زيادة الفاظ في اثناء الكلام يشكل بها معرفة الصحيح  
 غير الزائد من معرفة السقيم الزائد فيصير الكل مشكلا وهذا لا يكاد يوجد كثيرا

الان يقصد الكاتب تعمية كلامه فيدخل في اثنائه ما يمنع من فهمه، فيصير ذلك رمزاً يعرف بالمواضعة فاما وقوعه سهواً فقد يكون بالكلمة والكلمتين وذلك لا يمنع من فهمه على المرتاض وغيره ﴿ والوجه الثالث ﴾ اسقاط حروف من اثناء الكلمة يمنع من استخراجها على الصحة وقد يكون هذا تارة من السهو فيقل وتارة من ضعف الهجاء فيكثر والقول فيه كالتقول في الوجه الاول ﴿ والوجه الرابع ﴾ زيادة حروف في اثناء الكلمة يشكل بها معرفة الصحيح من حروفها وهذا يكون تارة من سهو الكاتب فيقل فلا يمنع من استخراج الصحيح ويكون تارة لتعمية ومواضعة يقصد بها الكاتب اخفاء غرضه فيكثر كالتراجم ويكون القول فيه كالتقول في الوجه الثاني ﴿ والوجه الخامس ﴾ وصل الحروف المفصولة وفصل الحروف الموصولة فيدعو ذلك الى الاشكال لان الكلمة ينبئ عليها وصل حروفها ويمنع فصلها من مشاركة غيرها فان كان ذلك من سهو قل فسهل استخراجها وان كان ذلك من قلة معرفة بالخط او مشقاً تشبى به اليد كثيراً فصعب استخراجها الا على المرتاض به ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه شر الكتابة الشبق كما ان شر القراءة الهدرمة وان كان لتعمية والرمز لم يعرف الا بالمواضعة ﴿ والوجه السادس ﴾ تغيير الحروف عن اشكالها وابدالها باغيارها حتى يكتب الحاء على شكل الباء والصاد على شكل ازاء وهذا يكون في رموز التراجم ولا يوقف عليه الا بالمواضعة الا لمن قد زاد فيه الذكاء فقد رعى استخراج المعنى ﴿ والوجه السابع ﴾ ضعف الخط عن تقويم الحروف على الاشكال الصحيحة واثباتها على الاوصاف الحقيقية حتى لا تكاد الحروف تمتاز عن اغيارها حتى تصير العين الموصولة كالفاء والمفصولة كالحاء وهذا يكون من رداءة الخط وضعف اليد واستخراج ذلك يمكن بفضل المعانة وشدة التأمل وربما اضجر قاريه \* واوهى معانيه \* ولذلك قيل ان الخط الحسن ليريد الحق وضوحاً ﴿ والوجه الثامن ﴾ اغفال النقط والاشكال التي تتميز بها الحروف المشبهة وهذا ايسر امرا واخف حالاً لان من كان ميمراً بصحة الاستخراج ومعرفة الخط لم ينف عليه معرفة الخط وفهم ما تضمنه مع اغفال النقط والاشكال بل استقبح الكتاب ذلك في المكتبات ورأوه من تقصير

الكتاب اوسوء ظنه بفهم المكاتب وان كان استقباحهم له في مكتبة الرؤساء  
 اكثر حتى قدامة بن جعفر ان بعض كتاب الدواوين حاسب عاملا فشكى  
 العامل منه الى عبيد الله بن سليمان وكتب رقعة يذكر فيها احتجاجا لصحة دعواه \*  
 ووضوح شكواه \* فوقع فيها عبيد الله بن سليمان هذا هذا فاخذها العامل  
 وقرأها فظن ان عبيد الله اراد بهذا هذا اثباتا لصحة دعواه وصدق قوله كما  
 يقال في اثبات الشيء هو هو فحمل الرقعة الى كاتب الديوان واره خط  
 عبيد الله وقال له ان عبيد الله قد صدق قولى و صحح ما ذكرت فخفى على  
 الكاتب ذلك واطيف به على كتاب الدواوين فلم يقفوا على مراد عبيد الله  
 ورد اليه ليسأل عن مراده به فشدد عبيد الله الكلمة الثانية وكتب تحتها والله  
 المستعان استعظا ما منه لتقصيرهم في استخراج مراده حتى احتاج الى ابانة بالشكل  
 فهذه حال الكتاب في استقباحهم اعجام المكاتب بالنقط والاشكال فاما غير المكاتب  
 من سائر العلوم فلم يروه قبيحا بل استحسوه لاسيما في كتب الادب التي يقصد بها  
 معرفة صيغة الالفاظ وكيفية مخارجها مثل كتب النحو واللغة والشعر الغريب  
 فان الحاجة الى ضبطها بالشكل والاعجام اكثر \* وهى فيما سواه من العلوم ايسر \*  
 وقد قال النورى الخطوط المعجمه \* كالبرود المعلمه \* وقال بعض البلغاء اعجام  
 الخط يمنع من استجمامه وشككاه يؤمن من اشكاله وقال بعض الادباء رب علم لم  
 تعجم فصوله \* فاستجمم محصوله \* وكما استقبح الكتاب الشكل والاعجام في  
 المكاتب وان كان في كتب العلوم مستحسنا فكذلك استحسنوا مشق الخط في  
 المكاتب وان كان في كتب العلوم مستقبحا وسبب ذلك انهم لفرط ادلالهم في  
 الصنعة وتقدمهم في الكتابة يكتفون بالاشارة ويقتصرون على التلويح  
 ويرون الحاجة الى استيفاء شروط الابانة تقصيرا ولفضل ما يعتقدونه من  
 التقدم بهذا الحال رأوا مانبه عليه من سواد المداد اثرا جيلا \* وعلى الفضل  
 والخصيص دليلا \* حكى ان عبيد الله بن سليمان رأى على بعض ثيابه اثر صفرة  
 فاخذ من مداد الدواة فطلاه به ثم قال المداد بنا احسن من الزعفران وانشد  
 \* انما الزعفران عطر العذارى \* ومداد الدوى عطر الرجال \*  
 فهذه جملة كافية في الابانة على الاسباب المانعة من فهم الكلام ومعرفة

معانيه لفظا كان او خطأ والله ولي التوفيق فينبغي لطالب العلم ان يكشف عن الاسباب المانعة عن فهم المعنى ليسهل عليه الوصول اليه ثم يكون من بعد ذلك سائسا لنفسه مدبرا لهافي حال تعلمه فان النفس نفورا يفضى الى تقصير ووفورا يؤول الى سرف وقيامها عسرولها احوال ثلاث فحال عدل وانصاف\* و حال غلو و اسراف\* و حال تقصير واجحاف\* فاما حال العدل و الانصاف فهي ان تختلف قوى النفس من جهتين متقابلتين طاعة مسعدة و شفقة كافة فطاعتها تمنع التقصير\* و شفقتها ترد عن السرف و التبذير\* و هذه احدى الاحوال لان ما منع من التقصير بما وما صد عن السرف مستديم والنمو اذا استدام فاخلق به ان يستكمل و قال بعض الحكماء ايك و مفارقة الاعتدال فان السرف مثل المقصر في الخروج عن الحد و اما حال الغلو و الاسراف فهي ان تختص النفس بقوى الطاعة و تقدم قوى الشفقة فيبعثها اختصاص الطاعة على افراغ الجهد و يفضى افراغ الجهد الى مجز الكلال فيؤدى مجز الكلال\* الى الترك و الاهمال\* فتصير الزيادة نقصانا\* و الربح خسرانا\* و قد قالت الحكماء طالب العلم و عامل البر كاكل الطعام ان اخذ منه قوتا عصمه\* و ان اسرف فيه اشمه\* و ربما كان فيه منية ك اخذ الادوية التي فيها شفاء و مجاوزة التصد فيها السم المميت\* و اما حال التقصير و الاجحاف فهي ان تختص النفس بقوى الشفقة و تعدم قوى الطاعة فيدعوها الاشفاق الى المعصية و تمنعها المعصية من الاجابة فلا تطلب شاردا\* و لا تقبل عائدا\* و لا تحفظ مستودعا و من لم يطلب الشارد\* و يقبل العائد\* و يحفظ المستودع فقد الموجود\* و لم يجد المفقود\* و من فقد ما وجد فهو مصاب محزون\* و من لم يجد ما فقد فهو خائب مغبون\* و قد قال بعض الحكماء العجز مع الوانى\* و القوت مع التوانى\* و قد يكون للنفس مع الاحوال الثلاث حالتان مشتركتان بغاية احدى القوتين فيكون للنفس طاعة و اشفاق واحدهما اغلب من الآخر فان كانت الطاعة اغلب كانت الى الوفور اميل و ان كان الاشفاق اغلب كانت الى التقصير اقرب فاذا عرف من



نفسه قدر طاعتها وخبر منها كنه اشفاقها راض نفسه ان ثبت على احد حالاتها  
وقد اشار الى ما وصفنا من حال النفس الفرزدق في قوله

\* لكل امرء نفس كريمة \* واخرى يعاصيها الفتى ويطيعها \*  
\* ونفسك من نفسيك تشفع للئدى \* اذا قل من احرازهن شفيعها \*  
وان اهل سياستها \* فاغفل رياضتها \* ورام ان يأخذها بالعنف \* ويقهرها  
بالعسف \* استشاطت نافرة ولبت معاندة فلم تقم الى طاعة ولم تنكف عن معصية  
وقال سابق البربري

\* اذا زجرت بلوجا زدته حلتما \* ولبت النفس منه في تماديهما \*  
\* فعد عليه اذا ما نفسه جحت \* بالين منك فان اللين يثنيها \*  
فاذا استصعب عليه قياد نفسه ودام منه نفور قلبه مع سياستها \* ومعاناة رياضتها \*  
تركها ترك راحه \* ثم طوودها بعد الاستراحة \* فان اجابتها تسرع \* وطاعتها  
ترجع \* وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان القلب يموت ويحيى ولو  
بعد حين وقال ابن مسعود للتارب شهوة واقبال وفترة وادبار فأتوها من قبل  
شهوتها ولا تأتوها من قبل فترتها وقال الشاعر

\* وما سمي الانسان الا لانه \* ولا القلب الا انه يتقلب \*  
فاما الشروط التي يتوفر بها علم الطالب \* وينتهي معها كمال الراجب \*  
مع ما يلاحظ به من التوفيق ويمد به من المعونة فتسعة شروط ❖ احدها ❖  
العقل الذي يدرك به حقائق الامور ❖ والثاني ❖ الفطنة التي يتصور بها  
غوامض العلوم ❖ والثالث ❖ الذكاء الذي يستقر به حفظ ما تصوره وفهم  
ما علمه ❖ والرابع ❖ الشهوة التي يدوم بها الطلب ولا يسرع اليه الملل  
❖ والخامس ❖ الاكتفاء بمادة تفنيء عن كلف الطلب ❖ والسادس ❖  
الفراغ الذي يكون معه التوفر ويحصل به الاستكثار ❖ والسابع ❖ عدم  
القواطع المذهلة من هموم واعراض ❖ والثامن ❖ طول العمر واتساع  
المدة لينتهي بالاستكثار الى مراتب الكمال ❖ والتاسع ❖ الضفر بعالم سمح  
بعلمه متأان في تعليمه فاذا استكمل هذه الشروط التسعة فهو اسعد طالب وانجح  
متعلم وقد قال الاسكندر يحتاج طالب العلم الى اربع مدة وجدة وقرينة

وشهوة وتماهما في الخامسة معلم ناصح ﴿ فصل ﴾ وساذكر طرفا مما يتأدب به المتعلم ويكون عليه العالم اعلم ان المتعلم تلقا وتذلا فان استعملها غنم \* وان تركها حرم \* لان التلق للعالم يظهر مكنون علمه والتذلل له سبب لادامة صبره وباطهار مكنونه تكون الفائدة وباستدامة صبره يكون الاكثار وقد روى معاذ عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس من اخلاق المؤمن الملق الا في طلب العلم وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ذلت طالبا فعززت مطلوبا وقال بعض الحكماء من لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا وقال بعض حكماء الفرس اذا قعدت وانت صغير حيث تحب قعدت وانت كبير حيث لا تحب ثم ليعرف له فضل عمله وليشكر له جميل فعله فعدروت عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قرر عالما فقد قرر به وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه لا يعرف فضل اهل العلم الا اهل الفضل وقال بعض الشعراء

- \* ان العلم والطيب كلاهما \* لا ينحان اذا هما لم يكرما \*  
 \* فاصبر لدائك ان اهنت طبيبه \* واصبر لجهلك ان جفوت معلما \*  
 ولا يمنع علو منزلته ان كانت له وان كان العالم خاملا فان العلماء بعلمهم قد استحقوا التعظيم لا بالقدرة والمال وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر بن دريد  
 \* لا تحقرن عالما وان خلقت \* اثوابه في عيون راعقه \*  
 \* وانظر اليه بعين ذي ادب \* مهذب الرأى في طرائقه \*  
 \* فامسك يدينا تراه ممتهنا \* بفهر عطاره وساحته \*  
 \* حتى تراه في عارضى ملك \* وموضع التاج من مفارقة \*

وليكن مقتديا بهم في اخلاقهم متشبهيا بهم في جميع افعالهم ليصير لها ألفا وعليها ناشئا ولما خلفها مجانبا فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خيار شبانكم المتشبهون بشيوخكم وشرار شيوخكم المتشبهون بشبانكم وروى ابن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من تشبه بقوم فهو منهم وانشدني بعض اهل الادب لابي بكر بن دريد

\* العالم العاقل ابن نفسه \* اغناه جنس علمه عن جنسه \*  
 \* كن ابن من شئت وكن مؤدبا \* فانما المرء بفضله كيه \*  
 \* وليس من تكبره لغيره \* مثل الذي تكبره لنفسه \*  
 ويحذر المتعلم البسط على من يعلمه وان آتاه والادلال عليه وان تقدمت صحبته  
 قيل لبعض الحكماء من اذل الناس فقال عالم يجري عليه حكم جاهل وكلمت  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جارية من السبي فقال لها من انت فقالت  
 بنت الرجل الجوان حاتم فقال صلى الله عليه وسلم ارحموا عزيز قوم  
 ذل ارحموا غنيا افتقر ارحموا علما ضاع بين الجهال ولا يظهر له  
 الاستكفاء منه والاستغناء عنه فان في ذلك كفرا للنعمته واستخفافا بحقه وربما  
 وجد بعض المتعلمين قوة في نفسه بلودة ذكائه وحدة خاطره فقصده من يعلمه  
 بالاعتات له والاعتراض عليه ازراء به وتبكيته فيكون كمن تقدم فيه المثل  
 السائر لابي البطحاء

\* اعلمه الرماية كل يوم \* فلما استدساعده رماني \*  
 وهذه من مصائب العلماء وانعكاس حظوظهم ان يصيروا عند من يعلموه  
 مستجهلين \* وعند من قدموه مسترذلين \* وقال صالح بن عبد التدوس  
 \* وان عناء ان تعلم جاهلا \* فيحسب جهلا انه منك اعلم \*  
 \* متى يبلغ البيان يوما تمامه \* اذا كنت تبنيه وغيرك يندم \*  
 \* متى ينتهي عن سبى من اتى به \* اذا لم يكن منه عليه تدم \*  
 وقد رجح كثير من الحكماء حق العالم على حق الوالد حتى قال بعضهم  
 \* يا فخر السفا، بالسلف \* وتاركا للعلاء والشرف \*  
 \* آباء اجسادناهم سبب \* لان جعلنا عرائض التلف \*  
 \* من علم الناس كل خراب \* ذلك ابو الروح لا ابو النطف \*  
 ولا ينبغي ان يعيش معرفة الحق له على قبول الشبهة منه ولا يدعوه ترك الاعتات  
 له على التقليد فيما اخذ عنه، فانه ربما غلبا بعض الاتباع في علمهم حتى يروا ان  
 قوله دليل وان لم يستدل وان اعتقانه حجة وان لم يحجج فيفضي بهم الامر الى  
 التسليم له فيما اخذ منه فلا يجد ان تبطل تلك المقالة ان انفردت او يخرج اهلها

من عداد العلماء فيما شاركت لانه قد لا يرى لهم من يأخذ عنهم ما كانوا يرونه  
 لمن اخذوا عنه فيطالبهم بما قصرُوا فيه، فيضعفوا عن ابائهم، ويعجزوا عن  
 نصرته فيذهبوا ضائعين ويصيروا مجزة مضعوفين ولقد رأيت من هذه  
 العاجمة رجلا يناظر في مجلس حفل وقد استدل عليه الخصم بدلالة صحيحة فكان  
 جوابه عنها ان قال ان هذه دلالة فاسدة وجه فسادها ان شيخى لم يذكرها وما  
 لم يذكره الشيخ لا خير فيه فامسك عنه المستدل تعجبا ولان شيخه كان محتشما  
 وقد حضرت طائفة يرون فيه مثل ما رأى هذا الجاهل ثم اقبل المستدل على  
 وقال لى والله لقد احنى بجهله وصار سائر الناس المبرئين من هذه الجهالة ما بين  
 مستهزئ و متعجب \* و مستعذ بالله من جهل مغرب \* فهل رأيت كذلك عالما  
 او غل في الجهل \* و ادل على قلة العقل \* و اذا كان المتعلم معتدل الرأى فيمن  
 يأخذ عنه \* متوسط الاعتقاد ممن يتعلم منه \* حتى لا يحمله الاعنات على  
 اعتراض المبكتين \* ولا يبعثه النلو على تسليم المتلدين \* برئ المتعلم من  
 الذميين \* و سلم العالم من الجهتين \* و ليس كثرة السؤال فيما التبس اعناتا ولا  
 قبول ما صح في النفس تقليدا و قد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال  
 العلم خزان و مفتاحه السؤال فاسألوا رحمكم الله فلنما يؤجر في العلم ثلاثة القائل  
 و المستمع و الآخذ و قال عليه الصلاة و السلام هلا سألوا اذا لم يعلموا فلنما شفاء  
 الحى السؤال فامر بالسؤال وحث عليه و نهى آخرين عن السؤال و زجر عنه  
 فقال صلى الله عليه و سلم انهاكم عن قيل و قال و كثرة السؤال و اضاعة  
 المال و قال عليه الصلاة و السلام اياكم و كثرة السؤال فلنما هلك من قبلكم  
 بكثرة السؤال و ليس هذا مخالفا للاول و انما امر بالسؤال من قصد به  
 علم ما جهل و نهى عنه من قصد به اعنات ما سمع و اذا كان السؤال في  
 موضعه ازال الشكوك و نفي الشبهة و قد قيل لابن عباس رضى الله عنهما بم  
 نلت هذا العلم قال بلسان سؤال و قلب عقول و روى نافع عن ابن عمر رضى الله  
 عنهما ان النبي صلى الله عليه و سلم قال حسن السؤال نصف العلم و انشد  
 المبرد عن ابى سليمان النوى

\* فسل الفقيه تكن فقيها مثله \* لا خير في علم بغير تدبر \*

\* واذا تعسرت الامور فأرجعها \* وعليك بالامر الذي لم يعسر \*  
 وليأخذ المتعلم حظه ممن وجد طلبته عنده من نبيه وخامل ولا يطلب الصيت  
 وحسن الذكر باتباع اهل المنازل من العلماء اذا كان النفع بغيرهم اعم الا ان  
 يستوى النفعان فيكون الاخذ عن اشهر ذكره وارتفع قدره اولى لان الانتساب  
 اليه اجل والاخذ عنه اشهر وقد قال الشاعر

\* اذا انت لم يشهرك علمك لم تجد \* لعلمك مخلوقا من الناس يقبله \*  
 \* وان صانك العلم الذي قد حملته \* اناك له من يجتنيه ويحمّله \*

واذا قرب منك العلم فلا تطلب ما بعد واذا سهل من وجهه فلا تطلب ما صعب  
 واذا حدثت من خبرته فلا تطلب من لم تختبره فان العدول عن القريب الى البعيد  
 عناء \* وترك الاسهل بالاصعب بلاء \* والانتقال من الخبور الى غيره خطر وقد  
 قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه عقبى الاخرق مضرة \* والمتعسف لا تدوم  
 له مسره \* وقال بعض الحكماء القصد اسهل من التعسف \* والكف اودع  
 من التكلف \* وربما تتبع نفس الانسان من بعد عنه استهانة بمن قرب منه  
 وطلب ما صعب احتقارا لما سهل عليه وانتقل الى من لم يخبره ملائنا خبره  
 فلا يدرك محبوبا ولا يظفر بطائل وقد قالت العرب في امثالها العالم كالكعبة  
 يأتيها البعدهاء \* ويزهدها التبرياء \* وانشدني بعض شيوخنا اسير بن حاتم  
 \* لا ترى علما يحل بقوم \* فيحمله غير دار الهوان \*  
 \* قل ما توجد السلامة والصحة مجموعتين في انسان \*  
 \* فاذا حملتا كانا سحيقا \* فهما في النفوس معشوقتان \*  
 \* هذه مكية المنية بيت الله يسعى لوجهه - - - التقلان \*  
 \* ويرى ازهد البرية في السبع لها اهلها لتقرب المكان \*

❖ فصل ❖ فاما ما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق التي بهم اليق  
 ولهم الزم فالتواضع ومجانبة العجب لان التواضع عطوف والعجب منفر وهو  
 بكل احد قبيح وبالعلماء اقبح لان الناس بهم يقتدون وكثيرا ما يداخلهم  
 الاعجاب لتوحدتهم بفضيلة العلم ولو انهم نظروا حق النظر وعلوا بموجب  
 العلم لكان التواضع بهم اولى ومجانبة العجب بهم اخرى لان العجب نقص

ينافى الفضل لا سيما مع قول النبي صلى الله عليه وسلم ان العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب فلا يبق ما ادركوه من فضيلة العلم بما لحقهم من نقص العجب وقد روى عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قليل العلم خير من كثير العبادة وكفى بالمرء علما اذا عبد الله عز وجل وكفى بالمرء جهلا اذا اعجب برأيه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والحلم وتواضعوا لمن تعلمون ليتواضع لكم من تعلمونه ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم وقال بعض السلف من تكبر بعلمه وترفع وضعه الله به ومن تواضع بعلمه رفعه به وعلة اعجابهم انصرف نظرهم الى كثرة من دونهم من الجهال وانصرف نظرهم عن فوقهم من العلماء فانه ليس مثاه في العلم الا وسيجد من هو اعلم منه اذ العلم اكثر من ان يحيط به بشر قال الله تعالى ترفع درجات من نشاء يعنى في العلم وفوق كل ذى علم عليم قال اهل التأويل فوق كل ذى علم من هو اعلم منه حتى يذهب ذلك الى الله تعالى وقيل لبعض الحكماء من يعرف كل العلم قال كل الناس وقال الشعبي ما رأيت مثلى وما اشاء ان التى رجلا اعلم منى الا لقيته لم يذكر النسبى هذا القول تفضيلا لنفسه فيستبجح منه واما ذكره تعظيما للعلم عن ان يحاط به فينبغى لمن علم ان ينظر الى نفسه بتمصير ما قصر فيه ليعلم من عجب ما ادرك منه وقد قيل فى مشور الحكم اذا علمت فلا تفكر فى كثرة من دونك من الجهال ولكن انظر الى من فوقك من العلماء وانشدت لابن العميد

\* من شاء عيشا هنيئا يستفيد به \* فى دينه ثم فى دنياه اقبالا \*  
 \* فلينظرن الى من فوقه ادبا \* ولينظرن الى من دونه مالا \*  
 \* وقل ما تجدد بالعلم مجببا \* وبما ادرك متخبرا \* الامن كان فيه مقلا ومتصرا \*  
 \* لانه قد يجهل قدره \* ويحسب انه نال بالدخول فيه اكثره \* فاما من كان فيه \*  
 \* متوجها ومنه مستكثرا فهو يعلم من بعد غايته \* والحجز عن ادراك نهائيه \*  
 ما يصد عن العجب به وقد قال الشعبي العلم ثلاثة اشبار فمن نال منه شبرا  
 شمع بانفه وظن انه ناله ومن نال الشبر الثانى صغرت اليه نفسه وعلم انه لم ينله واما  
 الشبر الثالث فهيهات لا يناله احد ابدا وبما اندرك به من حالى انى صفت فى

البوع كتابا جمعت فيه ما استطعت من كتب الناس واجهدت فيه نفسي  
 وكددت فيه خاطري حتى اذا تهذب واستكمل وكدت اعجب به وتصورت  
 اني اشد الناس اضطلاعا بعلمه حضرتي وانا في مجلسي اعرابيان فسالاني عن  
 بيع عقدها في البادية على شروط تضمنت اربع مسائل لم اعرف لواحدة منهن  
 جوابا فاطرقت مفكرا \* وبحالي وحالهما معتبرا \* فقالا ما عندك فيما سألناك  
 جواب وانت زعيم هذه الجماعة فقلت لا فقالا واهالك وانصرفا ثم اتيا من  
 يتقدمه في العلم كثير من اصحابي فسالاه فاجابهما مسرعا بما اقعهما وانصرفا  
 عنه، راضين بجوابه حامدين لعلمه فبقيت مرتبا وبحالهما وحالي معتبرا واني  
 لعلني ما كنت عليه من المسائل الى وقتي فكان ذاك زاجر نصيحة ونذير عظة  
 تذلل بها قياد النفس وانخفض لهما جناح العجب توفيقا منحه ورشدا  
 اوتيته وحق على من ترك العجب بما يحسن ان يدع التكلف لما لا يحسن  
 فقدما نهى الناس عنهما \* واستعاذوا بالله منهما \* ومن اوضح ذلك بيانا  
 استعاذة الجاحظ في كتاب البيان حيث يقول اللهم انا نعوذ بك من فتنة القول  
 كما نعوذ بك من فتنة العمل ونعوذ بك من التكلف لما لا يحسن \* كما نعوذ بك  
 من العجب بما لا يحسن \* ونعوذ بك من شر السلاطة والهدر \* كما نعوذ بك  
 من شر العي والحصر \* ونحن نستعبد بالله تعالى مثل ما استعاذ فليس لمن تكلف  
 ما لا يحسن غاية ينتهي اليها ولا حد يقف عنده ومن كان تكلفه غير محدود  
 فالخلق به ان يضل ويضل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من  
 سئل فافتي بغير علم فقد ضل واصل وقال بعض الحكماء من العلم ان لا تتكلم فيما  
 لا تعلم بكلام من يعلم بحسبك جهلا من عتلك ان تعلق بما لا تفهم ولقد احسن  
 زرار بن زيد حيث يقول

\* اذا ما انتهى علمي تاهيت عنده \* اطال فأملي او تاهي فاقصر  
 \* ويخبرني عن غائب المرء فعلمه \* كفي الفعل عما غيب المرء مخبرا \*  
 فاذا لم يكن الى الاطاعة بالعلم سبيل فلا عار ان يجهل بعضه واذا لم يكن في  
 جهل بعضه عار لم يقبح به ان يقول لا اعلم فيما ليس يعلم وروى ان رجلا قال

يارسول الله اى البتاع خير و اى البتاع شر فقال لا ادرى حتى اسأل جبريل وقال  
 على بن ابي طالب رضى الله عنه وما ابردها على التلب اذا سئل احدكم فيما لا يعلم  
 ان يقول الله اعلم وان العالم من عرف ان ما يعلم فيما لا يعلم قليل وقال عبد الله بن  
 عباس رضى الله عنهما اذا ترك العالم قول لا ادرى اصيبت مقاتله وقال بعض  
 العلماء هلك من ترك لا ادرى وقال بعض الحكماء ليس لى من فضيلة العلم الا علمى  
 بانى لست اعلم وقال بعض البلغاء من قال لا ادرى علم قدرى ومن اتحل ما لا ادرى  
 اهل فهو و لا يندبى للرجل وان صار فى دابة العلماء الافضل ان يستنكف  
 من تعلم ما ليس عنده ليسلم من التكلف وقد قال عيسى بن مريم على نبينا وعليه  
 السلام يا صاحب العلم تعلم من العلم ما جهلت وعلم الجاهل ما علمت وقال على  
 ابن ابي طالب رضى الله عنه خمس خذوهن عنى فلو ركبتم الفلك ما  
 وجدتموهن الا عندى الا لا يرجون احد الا ربه \* ولا يخافن الاذنبه \*  
 ولا يستنكف العالم ان يتعلم لما ليس عنده واذا سئل احدكم عما لا يعلم فليقل  
 لا اعلم ومنزلة الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وقال عبدالله بن  
 عباس رضى الله عنهما لو كان احدكم يكتفى من العلم لاكتفى منه موسى على  
 نبينا وعليه السلام لما قال هل اتبعك على ان تعلمنى مما علمت رشدا وقيل للخليل  
 ابن احمد بم ادرى هذا العلم قال كنت اذا لقيت عالما اخذت منه واعطيته  
 وقال بزرجهر من العلم ان لا تحقر شيئا من العلم ومن العلم تفضيل جميع العلم  
 وقال المنصور لشريك انى لك هذا العلم قال لم ارض عن قليل استفيد \* ولم  
 الجمل بكثير افيد \* على ان العلم يقتضى ما بقى منه ويستدعى ما تأخر عنه  
 وليس للراغب فيه قناعة ببعده وروى عن ابن مسعود رضى  
 الله عنه انه قال منه ومان لا يشبعان طالب علم وطالب دينا اما طالب العلم فانه  
 يزداد للرحن رضى ثم قرأ ائمت يخشى الله من عباده العلماء واما طالب الدنيا فانه  
 يزداد طغيانا ثم قرأ كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى وليكن مستقلا للفضيلة  
 منه ليرداد منها ومستكثر التقيصة فيه لينتهى عنها ولا يقنع من العلم بما ادرك لان  
 القناعة فيه زهد وللزهد فيه ترك والتترك له جهل وقد قال بعض الحكماء عليك  
 بالعلم والاكثر منه فان قليله اشبهه شئ بقليل الخير وكثيره اشبهه شئ بكثيره ولن



يعيب الخبير الا التلثة فاما كثرتة فاذنهما امنية وقال بعض البلائء من فضل علمك استغلاك لعلمك ومن كمال عقلك استظهاارك على عتلك ولا ينبغي ان يجهل من نفسه مبلغ علمها ولا يتجاوز بها قدر حقها ولان يكون بها مقصرا فيدعن بالانقياء \* اولى من ان يكون بها مجاوزا فيكف عن الازدياد \* لان من جهل حال نفسه كان لغيرها اجهل وقد قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه وقد قسم الخليل بن احمد احوال الناس فيما عبوه او جهلوه اربعة اقسام متقابلة لا يخلو الانسان منها فقال الرجال اربعة رجل يدري ويدري انه يدري فذلك عالم فاسألوه \* ورجل يدري ولا يدري انه يدري فذلك ناس فذكروه \* ورجل لا يدري ويدري انه لا يدري فذلك مسترشد فارشده \* ورجل لا يدري ولا يدري انه لا يدري فذلك جاهل فارفضوه \* وانشد ابو القاسم الآمدى

\* اذا كنت لا تدري ولم تك بالذى \* يسائل من يدري فكيف اذا تدري \*  
 \* جهات ولم تعلم بانك جاهل \* فن لى بان تدري بانك لا تدري \*  
 \* اذا كنت من كل الامور معيما \* فكنا هكذا ارضا يطأك الذى يدري \*  
 \* ومن اعجب الاشياء انك لا تدري \* وانك لا تدري بانك لا تدري \*  
 وليكن من شيمته العمل بعلمه وحث النفس على ان تأقر بما يأمر به ولا يكن ممن قال الله تعالى فيهم مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الجمار يحمل اسفارا فقد قال قتادة في قوله تعالى وانه لذو علم لما علمناه يعنى انه عامل بما علم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ويل للجماع القول ويل للمصيرين يريد الذين يستمعون القول ولا يعملون به وروى عبد الله بن وهب عن سفيان ان الخضر على نبينا وعليه السلام قال لموسى عليه السلام يا ابن عمران تعلم العلم تعمل به ولا تتعلم لتحدث به فيكون عليك بوره \* ولغيرك نوره \* وقال على بن ابي طالب انما زهد الناس في طلب العلم لما يرون من قلة انتفاع من علم بما علم وقال ابو الدرداء اخوف ما اخاف اذا وقفت بين يدي الله ان يقول قد علمت فاذا علمت اذ علمت وكان يقال خير من القول فاعله \* وخير من الصواب قائله \* وخير من العلم حامله \* وقيل في مشور الحكم لم ينتفع بعلمه من ترك العمل به وقال

بعض العلماء ثمرة العلم ان يعمل به وثمره العمل ان يؤجر عليه وقال بعض الصالحاء العلم يهتف بالعمل \* فان اجابه اقام و الارتحل \* وقال بعض العلماء خير العلم ما نفع \* وخير القول ما ردع \* وقال بعض الالباء ثمرة العلوم \* العمل بالعلوم \* وقال بعض البلغاء من تمام العلم استعماله \* ومن تمام العمل استقلاله \* فمن استعمل علمه لم ينحل من رشده \* ومن استعمل عمله لم يقصر عن مراده \* وقال حاتم الطائي

\* ولم يحسدوا من عالم غير عامل \* خلافا ولا من عامل غير عالم \*  
 \* رأوا طرقا للمجد عوجا قطيعة \* واقطع عجز عندهم عجز حازم \*  
 لانه لما كان علمه حجة على من اخذ عنه واقبسه منه حتى يلزمه العمل به والمصير اليه كان عليه احج وله الزم لان مرتبة العلم قبل مرتبة القول كما ان مرتبة العلم قبل مرتبة العمل وقد قال ابو العتاهية رحمه الله

\* اسمع الى الاحكام تحملها الرواة اليك عنكا \*  
 \* واعلم هديت بانها \* حجج تكون عليك منك \*  
 ثم ليتجنب ان يقول ما لا يفعل وان يأمر بما لا يأمر به وان يسر غير ما يظهر ولا يجعل قول الشاعر هذا

\* اعلم بقولي وان قصرت في عملي \* ينفعك قولي ولا يضررك تقصيري \*  
 عذرا له في تقصير يضره وان لم يضر غيره فان اصرار النفس يفر بها ويحسن لها مساويها فان من قال ما لا يفعل فقد مكر ومن امر بما لا يأمر فقد خدع ومن اسر غير ما يظهر فقد نافق وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المكرو والخبيثة وصاحبها في النار على ان امره بما لا يأمر مطرح \* وانكاره ما لا ينكره من نفسه مستحب \* بل ربما كان ذلك سببا لاغراء المأمور بترك ما امره به عتادا \* وارتكاب ما نهى عنه كيدا \* وحكى ان اعرابيا اتى ابن ابي ذئب فسأله عن مسألة طلاق فافناه بطلاق امرأته فتمال انظر حسنا قال نظرت وقد بانت فولي الاعرابي وهو يقول

\* اتيت ابن ذئب ابني الفقه عنده \* فطلق حبي البت بت انامه \*  
 \* اطلق في فتوى ابن ذئب حليلتي \* وعند ابن ذئب اهله وحلائله \*

فظن بجعله انه لا يلزمه الملاقا بقول من لم يلتزم الطلاق فساظنك بقول يجب فيه اشراك الامر و الامور كيف يكون مقبولاً منه، وهو غير عامل به ولا قابل له كلا وقال احمد بن يوسف

- \* وعامل بالفجور يأمر بالبر **ك**هاد ينوض في الظلم \*
- \* او كطيب قد شفه سقم \* وهو يداوى من ذلك السقم \*
- \* يا واعظ الناس غير متعظ \* ثوبك طهر او لافلا تلم \*

❖ وقال آخر ❖

- \* عود لسانك قلة اللفظ \* واحفظ كلامك ايما حفظ \*
- \* اياك ان تعظ الرجال وقد \* اصبحت محتاجا الى الوعظ \*

واما الانقطاع عن العلم الى العمل و الانقطاع عن العمل الى العلم اذا عمل بموجب العلم فقد حكي عن الزهري فيه ما يغني عن تكلف غيره و هو انه قال العلم افضل من العمل لمن جهل و العمل افضل من العلم لمن علم و اما فضل ما بين العلم و العبادة اذا لم يخل بواجب و لم يقصر في فرض فقد روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال يبعث العالم و العابد فيقال للعابد ادخل الجنة و يقال للعالم اتد حتى تشفع للناس و من آداب العلماء ان لا يخلوا بتعليم ما يحسنون \* ولا يمتنعوا من افادة ما يعلمون \* فان البخل به لوم و ظلم \* و المنع منه حسد و اثم \* و كيف يسوغ لهم البخل بما نحوه جودا من غير بخل \* و اتوه عفوا من غير بذل \* ام كيف يجوز لهم الشح بما ان بذلوه زاد و نهي \* و ان كتموه تناقص و وهى \* و لو استن بذلك من تقدمهم لما وصل العلم اليهم و لا تقرر عنهم بانقرضهم و اصاروا على مرور الايام جهالا \* و يتلقب الاحوال و تناقصها اردالا \* و قد قال الله تعالى و اذ اخذ الله ميثاق الذين اتوا الكتاب ليعينه للناس و لا يكتمونه و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال لا تمنعوا العلم اهله فان في ذلك فساد دينكم و التباس بصائركم ثم قرأ ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات و الهدى من بعدما بيناه للناس في الكتاب اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون و روى عن النبي صلى الله عليه و سلم انه قال من كتم علما يحسنه الحمد الله يوم القيامة بلجام من نار و روى عن علي بن ابي طالب

كرم الله وجهه انه قال ما اخذ الله العهد على اهل الجبل ان يتعلموا حتى اخذ  
 على العهد اهل العلم ان يعلموا وقال بعض الحكماء اذا كان من قواعد الحكمة  
 بذل ما ينتصه البذل فاحرى ان يكون من قواعدها بذل ما يزيد البذل و قال  
 بعض العلماء كما ان الاستفادة نافلة للمتعلم كذلك الافادة فريضة على المعلم وقد  
 قيل في مشور الحكم من كتم علما فكأنه جاهل وقال خالد بن صفوان انى لا فرح  
 بافادتي المتعلم اكثر من فرحي باسفاقتي من المعلم ثم له بالتعليم نفعان احدهما ما يرجوه  
 من ثواب الله تعالى فقد جعل النبي صلى الله عليه وسلم التعليم صدقة فقال  
 تصدقوا على اخيكم بعلم يرشده \* ورأى يسدده \* وروى ابن مسعود عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم انه قال تعلموا وعلما فان اجر العالم والمعلم سواء قيل وما  
 اجرهما قال مائة مغفرة ومائة درجة في الجنة والنفق الثاني زيادة العلم واتقان الحفظ  
 فقد قال الخليل بن احمد اجعل لتعليمك دراسة لعلمك واجعل لمناظرة المتعلم تنبيهها  
 على ما ليس عندك وقال ابن المعتز في مشور الحكم النار لا يتمصها ما اخذ منها  
 ولكن يتمصها ان لا تجرد حطبها كذلك العلم لا يفضيه الاقتباس ولكن فقد الحاملين  
 له سبب عدمه فياك والجنل بما تعلم وقال بعض العلماء علم عليك وتعلم علم غيرك فاذا  
 علمت ما جهلت وحفظت ما علمت فاعلم ان المتعلمين ضربان مستدع وطالب فاما  
 المستدعى الى العلم فهو من استدعا العالم الى التعليم لما ظهر له من جودة ذكائه  
 وبان له من قوة خاطره فاذا وافق استدعا العالم شوية المتعلم كانت نتيجتها درك  
 النجباء \* وظفر السعداء \* لان العالم باستدعاه متوفر \* والمعلم بشهوته مستكثر \*  
 واما طالب العلم لداع يدعوه \* وباعث يحذوه \* فان كان الداعي دينيا \* وكان  
 المتعلم فطنا ذكيا \* وجب على العالم ان يكون عليه متبلا وعلى تعليمه متوفر الا يخفى  
 عليه مكنونا \* ولا يظوى عنه مخزونا \* وان كان بليدا بعيد الفطنة فيبغى ان  
 لا يجمع من اليسير فيحرم \* ولا يحمل عليه بالكثير فيظلم \* ولا يجعل بلادته ذريعة  
 لمزمانه فان الشهوة باعثة والصبر مؤثر وقد روى عن النبي صلى الله عليه  
 وسلم انه قال لا تمنعوا العلم اهله فتظاوا \* ولا تضعوه في غير اهله فتأثموا \*  
 وقال بعض الحكماء لا تمنعوا العلم احدا فان العلم امنع لجانبه فاما ان لم يكن  
 الداعي دينيا نظر فيه فان كان مباحا كرجل دعا الى طلب المعلم حب النباهة

فطلب الرئاسة فالقول فيه يقارب القول الاول في تعليم من قبل لان العلم يعطفه الى الدين في ثاني حال وان لم يكن مبتدأ به في اول حال وقد حكى عن سفیان الثوري انه قال تعلمنا العلم لغير الله تعالى فابي ان يكون الا لله وقال عبد الله ابن المبارك طلبنا العلم للدنيا فدلنا على ترك الدنيا وان كان الداعي محظورا كرجل دعاه الى طلب العلم ثم كامن ومكربطن يريد ان يستعملهما في شبه دينية وحيل فقهية لا تبيد اهل السلامة منها مخلصا ولا عنها مدفعا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم اهلك امتي رجلان عالم فاجر و جاهل متعبد وقيل يارسول الله اى الناس اشرف قال العلماء اذا فسدوا فينبغي للعالم اذا رأى من هذه حاله ان يمنعه عن طلبه \* ويصرفه عن بغيته \* فلا يعينه على امضاء مكره \* واعمال شره \* فقد روى انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال واضع العلم في غير اهله كبقلة الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب وقال عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام لا تلقوا الجوهر للخنزير فالعلم افضل من اللؤلؤ ومن لا يستحمته شر من الخنزير وحكى ان تلميذا سأل عالما عن بعض العلوم فلم يفده فقيل له لم منعه فقال لكل تربة غرس \* ولكل بناء اس \* وقال بعض البلغاء لكل ثوب لابس \* ولكل علم قابس \* وقال بعض الادباء ارث لروضة توسطها خنزير \* وابك لعلم حواه شرير \* وينبغي ان يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته وقدرا استحقاقيه ليعطيه ما يحمله بذكائه او يضعف عنه ببلادته فانه اروح للعالم وانجح للمتعلم وقد روى ثابت عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله عبادا يعرفون الناس بالتوسم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذا انالم اعلم ما لم ار فلا علمت ما رأيت وقال عبد الله بن الزبير لا عاش بخير من لم ير برأيه ما لم ير بعينه وقال ابن الرومي

- \* المعنى يرى باول رأى \* آخر الامر من وراء المغيب \*  
 \* لو دعى له فؤاد ذكى \* ما له في ذكائه من ضريب \*  
 \* لا يروى ولا يقبل طرفا \* واكف الرجال في تغليب \*  
 \* واذا كان العالم في توسم المتعلمين بهذه الصفة وكان بقدر استحقاقيهم خبيرا

لم يضع له عناء ولم يحب على يديه صاحب وان لم يتوسمهم وخفيت عليه احوالهم ومبلغ استحقاقهم كانوا واية في عناء مكند وتعب غير محد لانه لا يعدم ان يكون فيهم ذكى محتاج الى الزيادة وبليد يكتفى بالتليل فيضجر الذكى منه و يعجز البليد عنه ومن يردد اصحابه بين عجز وضجر ملوه وملهم وقد حكى عبد الله بن وهب ان سفيان بن عبد الله قال قال الخضر لموسى عليهما السلام يا طالب العلم ان القائل اقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك اذا حدثتهم يا موسى واعلم ان قلبك وعاء فانظر ما تحشو في وعالك وقال بعض الحكماء خير العلماء من لا يقل ولا يمل وقال بعض العلماء كل علم كثر على المستمع ولم يطاوعه الفهم ازداد القلب به عمى وانما ينفع سمع الآذان \* اذا قوى فهم القلوب في الابدان \* وربما كان لبعض السلاطين رغبة في العلم لفضيلة نفسه وكرم طبعه فلا يحول ذلك ذريعة في الانبساط عنده والادلال عليه بل يعطى ما يستحقه بسلطانه وعلو يده فان للسلطان حق الطاعة والاعظام \* وللعالم حق القبول والاكرام \* ثم لا ينبغي ان يتدنه الا بعد الاستدعاء ولا يزيد على قدر الاكتفاء فرجما احب بعض العلماء اظهار علمه للسلطان فاكثره فصار ذلك ذريعة الى ملاء ومفضيا الى بعده فان السلطان متقسم الافكار مستوعب الزمان فليس له في العلم فراغ المنقطعين اليه ولا صبر المنفردين به وقد حكى الاصمعي رحمه الله قال قال لى الرشيد يا عبد الملك انت اعلم منا ونحن اعقل منك لا تعلمنا في ملاء \* ولا تسرع الى تذكيرنا في خلاء \* واتركنا حتى نبتدئك بالسؤال فاذا بلغت من الجواب حد الاستحقاق فلا تزد الا ان يستدعى ذلك منك وانظر الى ما هو الطف في التأديب وانصف في التعليم \* وبلغ باوجز لفظ غاية التقوم \* ولخرج تعليمه مخرج المذاكرة والمحاضرة لا مخرج التعليم والافادة لان لتأخير العلم خجلة تقصير يحل السلطان عنهما فان ظهر منه خطأ او زلل في قول او عمل لم يجاهره بالرد وعرض باستدراك زلله \* واصلاح خلائه \* وحكى ان عبد الملك بن مروان قال للشعبي كم عطاءك قال الفين قال لحتت قال لما ترك امير المؤمنين الاعراب كرهت ان اعرب كلامي عليه ثم ليحذر اتباعه فيما يجانب الدين ويضاد الحق موافقة رأيه ومتابعة لهواه فرجما زلت

اقدام العلماء في ذلك رغبة او رهبة فضلوا واضلوا مع سوء العاقبة وقبح الآثار  
وقد روى الحسن البصري رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا  
تزال هذه الامة تحت يد الله وفي كنفه ما لم يمارقواها امرأها ولم يرك  
صلحاؤها بخارها ولم يمار خيارها اشرارها \* فاذا فعلوا ذلك رفع عنهم يده ثم  
سلط عليهم جبارتهم فساموهم سوء العذاب وضربهم بالفاقة والفقر وملا قلوبهم  
رعبا ومن آدابهم نزاهة النفس عن شبه المكاسب \* والتناعة باليسور عن كد  
المطالب \* فان شبهة المكسب اثم وكذا الطلب ذل والاجر اجدر به من الاثم  
والعز اليق به من الذل وانشدني بعض اهل الادب لعلي بن عبد العزيز القاضي  
رحمه الله تعالى

\* يقولون لي فيك انقباض وانما \* رأوا رجلا عن موقف الذل احجما  
\* ارى الناس من دانا هم هان عندهم \* ومن اكرمه عزة النفس اكرما  
\* ولم اقض حق العلم ان كان كليا \* بدا طمع صيرته لي سلما  
\* وما كل برق لاح لي يستفزني \* ولا كل من لاقيت ارضاه منعما  
\* اذا قيل هذا منهل قلت قد اري \* ولكن نفس الحر تحتمل الظما  
\* انهنهها عن بعض ما لا يشينها \* مخافة اقوال العدا فيم اولما  
\* ولم ابتذل في خدمة العلم مهجتي \* لخدم من لاقيت لكن لاخدما  
\* الشقي به غرسا واجنيه ذلة \* اذا فاتباغ الجهل قد كان احزما  
\* ولو ان اهل العلم صانوه صانهم \* ولو عظموه في النفوس اعظما  
\* واكن اهانوه فهان ودنسوا \* محياه بالاطماع حتى تجهما

على ان العلم عوض من كل لذة ومغن عن كل شهوة ومن كان صادق النية فيه  
لم يكن له همة فيما يجد بدا منه وقال بعض البلغاء من تفرد بالعلم لم توحشه  
خلوه \* ومن تسلى بالكتب لم تفت سله \* ومن آتسه قراءة القرآن \* لم  
توحشه مفارقة الاخوان \* وقال بعض العلماء لا سمير كالعلم \* ولا ظهير كالعلم \*  
ومن آدابهم ان يقصدوا وجه الله بتعليم من علموا ويطلبوا ثوابه بارشاد من  
ارشدوا من غير ان يعتاضوا عليه عوضا ولا يلتمسوا عليه رزقا قال الله تعالى  
ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا قال ابو العالية لا تأخذوا عليه اجرا وهو مكتوب عندهم





مسموع فيما لا يمنع منه العقل لان الشرع لا يرد بما يمنع منه العقل والعقل لا يتبع فيما يمنع منه الشرع فلذلك توجه التكليف الى من كمل عقله فأرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون فبلغهم رسالته والزهم حجة، وبين لهم شريعته وتلا عليهم كتابه فيما احله وحرمه واباحه وحظره واستحبه، وكرهه وامر به ونهى عنه وما وعده به من الثواب لمن اطاعه واوعده به من العقاب لمن عصاه فكان وعده ترغيبا \* ووعيده ترهيبا \* لان الرغبة تبعث على الطاعة والرغبة تكف عن المعصية والتكليف يجمع امرا بطاعة ونهيا عن معصية ولذلك كان التكليف مقرونا بالرغبة والرغبة وكان ما تحلل كتابه من قصص الانبياء السالفة واخبار القرون الخالية عظة واعتبارا تقوى معهما الرغبة \* وتزداد بهما الرهبة \* وكان ذلك من لطفه بنا وتفضله علينا فالحمد لله الذي نعم، لا تحصى وشكره لا يؤدي ثم جعل الى رسوله صلى الله عليه وسلم بيان ما كان محملا وتفسير ما كان مشكلا وتحقيق ما كان محتملا ليكون له مع تبليغ الرسالة ظهور الاختصاص به ومنزلة التفويض اليه قال الله تعالى وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلمهم يتفكرون ثم جعل الى العلماء استنباط ما نبه على معانيه و اشار الى اصوله بالاجتهاد فيه، الى علم المراد فيما زوا بذلك عن غيرهم ويختصوا بثواب اجتهادهم قال الله تعالى يرفع الله الذين آمنوا منكم او الذين اتوا العلم درجات وقال الله تعالى وما يعلم تأويله الا الله و الراسخون في العلم فصار الكتاب اصلا و السنة فرعا و استنباط العلماء ايضا وكشفا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال القرآن اصل علم الشريعة نصه ودليله والحكمة بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم والامة المجتمع حجة على من شذ عنها وكان من رأفته بخلفته وتفضله على عبادته ان اقدرهم على ما كلفهم ورفع الحرج عنهم فيما تعبدتهم ليكونوا مع ما قد اعد، لهم ناهضين بفعل الطاعات ومجانبة المعاصي قال الله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال وما جعل عليكم في الدين من حرج وجعل ما كلفهم ثلثة اقسام قسما امرهم باعتقاده و قسما امرهم بفعله و قسما امرهم بالكف عنه ليكون اختلاف جهات التكليف ابعت على قبوله واعون على فعله

حكمة منه ولطفاً وجعل ما امرهم باعتقاده قسمين قسماً اثباتاً وقسماً نفياً  
 فاما الاثبات فاثبات توحيدهِ وصفاته واثبات بعثته رسله وتصديق محمد صلى الله  
 عليه وسلم فيما جاء به واما النفي فنفي الصاحبة والولد والحاجة والتبائح اجمع  
 وهذان القسمان اول ما كلفه العاقل وجعل ما امرهم بفعله ثلاثة اقسام قسماً  
 على ابدانهم كالصلاة والصيام وقسماً في اموالهم كالزكاة والكفارة وقسماً  
 على اموالهم وابدانهم كالسج والجهاد ليسهل عليهم فعلة ويخفف عنهم اناؤه نظراً  
 منه تعالى لهم وتفضلاً منه عليهم وجعل ما امرهم بالكدن عنه ثلاثة  
 اقسام قسماً لاحياء نفوسهم وصلاح ابدانهم كنهيه عن القتل واكل  
 الخبائث والسموم وشرب الخمر المؤدية الى فساد العقل وزواله وقسماً لاثلافهم  
 واصلاح ذات بينهم كنهيه عن الغلبة والظلم والسرف المفضي الى  
 التطيعة والبغضاء وقسماً لحفظ انسابهم وتعظيم محارمهم كنهيه عن الزنا ونكاح  
 ذوات المحارم فكانت نعمته فيما حضره علينا كنعمةه فيما اباحه لنا وتفضله  
 فيما كفنا عنه كفضلته فيما امرنا به فهل يجد العاقل في رويته مسانعا  
 ان يقصر فيما امر به وهو نعمة عليه او يرى فسحة في ارتكاب ما نهى  
 عنه وهو تفضل منه عليه وهل يكون من انعم عليه بنعمة فاهملها مع شدة  
 فاقته اليها الامذوم ما في العقل مع ما جاء من وعيد الشرع ثم من لطفه بخلته  
 وتفضله على عباده ان جعل لهم من جنس كل فريضة نفلاً وجعل لها من الثواب  
 قسطاً ونديهم اليه ندباً وجعل لهم بالحسنة عشرة ليضاعف ثواب فاعله  
 ويضع العقاب عن تاركه ومن لطيف حكمته ان جعل لكل عبادة حالتين حالة  
 كمال وحالة جواز رفقا منه بخلمته لما سبق في عمله ان فيهم العجل المبادر والبطيء  
 المتشاغل ومن لا صبر له على اداء الاكل ليكون ما اخل به من هيئات عبادته  
 غير قادح في فرض ولا مانع من اجر فكان ذلك من نعمه علينا وحسن نظره الينا  
 وكان اول ما فرض بعد تصديق نبيه صلى الله عليه وسلم عبادات الابدان وقد  
 قدمها على ما يتعلق بالاموال لان النفوس على الاموال اشح \* وبما يتعلق بالابدان  
 اسمح \* وذلك الصلاة والصيام فقدم الصلاة على الصيام لان الصلاة اسهل  
 فعلاً وايسر عملاً وجعلها مشتملة على خضوع له وابتهاال اليه فالخضوع

له رهبة منه والابتهاال اليه رغبة فيه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اذا قام احدكم الى صلاته فاما يساجى ربه فليظربها يناجيه و روى عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه انه كان كلما دخل عليه وقت صلاة اصفر لونه مرة واحمر اخرى فقيل له في ذلك فقال اتنى الامانة التى عرضت على السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها و اشفقن منها و حملتها انا فلا ادري اوسى فيها ام احسن ثم جعل لها شروطا لازمة من رفع حدث وازالة نجس ليستديم النظافة للقاء ربه و الطهارة لآداء فرضه ثم ضمنها تلاوة كتابه المنزل ليتدبر ما فيه \* من اوامره و نواهي \* و يعتبر بحجاز الفاظه ومعانيه \* ثم علمتها باوقات راتبه وازمان متردفة ليكون ترانف ازمانها و تابع اوقاتها سببا لاستدامة الخضوع له و الابتهاال اليه فلا تقطع الرهبة منه ولا الرغبة فيه و اذا لم تقطع الرغبة و الرهبة استدام صلاح الخلق و بحسب قوة الرغبة و الرهبة يكون استيفاؤها على الكمال او التقصير فيها حال الجواز و قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة مكيال فمن وفى له ومن طفف فقد علمتم ما قال الله فى المطففين و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من هانت عليه صلته كانت على الله تعالى عز وجل اهون و انشدت لبعض الفصحاء فى ذلك

- \* اقبل على صلواتك الخمس \* كم مصبح و عساه لا يسي \*  
 \* واستقبل اليوم الجديد بتوبة \* تمحو ذنوب صبيحة الامس \*  
 \* فليعلمن بوجهك الفض البلى \* فعل الظلام بصورة الشمس \*

ثم فرض الله تعالى الصيام و قدمه على زكاة الاموال لتعلق الصيام بالابدان و كان فى ايجابه حثا على رحمة الفقراء و اطعامهم و سد جوعاتهم لما عينوه من شدة المجاعة فى صومهم و قد قيل ليوסף على نبينا و عليه السلام اتجوع و انت على خزائن الارض فقال اخاف ان اشبع فانسى الجائع ثم لما فى الصوم من قهر النفس و اذلالها و كسر الشهوة المستوية عليها و اشعار النفس ما هى عليه من الحاجة الى يسير الطعام و الشراب و المحتاج الى الشئ ذليل به و بهذا احتج الله تعالى على من اتخذ عيسى على نبينا و عليه السلام و امه الاهين

من دونه فقال ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله ازل و امه  
صديقة كانا ياكلان الطعام فجعل احتياجهما الى الطعام نقصا فيهما عن ان يكونا  
الاهين وقد وصف الحسن البصرى رحمه الله تعالى نقص الانسان بالطعام  
و الشراب فقال مسكين ابن آدم محتوم الاجل \* مكتوم الامل \* مستور العلل \*  
يتكلم بلحم \* وينظر بشحم \* و يسمع بعظم \* اسير جوعه صريع شبعه تؤذيه  
البته \* وتنته العرق \* وتقتله الشرقة \* لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا ولا دوتا  
ولا حياة ولا نشورا فانظر الى لطفه بنا \* فيما اوجبه من الصيام علينا كيف  
ايقظ العقول له و قد كانت عنه غافلة او متغافلة و نفع النفوس به و لم تكن  
دشنة و لا نافعة ثم فرض زكوات الاموال و قدمها على فرض الحج لان في  
الحج مع انفاق المال سفرا شاقا فكانت النفس الى الزكاة اسرع اجابة منها الى  
الحج فكان في ايجابها مواساة للفقراء و معونة لذوى الحاجات تنكفهم عن  
البغضاء و تمنعهم من التقاطع و تمنعهم على التواصل لان الآمل و وصول و الراجى  
هاب و اذا زال الامل و انقطع الرجاء و اشتدت الحاجة وقعت البغضاء و اشتد  
الفسد فحدث التقاطع بين ارباب الاموال و الفقراء \* و وقعت العداوة بين ذوى  
الحاجات و الاغنياء \* حتى تفضى الى التغالب على الاموال و التفرير بالنفوس  
هذامع ما في اداء الزكاة من ترمين النفس على السماحة المحمودة و مجانية الشح  
المذموم لان السماحة تبعث على اداء الحقوق و الشح يصد عنها و ما يعث على اداء  
الحقوق فاجدر به جدا و ما صد عنها فخلق به ذما و قد روى ابو هريرة  
رضى الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال شر ما اعطى العبد شح هالع \*  
وجبن خالع \* فسبحان من دبرنا بلطف حكيمته \* و اخفى عن فطننا جزيل  
نعمته \* حتى استوجب من الشكر باخفائها اعظم مما استوجبه بابدائها ثم  
فرض الحج فكان آخر فروضه لانه يجمع عملا على بدن و حقا في مال فجعل  
فرضه بعد استقرار فروض الابدان و فروض الاموال ليكون استئناسهم بكل  
واحد من النوعين ذريعة الى تسهيل ما جمع بين النوعين فكان في ايجابه تذكير  
ليوم الحشر بمفارقة المال و الاهل و خضوع العزيز و الذليل في الوقوف  
بين يديه و اجتماع المطيع و العاصي في الرهبة منه و الرغبة اليه و اقلع اهل

المعاصي عما اجتروه وندم المذنبين على ما اسلفوه فقل من حجج الا  
واحدث توبة من ذنب واقلاعا من معصية ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم  
من علامة الحجة المبرورة ان يكون صاحبها بعدها خيرا منه قبلها وهذا صحيح  
لان الندم على الذنوب مانع من الاقدام عليها والتوبة مكفرة لما سلف منها  
فذا كف عما كان يقدم عليه انبأ عن صحة توبته وصحة التوبة تقتضي  
قبول حجته ثم نبه بما يعاني فيه من مشاق السفر الؤدى اليه على موضع النعمة  
برفاهة الإقامة وانسة الاوطان ليحذوا على من سلب هذه النعمة من ابناء السبيل  
ثم اعلم بمشاهدة حرمة الذى انشأ منه دينه وبعث فيه رسوله ثم بمشاهدة دار  
الهمجرة التى اعز الله بها اهل طاعته واذل بنصرة نبيه محمد عليه الصلاة  
والسلام اهل معصيته حتى خضع له عظماء التجبرين \* وتذال له زعماء  
المتكبرين \* انه لم ينتشر عن ذلك المكان المنتطع ولا قوى بعد الضعف البين  
حتى طبق الارض شرقا وغربا الا بمحجزة ظاهرة ونصر عزيز فاعتبر المهلك  
الله الشكر ووفقك للتقوى انعامه عليك فيما كلفك واحسانه اليك فيما تعبدك  
فقد وكلتك الى فطنتك واحلتك على بصيرتك بعد ان كنت لك رائدا صدوقا \*  
وناصحا شفوفا \* هل تحسن نهوضا بشكره اذا فعلت ما امرك وتقبلت ما كلفك  
كلالاه لا يولييك نعمة توجب الشكر الا وصلها قبل شكر ما سلف بنعمة توجب  
الشكر فى المؤتلف وقال الحسن بن على نعم الله اكثر من ان تشكر الا ما اعان عليه  
وذنوب ابن آدم اكثر من ان تغفر الا ما عفى عنه وانشدت لمنصور بن اسمعيل  
الفتية المصرى رحمه الله تعالى

\* شكر الاله نعمة \* موجبة لشكره \*

\* فكيف شكرى بره \* وشكره من بره \*

واذا كنت عن شكر نعمه عاجزا فكيف بك اذا قصرت فيما امرك او فرطت فيما  
كلفك ونفعه اعود عليك لو فعلته هل تكون لسوايغ نعمه الا كفورا \* وبداية  
العقول الا مزجورا \* وقد قال الله تعالى يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها قال  
مجاهد اى يعرفون ما عدد الله عليهم من نعمه وينكرونها بقولهم  
انهم ورثوها عن آبائهم واكتسبوها بافعالهم وروى عن النبي صلى الله

عليه وسلم انه قال يقول الله يا ابن آدم ما انصفتني أ تحبب اليك بالنعيم وتبغى اليّ  
 بالمعاصي خيري اليك نازل وشركي اليّ صاعد كم من ملك كريم يصعد اليّ منك  
 بعمل قبيح وقال بعض صلحاء السلف قد اصبح بنا من نعم الله تعالى ما لا نحصى \*  
 مع كثرة ما نعصيه \* فلاندرى ايهما نشكر \* أجيل ما ينشر \* ام قبيح  
 ما يستر \* فحق على من عرف موضع النعمة ان يقبلها ممثلاً لما كلف منها وقبولها  
 يكون بأدائها \* ثم يشكر الله تعالى على ما انعم من اسدائها \* فان بنا من الحاجة  
 الي نعمه أكثر مما كلفنا من شكر نعمه فان نحن ادينا حق النعمة في التكليف تفضل  
 باداء النعمة من غير جهة التكليف فلزمت النعمتان ومن لزمت النعمتان فقد اوتي  
 حظ الدنيا والآخرة وهذا هو السعيد بالاطلاق وان قصرنا في أداء ما كلفنا  
 من شكره قصر عنا ما لا تكليف فيه من نعمه ففرت النعمتان ومن نفرت عنه  
 النعمتان فقد سلب حظ الدنيا والآخرة فإي يكن له في الحياة حظ ولا في الموت  
 راحة وهذا هو الشقي بالاستحقاق وليس يمتاز الشئوة على السعادة ذول صحيح  
 ولا عقل سليم وقد قال الله تعالى ليس بامانيكم ولا امانتي اهل الكتاب من يعمل  
 سوءا يجز به وروى الاعمش عن سليم قال قال ابو بكر الصديق رضى الله عنه  
 يا رسول الله ما اشد هذه الآية من يعمل سوءا يجز به فقال يا ابا بكر ان المصيبة  
 في الدنيا جزاء واختلف المفسرون في تأويل قوله تعالى سنعذبهم مرتين  
 فقال بعضهم احد العذابين الفضيحة في الدنيا والثاني عذاب العبر وقال  
 عبد الرحمن بن يزيد احد العذابين مصائبهم في الدنيا في اموالهم واولادهم  
 والثاني عذاب الآخرة في النار وليس وان نال اهل المعاصي لذة من عيش او  
 ادركوا امنية من دنيا كانت عليهم نعمة بل قد يكون ذلك استدراجاً ونعمة وروى  
 ابن لهيعة عن عقبة بن مسلم بن عامر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا  
 رأيت الله تعالى يعطى العباد ما يشاؤون على معاصيهم اياه فانما ذلك استدراج منه  
 لهم ثم تلا فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا  
 بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فاما المحرمات التي يمنع الشرع منها  
 واستقر التكليف عقلاً او شرعاً بالنهي عنها فتعصم قسمين منها ما تكون النفوس  
 داعية اليها والشهوات باعثة عليها كالسفاح وشرب الخمر فقد زجر الله عنها

لقوة الباعث عليها وشدة الميل اليها بنوعين من الزجر احدهما حد عاجل يرتدع به الجريء والثانى وعيد آجل يزدجر به التقى ومنها ما تكون النفوس نافرة منها والشهوات مصروفة عنها كاكل الحباث والمستقذرات وشرب السموم المملفات فقتصر الله في الزجر عنها بالوعيد ووحده دون الحد لان النفوس مسعدة في الزجر عنها ومصروفة عن ركوب المحظور منها ثم اكد الله زواجره بانكار المنكرين لها فوجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليكون الامر بالمعروف تأكيدا لاوامره والنهي عن المنكر تأييدا لزواجره لان النفوس الاثمة قد الهتها الصبوة عن اتباع الاوامر \* واذهلتها الشهوة عن تذكر الزواجر \* وكان انكار المنكرين اذجر لها وتوبخ المخاطبين ابلغ فيها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ما اقر قوم المنكر بين اظهرهم الا عههم الله بعذاب محتضر واذ كان ذلك فلا يملو حال فاعلى المنكر من احد الامرين احدهما ان يكونوا احادا متفرقين \* وافرادا متبدين \* لم يحزبوا فيه ولم يتظافروا عليه وهم رعية مقهورون \* واشذاذ مستضعفون \* فلا خلاف بين الناس ان امرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر مع المكنة وظهور القدرة واجب على من شاهد ذلك من فاعليه \* او سمعه من قائله \* وانما اختلفوا في وجوب ذلك على منكره هل وجب عليهم بالعقل او بالشرع فذهب بعض المتكلمين الى وجوب ذلك بالعقل لانه لما وجب بالعقل وجب ان يمتنع من التبعح ووجب ايضا بالعقل ان يمتنع غيره منه لان ذلك انعى الى مجابته \* وابلغ في مفارقتة \* وقد روى عبدالله بن المبارك رحمه الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما ركبوا سفينة فاقسموا فاخذ كل واحد منهم موضعا فنقر رجل منهم موضعا بغاس فقالوا ما تصنع فقال هو مكاني اضع فيه ما شئت فلم يأخذوا على يديه فهلكوا وهلكوا وذهب آخرون الى وجوب ذلك بالشرع دون العقل لان العقل لو اوجب النهى عن المنكر ومنع غيره من التبعح لوجب مثله على الله تعالى ولما جاز ورود الشرع باقرار اهل الذمة على الكفر وترك التكبير عليهم لان واجبات العقول لا يجوز ابطالها بالشرع وفي ورود الشرع بذلك دليل على ان العقل غير موجب لانكاره فاما اذا كان في ترك انكاره مضرة لاحقة بمنكره

وجب انكاره بالعقل على القولين معا واما ان لحق المنكر مضرة من انكاره ولم  
تلتئم من كفه واقرار لم يجب عليه الانكار بالعقل ولا بالشرع اما العقل فلانه  
يمنع من اجتلاب المضار التي لا يوازيها نفع واما الشرع فقد روى ابو سعيد  
الخدري رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكر المنكر بيدك فان  
لم تستطع فبلسانك فان لم تستطع فبقلبك وذلك اضعف الايمان فان اراد الاقدام  
على الانكار مع حقوق المضرة به نظر فان لم يكن اظهار التكبير مما يتعلق باعزاز  
دين الله ولا اظهار كلمة الحق لم يجب عليه التكبير اذا خشى بغالب الظن تلفا  
او ضررا ولم يخش منه التكبير ايضا وان كان في اظهار التكبير اعزاز دين الله  
تعالى و اظهار كلمة الحق حسن منه التكبير مع خشية الاضرار والتلف وان لم  
يجب عليه اذا كان الغرض قد يحصل له بالتكبير وان اقتصروا قتل وعلى هذا  
الوجه قال النبي صلى الله عليه وسلم ان من افضل الاعمال كلمة حق عند سلطان  
جائر فاما اذا كان يقتل قبل حصول الغرض قبح في العقل ان يتعرض لانكاره  
وكذلك لو كان الانكار يزيد النهي اغراء بفعل المنكر و لجا في الاكثار منه قبح  
في العقل انكاره ~~و~~ والحال الثانية ~~ان~~ ان يكون فعل المنكر من جماعة قد تظافروا  
عليه وعصبة قد تحزبت ودعت اليه وقد اختلف الناس في وجوب انكاره على  
مذاهب شتى فقالت طائفة من اصحاب الحديث و اهل الآثار لا يجب انكاره  
والاولى بالانسان ان يكون كافا ممسكا وملازما لبيته وادعا غير منكر ولا مستفز  
وقالت طائفة اخرى ممن يقول بظهور المنتظر لا يجب انكاره ولا التعرض  
لازالته الا ان يظهر المنتز فيتولى انكاره بنفسه ويكونوا اعوانه وقالت طائفة  
اخرى منهم الاصم لا يجوز للناس انكاره الا ان يجتمعوا على امام عدل فيجب عليهم  
الانكار معه وقال جمهور المتكلمين انكار ذلك واجب والدفع عنه لازم على  
شروطه في وجود اعوان يصلحون له فاما مع فقد الاعوان فعلى الانسان الكف  
لان الواحد قد يقتل قبل بلوغ الغرض وذلك قبح في العقل ان يتعرض له فهذا ما  
اكد الله تعالى به او امره و ايد به زواجه من الامر بالمعروف والنهي عن المنكر  
وما يختلف من احوال الامرين به و الناهين عنه ثم ليس يخلو حال الناس فيما  
امروا به ونهوا عنه من فعل الطاعات واجتناب المعاصي من اربعة احوال



فنههم من يستجيب الى فعل الطاعات ويكف عن ارتكاب المعاصي وهذا اكل احوال اهل الدين و افضل صفات المتقين فهذا يستحق جزاء العاملين و ثواب المطيعين روى محمد بن عبد الملك المدائني عن نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذنب لا يذسى و البر لا يبلى و الدين لا يموت فكن كما شئت و كما تدين تدان و قد قيل كل يحصد ما يزرع \* و يجزى بما يصنع \* بل قالوا زرع يومك حصاد غدك و منهم من يمتنع من فعل الطاعات و يقدم على ارتكاب المعاصي و هي اثبت احوال المكلفين فهذا يستحق عذاب اللاهى عن فعل ما امر به من طاعته و عذاب المجترى على ما اقدم عليه من معاصيه و قد قال ابن شبرمة عجبت لمن يحتمى من الطيباب مخافة الداء كيف لا يحتمى من المعاصى مخافة النار فاخذ ذلك بعض الشعراء فقال

\* جسمك قد افيتته بالحمى \* دهرا من البارد و الخار \*

\* وكان اولى بك ان تحتمى \* من المعاصى حذر النار \*

و قال ابن صباوة انا نظرنا فوجدنا الصبر على طاعة الله تعالى اهون من الصبر على عذاب الله تعالى و قال آخر اصبروا عباد الله على عمل لا غنى بكم عن ثوابه \* و اصبروا عن عمل لا صبر لكم على عقابه \* و قيل للفضيل بن عياض رضى الله عنه رضى الله عنك فقال كيف يرضى عنى و لم ارضه و منهم من يستجيب الى فعل الطاعات و يقدم على ارتكاب المعاصى فهذا يستحق عذاب المجترى لانه تورط بغلبة الشهوة على الاقدام على المعصية و ان سلم من التقسير فى فعل الطاعة و قد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقلعوا عن المعاصى قبل ان يأخذكم الله هتاتبا الهت الكسر و البت القطع و لذلك قال بعض العلماء افضل الناس من لم تفسد الشهوة دينه \* و لم تترك الشهوة يقينه \* و قال حماد بن زيد عجبت لمن يحتمى من الاطعمة لمضراتها \* كيف لا يحتمى من الذنوب لمعراتها \* و قال بعض الصالحاء اهل الذنوب \* مرضى القلوب \* و قيل للفضيل بن عياض رحه الله ما اعجب الاشياء فقال قلب عرف الله عز و جل ثم عصاه و قال بعض الالباء يدل بالطاعة العاصى و يذسى عظيم المعاصى و قال رجل لابن عباس رضى الله عنه ايما احب اليك رجل قليل الذنوب قليل العمل او رجل كثير

الذنوب كثير العمل فقال ابن عباس رضى الله عنه لا اعدل بالسلامة شيئا  
وقيل لبعض الزهاد ما تقول في صلاة الليل فقال خف الله بالتهار و نم بالليل  
وسمع بعض الزهاد رجلا يقول لتوم اهلككم النوم فقال بل اهلكتمكم اليقظة  
وقيل لابي هريرة رضى الله عنه ما التتموى فقال أجزت في ارض فيها شوك  
فقال نعم فقال كيف كنت تصنع فقال كنت اتوقى قال فتوق الخمايا و قال  
عبدالله بن المبارك

\* أبيضن لي فتي ترك المعاصى \* و ارهنه الكفالة بالخلاص \*

\* اطاع الله قوم و استراحوا \* ولم يتجرعوا غصص المعاصى \*

و منهم من يتنع من فعل الطاعات و يكف عن ارتكاب المعاصى فهذا يستحق  
عذاب اللاهى عن دينه المنذر بقله يقينه و روى ابو ادريس الخولاني عن ابي  
ذر الغفارى رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانت صحف  
موسى على نبينا و عليه السلام كلما عبرا عجبت لمن ايقن بالنار ثم يضحك  
و عجبت لمن ايقن بالقدر ثم يتعب و عجبت لمن رأى الدنيا و تقلبها باهلها ثم  
ثم يطمئن اليها و عجبت لمن ايقن بالموت ثم يفرح و عجبت لمن ايقن بالحساب  
غدا ثم لا يعمل و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اجتهدوا في العمل  
فان قصر بكم ضعف فكفوا عن المعاصى و هذا واضح المعنى لان  
الكف عن المعاصى ترك وهو اسهل \* و عمل الطاعات فعل و هو اقل \*  
و لذلك لم يبح الله تعالى ارتكاب المعصية بعذر و لا بغير عذر لانه ترك و الترك  
لا يعجز المعذور عنه و انما اباح ترك الاعمال بالاعذار لان العمل قد يعجز المعذور  
عنه و قال بكر بن عبدالله رحم الله امره ا كان قويا فاعمل قوته في طاعة الله تعالى  
او كان ضعيفا فكف عن معصية الله تعالى و قال عبد الاعلى بن عبدالله الشافى  
رحم الله تعالى

\* العمر ينقص و الذنوب تزيد \* و تقال عثرات الفتى فيعود \*

\* هل يستطيع بحود ذنب واحد \* رجل جوارح، عليه شهود \*

\* والمرء يسأل عن سنه فيشهى \* تقليلها و عن الممات يحميد \*

و اعلم ان لاعمال الطاعات و مجالبة المعاصى آفتين احدهما تكسب الوزر و الاخرى

توهن الاجر فاما المكسبة للوزر فاعجاب بما سلف من عمله و قدم من طاعته لان  
 الاعجاب به يفضى الى حالتين مذمومتين احدهما ان المعجب بعمله يمتن به والممتن  
 على الله تعالى جاحد لنعمة قال ابن عباس رضى الله عنهما اوحى الله تعالى الى نبي من  
 انبيائه اما زهدك في الدنيا فمداستجلبت به الراحة و اما ان تطاعك الى فهو عز لك  
 فهذان لك و بقيت انا و الثانية ان المعجب بعمله مدد به و المدد بعمله مجترى  
 والمجترى على الله عاص و قال مورق العجلي خير من العجب بالطاعة ان لا يأتى  
 بطاعة و قال بعض السلف ضاحك معترف بذنبه خير من بك مدد على ربه و بك  
 نادم على ذنبه خير من ضاحك معترف بلهوه و اما الموهنة للاجر فالنقمة بما  
 اسلف و الركون الى قدم لان النعمة تؤول الى امرين شينين احدهما يحدث  
 اتكالا على ما مضى و تقتصيرا فيما يستقبل و من قصر و اتكل لم يرج اجرا و لم يؤد  
 شكرا و الثانى ان الواثق آمن و الا آمن من الله تعالى غير خائف و من لم يخف الله  
 تعالى هانت عليه او امره و سهلت عليه زواجه و قال الفضيل بن عياض رهبة  
 المرء من الله تعالى على قدر علمه بالله تعالى و قال مورق العجلي لان ايت نأما  
 و اصبح نأما احب الى من ان ايت قائما و اصبح ناعما و قال الحكماء ما بينك  
 وبين ان لا يكون فيك خير الا ان ترى ان فيك خيرا و قيل لرابعة العدوية رحما  
 الله هل علمت عملا قط ترين انه يقبل منك قالت ان كان شئ فخوفى ان يرد على  
 عملى و قال ابن السماك رحمة الله عليه ان الله فيما مضى ما اعظم فيه الخطر \* و اما  
 لله فيما بقى ما اقل منه الخذر \* و حكى ان بعض الزهاد وقف على جمع فنادى  
 باعلى صوته يا معشر الاغنياء لكم اقول استكثروا من الحسنات فان ذنوبكم كثيرة  
 و يا معشر الفقراء لكم اقول اقلوا من الذنوب فان حسناتكم قليلة فينبغى احسن  
 الله اليك بالتوفيق ان لا تضع صحة جسمك و فراغ وقتك بالتقصير في طاعة  
 ربك و الثقة بالسالف فاجعل الاجتهاد غنيمة صحتك و العمل فرصة فراغك  
 فليس كل ازمان مستعد ولا ما فات مستدرك و للفرغ زيف او ندم و للخلوة ميل  
 او اسف و قال عمر بن الخطاب الراحة للرجال غفلة وللنساء غلظة و قال  
 بزرجمهر ان يـكـن الشغل مجهدا فالفرغ مفسدة و قال بعض الحكماء اياكم  
 و الخلوات فانها تفسد العقول و تعقد المحلول و قال بعض البلغاء لا تمضى

يودك في غير منفعة ولا تضع مالك في غير صنعة فالعمر اقصر من ان ينفد في غير المنافع \* والمال اقل من ان يصرف في غير الصنائع \* والعاقل اجل من ان ينفى ايامه فيما لا يعود عليه نفعه \* وخيره \* وينفق امواله فيما لا يحصل له ثوابه واجره \* وابلغ من ذلك قول عيسى بن مريم على نبينا وعليه السلام البر ثلاثة المنطق والنظر والصمت فمن كان منطقت في غير ذكر فقد لنا ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها ومن كان صمته في غير فكر فقد لها واعلم ان للانسان فيما كلف من عباداته ثلاث احوال احداها ان يستوفيهما من غير تقصير فيها ولا زيادة عليها والثانية ان يقصر فيها والثالثة ان يزيد عليها فاما الحال الاولى فهي ان ياتي بها على حال الكمال من غير زيادة فيها ولا زيادة تطوع على راتبها فهي اوسط الاحوال واعدها لانه لم يكن منه تقصير فيدم ولا تكثير فيعجز وقد روى سعيد بن ابي سعيد رضي الله عنه عن ابي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال سدودوا وقاربوا ويسروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشئ من الدجلة وقال الشاعر

\* عليك باوساط الامور فانها \* نجاة ولا تركب ذلولا ولا صعبا \*  
 واما الحال الثانية وهو ان يقصر فيها فلا يخلو حال تقصيره من اربعة احوال احداهن ان يكون لعذر يحجزه عنه او مرض اضعفه عن اداء ما كلف به فهذا يخرج عن حكم المقصرين ويلحق باحوال العاملين لاستقرار الشرع على سقوط ما دخل تحت العجز وقد جاء الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عامل كان يعمل عملا فيقطع عنه مرض الا وكل الله تعالى به من يكتب له ثواب عمله والحال الثانية ان يكون تقصيره فيه اغترارا بالسامحة فيه ورجاء العفو عنه فهذا مخدوع العقل مغرور بالجهل فقد جعل الظن ذخرا وانجاء عدة فهو كمن قطع سفرا بغير زك ظنا بانه سيجده في المفاوز الجديبة فيفضي به الظن الى الهلكة وهلا كان الخدر اغلب عليه وقد ندب الله تعالى اليه وحكى ان اسرايل بن محمد القاضي قال لقيت مجنون كان في الخرابات فقال يا اسرايل خف الله خوفا يشغلك عن الرجاء فان الرجاء يشغلك عن الخوف وفر الى الله ولا تفر منه وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله ألا تبكي فقال تلك حليلة الآمنين

وحكى ان ابا حازم الاعرج اخبر سليمان بن عبد الملك بوعيد الله للمذنبين فقال  
 سليمان اين رحمة الله قال قريب من المحسنين وقال عبد الله بن عباس رضى الله  
 عنهما ما انتفعت ولا اتعظت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل كتاب  
 كتبه الى علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اما بعد فان الانسان ليسه درك  
 ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه فلا تكن بما نلته من دنياك  
 فرحا \* ولا لما فاتك منها ترجى \* ولا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل \* ويؤخر  
 التوبة بطول الامل \* فكأن قد والسلام وقال محمود الوراق رحمه الله

\* اخاف على المحسن المتقى \* وارجو لذى الهفوات المسى \*  
 \* فذلك خوفى على محسن \* فكيف على الظالم المعتدى \*  
 \* على ان ذا الزيف قد يستفيق \* ويستأنف الزيف قلب التقي \*

والحال الثالثة ان يكون تقصيره فيه ليستوفى ما اخل به من بعد فيبدأ بالسيئة في  
 التقصير قبل الحسنة في الاستيقاء اغترارا بالامل في امهاله \* ورجاء لتلافى ما  
 اسلف من تقصيره واخلاله \* فلا ينتهى به الامل الى غايه \* ولا يفضى به الى  
 نهايه \* لان الامل هو فى ثانى حال \* كهو فى اول حال \* فقد روى عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم انه قال من يؤمل ان يعيش غدا \* فانه يؤمل ان يعيش ابدا \*  
 ولعمري ان هذا صحيح لان لكل يوم غد فاذا يفضى به الامل الى الفوت من  
 غير درك وبؤديه الرجاء الى الاهمال من غير تلافى فيصير الامل خيبة والرجاء  
 اياسا وقد روى عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم  
 قال اول صلاح هذه الامة بالزهد واليقين وفسادها بالانجلى والامل وقال  
 الحسن البصرى رحمه الله ما اطال عبد الامل \* الا اساء العمل \* وقال رجل  
 لبعض الزهاد بالبصرة ألك حاجة ببغداد قال ما احب ان ابسط املى الى ان  
 تذهب الى بغداد وتجيء وقال بعض الحكماء الجاهل يعتمد على امله \* والعاقل  
 يعتمد على عمله \* وقال بعض البلغاء الامل كالسراب غر من رآه \* وخاب من  
 رجاه \* وقال محمد بن يزدان دخلت على المأمون و كنت يومئذ وزيره فرأيت قائما  
 ويده رقعة فقال يا محمد أقرأت ما فيها فقلت هي فى يد امير المؤمنين فرمى بها  
 الى فاذا فيها مكتوب

- \* انك في دار لها مدة \* يقبل فيها عمل العامل \*
- \* أما ترى الموت محيطا بها \* يقطع فيها امل الآمل \*
- \* تجمل بالذنب لما تشتهي \* وتأمل التوبة من قابل \*
- \* والموت يأتي بعد ذابغة \* ماذا فعل الحازم العاقل \*

فلما قرأها قال المأمون رحمه الله تعالى هذا من احكامكم شعر قرأته وقال ابو حازم الاعرج نحن لا نزيد ان نموت حتى نتوب ونحسن لا نتوب حتى نموت وقال بعض البلغاء زائد الاهیال \* رائد الامهال \* والحال الرابعة ان يكون تقصيره فيها استمقالا للاستيقاء وزهدا في التمام واقتصارا على ما سئخ وقلة أكثرات فيما بقي فهذا على ثلاثة اضرب ❖ احدها ❖ ان يكون ما اخل به وقصر فيه غير قادح في فرض ولا مانع من عبادة كمن اقتصر في العبادة على فعل واجباتها وعمل مفترضاتها واخل بمسئواتها وهياتها فهذا مسمى فيما ترك اساءة من لا يستحق وعيدا ولا يستوجب عتابا لان اداء الواجب يسقط عنه العتاب \* واخلاله بالمسئون يمنع من اكل الثواب \* وقد قال بعض الحكماء من تهاون بالدين هان \* ومن غالب الحق لان \* وقال الشاعر

- \* ويصون توبته ويترك غير ذلك لا يصونه \*
- \* واحق ما صان الفتي \* ورعا امانته ودينه \*

❖ والضرب الثاني ❖ ان يكون ما اخل به عن مفروض عبادته لكن لا يقدح ترك ما بقي فيما مضى كمن اكل عبادات واخل بغيرها فهذا اسوأ حالا ممن تقدمه لما استمقء من الوعيد واستوجبه من العتاب ❖ والضرب الثالث ❖ ان يكون ما اخل به من مفروض عبادته وهو قادح فيما عمل منها كالعبادة التي يرتبط بعضها ببعض فيكون المقصر في بعضها تاركا لجمعها فلا يحتسب له ما عمل لاخلاله بما بقي فهذا اسوأ احوال المقصرين وحاله لاحقة باحوال التاركين بل قد تكلف ما لا يسقط فرضا ولا يؤدي حقا فقد ساوى التاركين في استحقاق الوعيد وزاد عليهم في تكلف ما لا يفيد فصار من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم لعله لا يفتن لشانه \* ولا يشعر بخسرانه \* وقد خسر الدنيا والآخرة و يفتن لليسير من ماله ان وهى واخلت وانشدني بعض اهل العلم

\* أُنْبِيَّانٍ مِنَ الرِّجَالِ بِهَيْمَةٍ \* فِي صُورَةِ الرَّجُلِ السَّمِيعِ الْبَصِيرِ \*  
 \* فَظَنَّ بِكُلِّ مَصِيبَةٍ فِي مَالِهِ \* وَإِذَا يَصَابُ بِدَيْنِهِ لَمْ يَشْعُرْ \*  
 ❖ وَأَمَّا الْحَالُ الثَّالِثَةُ ❖ وَهُوَ أَنْ يَزِيدَ فِيمَا كَلَّفَ فَهَذَا عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ أَحَدُهَا  
 أَنْ تَكُونَ الزِّيَادَةُ رِيَاءً لِلنَّاسِ وَتَصْنَعُ لِلْمُحْتَذِقِينَ حَتَّى يَسْتَعْطِفَ بِهِ التَّلَوِّبُ  
 النَّافِرَةَ وَيُخَدِّعَ بِهِ الْعُقُولَ الْوَاهِيَةَ فَيَتَّبِعُهَا بِالصَّلْحَاءِ وَلَيْسَ مِنْهُمْ وَتَتَدَلَّسُ فِي  
 الْإِخْيَارِ وَهُوَ ضَدُّهُمْ وَقَدْ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْمِرَائِيِّ بِعَمَلِهِ  
 مَثَلًا فَقَالَ الْمَتَشَبِعُ بِمَا لَا يَمْلِكُ كَلَابِسُ ثَوْبٍ زُورٍ يَرِيدُ بِالْمَتَشَبِعِ بِمَا يَمْلِكُ الْمَتَزِينُ  
 بِمَا لَيْسَ فِيهِ وَقَوْلُهُ كَلَابِسُ ثَوْبٍ زُورٍ وَهُوَ الَّذِي يَلْبَسُ ثِيَابَ الصَّلْحَاءِ فَهُوَ  
 بِرِيَاءِهِ مُحْرَمٌ الْإِجْرَ مَذْمُومَ الذِّكْرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَقْصُدْ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى فَيُؤْجِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَخْفَى  
 رِيَاؤُهُ عَلَى النَّاسِ فَيُحْمَدُ بِهِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا  
 صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا قَالَ جَمِيعُ أَهْلِ التَّأْوِيلِ مَعْنَى قَوْلِهِ وَلَا يُشْرِكْ  
 بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا أَيْ لَا يَرَأَى بِعَمَلِهِ أَحَدًا فَيَجْعَلُ الرِّيَاءَ شُرَكَاءَ لِأَنَّهُ جَعَلَ مَا يَقْصُدُهُ  
 وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى مَقْصُودًا بِهِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى  
 فِي قَوْلِهِ تَعَالَى وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُتْ بِهَا قَالَ لَا تَجْهَرُ بِهَا رِيَاءً \*  
 وَلَا تَخَافُتْ بِهَا حَيَاءً \* وَكَانَ سَفِيَانُ بْنُ عَيْنَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ يَتَأَوَّلُ قَوْلَهُ  
 تَعَالَى إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ  
 وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ إِنْ الْعَدْلُ اسْتَوَاءَ السَّرِيرَةَ وَالْعِلَانِيَةَ فِي الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى  
 وَالْإِحْسَانَ إِنْ تَكُونُ سَرِيرَتُهُ أَحْسَنَ مِنْ عِلَانِيَتِهِ وَالْفَحْشَاءَ وَالْمُنْكَرَ إِنْ تَكُونُ  
 عِلَانِيَتُهُ أَحْسَنَ مِنْ سَرِيرَتِهِ وَكَانَ غَيْرُهُ يَقُولُ الْعَدْلُ شَهَادَةٌ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ  
 وَالْإِحْسَانَ الصَّبْرَ عَلَى أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَطَاعَةَ اللَّهِ فِي سِرِّهِ وَجَهْرِهِ وَإِتَاءَ  
 ذِي الْقُرْبَى صَلَاةَ الْأَرْحَامِ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ يَعْنِي الزُّنَا وَالْمُنْكَرَ الْقَبِيحَ وَالْبَغْيَ  
 الْكَبِيرَ وَالظُّلْمَ وَلَيْسَ يُخْرِجُ الرِّيَاءَ بِالْأَعْمَالِ مِنْ هَذَا التَّأْوِيلِ أَيْضًا لِأَنَّهُ مِنْ جِلَّةِ  
 الْقَبَائِحِ وَقَدْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى  
 أُمَّتِي الرِّيَاءَ الظَّاهِرَ وَالشَّهْوَةَ الْخَفِيَّةَ وَرَوَى عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
 أَنَّهُ قَالَ أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ يَرَى أَنْ فِيهِ خَيْرًا وَلَا خَيْرَ فِيهِ وَقَالَ  
 عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ لَا تَعْمَلْ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ رِيَاءً وَلَا تَتْرَكَ

حياء و قال بعض العلماء كل حسنة لم يرد بها وجه الله تعالى فعلتها قبح الرياء \*  
 وثمرتها سوء الجزاء وقد يفضى الرياء بصاحبه الى استهزاء الناس به كما حكى ان  
 طاهر بن الحسين قال لابي عبد الله المروزي منذ كم صرت الى العراق يا ابا عبد الله  
 قال دخلت العراق منذ عشرين سنة وانا منذ ثلاثين سنة صائم فقال يا ابا عبد الله  
 سألتك عن مسألة فأجبت عن مسألتين و حكى الاصمعي رحمه الله ان اعرابيا صلى  
 فاطال و الى جانبه قوم فقالوا ما احسن صلاتك فقال وانا مع ذلك بصائم  
 \* صلى فأعجبني وصام فرابنى \* نحي القلوص من المصلى الصائم \*  
 فانظر الى هذا الرياء مع قبحه ما ادله على سخف عقل صاحبه وربما ساعد الناس  
 مع ظهور رياءه على الاستهزاء بنفسه كالذي حكى ان زاهدا نظر الى رجل في وجهه  
 سجادة كبيرة واقفا على باب السلطان فقال مثل هذا الدرهم بين عينيك و انت  
 واقف ههنا فقال انه ضرب على غير السكة وهذا من اجوبة الخلاعة التي يدفع  
 بها تهجين المذمة وتمد استحسن الناس من الاشعث بن قيس قوله و قد خفف  
 صلاته مرة فقال بعض اهل المسجد خفت صلاتك جدا فقال انه لم يخاطبها  
 رياء فخلص من تقيصهم بنى الرياء عن نفسه و رفع التصنع في صلاته و قد كان  
 الانكار لولا ذلك متوجها عليه و اللوم لاحتماله و مر ابو امامة ببعض المساجد  
 فاذا رجل يصلي وهو يبكي فقال له انت انت لو كان هذا في بيتك فلم يرد ذلك  
 منه حسنا لانه اتهمه بالرياء و لعله كان بريئا منه فكيف بمن صار الرياء اغلب  
 صفاته \* واشهر سماته \* مع انه آثم فيما عمل \* انم من هبوب النسيم بما حل \*  
 ولذلك قال عبد الله بن المبارك افضل الزهد اخفاء الزهد وربما احسن ذو الفضل  
 من نفسه ميلا الى المرائة فبعثه الفضل على هتك ما نازعته النفس من المرائة  
 فكان ذلك ابلغ في فضله كالذي حكى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه  
 احس على المنبر بريح خرجت منه فقال ايها الناس اني قد مثلت بين ان اخافكم  
 في الله تعالى وبين ان اخاف الله فيكم فكان ان اخاف الله فيكم احب الى ألا واني  
 قد فسوت وها انا نازل اعيد الوضوء فكان ذلك منه زجرا لنفسه لتكف  
 عن نزاعها الى مثله وقال عمر بن عبد العزيز لمحمد بن كعب القرظي عطني  
 فقال لا ارضى نفسي لك واعظا لاني اجلس بين الغني والفقير فاميل على الفقير



واوسع للذنبى ولان طاعة الله تعالى فى العمل لوجهه لا لغيره وحقى ان قوما ارادوا سفرا فنادوا عن الطريق فانتهموا الى راهب فتعالوا قد ضلنا فكيف الطريق فقال ههنا واوماً بيده الى السماء ❖ والشمس الثالث ❖ ان يفعل الزيادة اقتداء بغيره وهذا قد ثمره مجالسة الاخيار الافاضل ❖ وتحذره مكارثة الاتقياء الامثال ❖ ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينبظر احدكم من يخالل فاذا كثرهم المجالس ❖ وذاولهم المؤانس ❖ احب ان يقتدى بهم فى افعالهم ❖ ويتأسى بهم فى اعمالهم ❖ ولا يرضى لنفسه ان يقصر عنهم ولا ان يكون فى الخير دونهم فتبعته المنافسة على مساواتهم وربما دعتهم الى الزيادة عليهم والمكاثرة لهم فيصيروا سببا لسعائته ❖ وبعثنا على استزائته ❖ و العرب تقول لولا اللوام ❖ هلك الانام ❖ اى لولا ان الناس يرى بعضهم بعضا فيقتدى بهم فى الخير لهلكوا ولذلك قال بعض البلغاء من خير الاختيار ❖ صحبة الاخيار ❖ ومن شر الاختيار مودة الاشرار ❖ وهذا صحيح لان للمصاحبة تأثيرا فى اكتساب الاخلاق فتصلح اخلاق المرء بمصاحبة اهل الصلاح وتفسد بمصاحبة اهل الفساد ولذلك قال الشاعر

- \* رأيت صلاح المرء يصلح اهله \* ويهديهم عند الفساد اذا فسد \*
- \* يعظم فى الدنيا بفضل صلاحه \* ويحفظ بعد الموت فى الاهل والولد \*
- وانشدنى بعض اهل الادب لابي بكر الخوارزمي
- \* لا تصحب الكسلان فى حالاته \* كهم صالح بفساد آخر يفسد \*
- \* عدوى البليد الى الجليد سريعة \* والجمر يوضع فى الرماد فيتحمد \*
- ❖ والقسم الثالث ❖ ان يفعل الزيادة ابتداء من نفسه التماسا لنوابها ورغبة فى الزلفة بها فهذا من نتائج النفس الزاكية ❖ ودواعى الرغبة الوافية ❖ الدالين على خلوص الدين ❖ وصحة اليقين ❖ وذلك افضل احوال العاملين ❖ واعلى منازل العابدين ❖ وقد قيل الناس فى الخير اربعة منهم من يفعله ابتداء ❖ ومنهم من يفعله اقتداء ❖ ومنهم من يتركه استحسانا ❖ ومنهم من يتركه حرمانا ❖ فمن فعله ابتداء فهو كريم ❖ ومن فعله اقتداء فهو حكيم ❖ ومن تركه استحسانا فهو ردى ❖ ومن تركه حرمانا فهو شقي ❖ ثم لما

يفعله من الزيادة حالتان ❖ احدهما ❖ ان يكون مقتصدا فيها وقادرا على الدوام عليها فهي افضل الطائفتين \* واعلى المنزلتين \* عليها اقراض اختيار السلف \* وتبوعهم فيها فضلاء الخلف \* وقد روت عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ايها الناس افعلوا من الاعمال ما تملقون فان الله لا يمل من الثواب حتى تملوا من العمل وخير الاعمال ما ديم عليه والعرب تقول القصد والدوام وانت السابق الجواد ولان من كان صحيح الرغبة في ثواب الله تعالى لم يكن له مسرة الا في طاعته و قال عبد الله بن المبارك قلت لراهب متى عيدكم قال كل يوم لا اعصى الله فيه فهو يوم عيد انظر الى هذا القول منه و ان لم يكن من مقاصد الطاعة ما ابلاه في حب الطاعة \* واحش علي بذل الاستعانة \* و خرج بعض الزهاد في يوم عيد في هيباً رثه فقيل لم يخرج في مثل هذا اليوم في مثل هذه الهيئة والناس مترينون فقال ما يترين لله تعالى بمثل طاعته ❖ والحالة الثانية ❖ ان يستكثر منها استكثار من لا ينهض بدوامها ولا يقدر على اتصالها فهذا ربما كان بالمقصر اشبه لان الاستكثار من الزيادة اما ان يمنع من اداء اللازم فلا يكون الا تقصيرا لانه تطوع بزيادة احدثت نقصا وبقتل منع فرضا واما ان يعجز عن استدامة الزيادة ويمنع من ملازمة الاستكثار من غير اخلال بلازم ولا تقصير في فرض فهي اذا قصيرة المدى قليلة الالبث ولقليل العمل في طويل الزمان افضل عند الله عز وجل من كثير العمل في قصير الزمان لان المستكثر من العمل في الزمان القصير قد يعمل زمانا ويترك زمانا فرمما صار في زمان تركه لاهيا او ساهيا والمقل في الزمان الطويل مستيقظ الافكار \* مستديم التذكار \* وقد روى ابو صالح عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الاسلام شرة وللشرة فترة فن سدد وقارب فارجوه \* ومن اشير اليه بالاصابع فلا تعدوه \* فجعل الاسلام شرة وهي ان يغفل في الاكثار \* وجعل للشرة فترة وهي الاهمال بعد الاستكثار \* فلم يخل بما اثبت من ان تكون هذه الزيادة تقصيرا او اخلالا ولا خير في واحد منهما ❖ واعلم ❖ جعل الله العلم حاكما لك وعليك \* والحق قائدا لك واليك \* ان الدنيا اذا وصلت

فتبعات موبقه، \* واذا فارقت ففجعت محرقة، \* وليس لوصلها دوام  
ولا من فراقها بد فرض نفسك على قطيعتها لتسلم من تبعاتها \* وعلى فراقها  
لثامن فجعاتها \* فقد قيل المرء ممترض \* من عمره المنترض \* مع ان العمر وان طال  
قصير \* والفراغ وان تم يسير \* وانشدت لعلي بن محمد رحمه الله تعالى

- \* اذا كملت للمرء ستون حجة \* فلم يحظ من ستين الابدسها \*
- \* ألم تر ان النصف بالليل حاصل \* وتذهب اوقات المقل بخمسها \*
- \* فتأخذ اوقات الرموم بحصة \* واوقات اوجاع تيمت بمسها \*
- \* فخالص ما يبقى له سدس عمره \* اذا صدقته النفس عن علم حدسها \*

ورياضة نفسك لذلك تترتب على احوال ثلاث وكل حالة منها تشعب وهى  
لتسهيل ما يليها سبب ❖ والحالة الاولى ❖ ان تصرف حب الدنيا عن قلبك فانها  
تلهيك عن آخرتك ولا تجعل سعيك لها فتمتلك حظك منها وتوق الركون اليها  
ولا تكون آمنًا لها فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اشرب قلبه  
حب الدنيا وركن اليها التاط منها بشغل لا يفرغ عنه \* وامل لا يبلغ متهاه \*  
وحرص لا يدرك مداه \* وقال عيسى بن مريم - على نبينا وعليه السلام الدنيا  
لابليس مزرعة وأهلها له حراث وقال علي بن ابى طالب مثل الدنيا مثل الحية  
لين مسها قاتل سمها فأعرض عما يحبك منها لقله ما يحبك منها وضع عنك  
همومها لما يقنت من فراقها وكن احذر ما تكون لها وانت آنس ما تكون بها  
فان صاحبها كلما الظمان منها الى سرور انخصه عنها مكروه وان سكن منها  
الى ايناس ازاله عنها يحاش وقال بعض البلغاء الدنيا لاتصفو لشارب \* ولا تبقى  
لصاحب \* ولا تخلو من قته، \* ولا تخلى من محبه، \* فأعرض عنها قبل  
ان تعرض عنك واستبدل بها قبل ان تستبدل بك فان نعيمها يتقل \* واحوالها  
تبدل \* ولدانها تفتى \* وتبعاتها تبقى \* وقال بعض الحكماء انظر الى الدنيا  
نظر الزاهد الفارق لها ولا تأملها تأمل العاشق الرواقق بها وقال بعض الشعراء  
\* ألا انما الدنيا كاحلام نائم \* وما خير عيش لا يكون بدائم \*
- \* تأمل اذا ما نلت بلامس لذة \* فافيتها هل انت الاحكام \*
- \* فكفم غافل عنه وليس بغافل \* وكفم نائم عنه وليس بنائم \*

وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من هوان الدنيا على الله اذا  
 يعصى الا فيها ولا ينال ما عنده الا بتركها وروى سفيان ان الخضر قال  
 لموسى عليهما السلام يا موسى اعرض عن الدنيا وابذها ورائك فانها ليست  
 لك بدار \* ولا فيها محل قرار \* وانما جعلت الدنيا للعباد \* ليتزودوا منها  
 للمعاد \* وقال عيسى بن مريم عليه السلام الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها  
 وقال علي كرم الله وجهه يصف الدنيا اولها عناء \* وآخرها فناء \*  
 حلالها حساب \* وحرامها عقاب \* من صح فيها امن ومن مرض فيها  
 ندم ومن استغنى فيها فتن \* ومن افتقر فيها حزن \* ومن ساعاها فاته \*  
 ومن قعد عنها اتته \* ومن نظر اليها اعمت \* ومن نظر بها بصرت \*  
 وقال بعض البلغاء ان الدنيا تقبل اقبال الطالب \* وتدبر ادبار الهارب \*  
 وتصل وصال المول \* وتفارق فراق العجول \* فخيرها يسير \* وعيشها  
 قصير \* راقبالها خديع \* وادبارها بغيع \* ولذاتها فنيه \* وجمعاتها  
 باقيه \* فاغتم غفوة الزمان \* واتهر فرصة الامكان \* وخذ من نفسك  
 لنفسك وتزود من يومك لعدك وقال وهب بن منبه مثل الدنيا والآخرة  
 مثل ضربتين ان ارضيت احدهما اخطت الاخرى وقال عبد الحميد الدنيا  
 منازل \* فراحل ونازل \* وقال بعض الحكماء الدنيا اما نعمة نازله \* واما  
 نعمة زائله \* وقيل في منشور الحكماء من الدنيا على الدنيا دليل وقال الشاعر  
 \* تمتع من الايام ان كنت حازما \* فأنك منها بين ناه و أمر \*  
 \* اذا ابقت الدنيا على المرء دينه \* فما فاته منها فليس بضائر \*  
 \* فلن تعبد الدنيا جناح بعوضة \* ولا وزن ذر من جناح طائر \*  
 \* فما رضى الدنيا ثوابا لمؤمن \* ولا رضى الدنيا جزاء لكافر \*  
 وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الدنيا يومان يوم فرح ويوم  
 هم وكلاهما زائل عنك فدعوا ما يزول واتعبوا نفوسكم في العمل لما لا يزول  
 وقال عيسى بن مريم عليه السلام لا تنازعوا اهل الدنيا في دنياهم فينازعوكم  
 في دينكم فلا دنياهم اصبتكم ولا دينكم ابقيتكم وقال علي بن ابي طالب  
 لا تكن ممن يقول في الدنيا بقول الزاهدين \* ويعمل فيها عمل الراتبين \* فان اعطى

منها لم يشبع \* وان منع منها لم يقنع \* يحجز عن شكر ما اوتي ويبتغي الزيادة  
فيمابق وينهى الناس ولا ينتهي و يأمر بما لا يأتي يحب الصالحين ولا  
يعمل بعملهم وينعز الضالحين وهو منهم وقال الحسن البصري الدنيا  
كلها غم فا كان منها من سرور فهو ربح وقال بعض العلماء ان الدنيا كثيرة  
التغير \* سريرة التنكير \* شديدة المكر \* دائمة الغدر \* فاقطع اسباب الهوى  
عن قلبك واجعل ابعدا ملك بقية يومك وكن كأنك ترى ثواب اعمالك  
وقال بعض الحكماء الدنيا امام صيبة موجهة \* واما منية مفضحة \* وقال  
الشاعر

\* خـل ذبـاك انـها \* يعقب الخـير شرها \*  
\* هـى ام تـعوق من \* نسلها من يبرها \*  
\* كل نفس فانها \* تبتنى ما يسرها \*  
\* والنـايا تـسوقها \* و الاماني تغررها \*  
\* فاذا استحلت الجنى \* اعقب الحلو مرها \*  
\* يستوى في ضريحه \* عبد ارض و حرها \*

فاذا رضت نفسك من هذه الحالة بما وصفت اعتضت منها بثلاث خلال  
❖ احداهن ❖ ان تكفي اشفاق المحب و حذر الوامق فليس لمشفق ثقة ولا  
لمحاذر راحة ❖ و الثانية ❖ ان تأمن الاغترار بملاهيها فتسلم من عادية  
دواهيها فان اللاهي بما مغرور \* والمغرور فيها مذعور \* ❖ و الثالثة ❖  
ان تستريح من تعب السعي لها ووصب الكد فيها فان من احب شيئا طلبه ومن  
طلب شيئا كدله والمكدود فيها شقي ان ظفر ومحروم ان خاب وروى عن النبي  
صلى الله عليه وسلم انه قال لكعب يا كعب الناس غايدان فغاد بنفسه ففعتها \*  
وموبق نفسه فوثقتها \* وقال عيسى بن مريم عليهما السلام تعلمون للدنيا وانتم  
ترزقون فيها بغير عمل ولا تعملون للآخرة وانتم لاترزقون فيها الا بعمل وقال  
بعض البلغاء من نكد الدنيا ان لا تبقى على حاله \* ولا تخلو من استحاله \*  
تصلح جانباً بافساد جانب \* وتسر صاحباً بمساءة صاحب \* فالركون اليها  
خطر \* والثقة بها غرر \* وقال بعض الحكماء الدنيا مرتجعة الهبة والدهر

حسود لا يأتي على شيء الا غيره ولمن عاش حاجة لا تقضى ولما بلغ مردك  
 من الدنيا افضل ما سميت اليه نفسه نبذها وقال هذا سرور \* لولا انه غرور \*  
 ونعيم \* لولا انه عديم \* وملاك \* لولا انه هلاك \* وغناء \* لولا انه فناء \*  
 وجسيم \* لولا انه ذميم \* ومحمود \* لولا انه مفقود \* وغنى \* لولا انه منى \*  
 وارتفاع \* لولا انه انضاع \* وعلاء \* لولا انه بلاء \* وحسن \* لولا انه  
 حزن \* وهو يوم او وثق له بغد وقال بعض الحكماء قدم ملك الدنيا غير واحد \*  
 من راغب وزاهد \* فلا الراغب فيها استبقت \* ولا عن الزاهد فيها كفت \*  
 وقال ابو العتاهبة

\* هي الدار دار الازى والتذى \* ودار الفناء ودار الغير \*  
 \* فلو نلتها بهذا فيرها \* لم ت ولم تقص منها الوطر \*  
 \* أيا من يؤمل طول الخلو \* ود طول الخلود عليه ضرر \*  
 \* اذا ما كبرت وبان الشبا \* ب فلا خير في العيش بعد الكبر \*  
 وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اللهم انى اعوذ بك من علم لا ينفع \*  
 ونفس لا تشبع \* وقلب لا يخشع \* وعين لا تدمع \* هل يتوقع احدكم الا غنى  
 مطغيا \* او فقرا منسيا \* او مرضا مفسدا \* او هراما متيدا \* والبدجال  
 فهو شر غائب ينظر \* او الساعة والساعة ادهى وامر \* وحكى ان الله تعالى  
 اوحى الى عيسى بن مريم عليه السلام ان هب لى من قلبك الخشوع \* ومن بدتك  
 الخضوع \* ومن عينك الدموع \* واتى قريب \* وقال عيسى بن مريم عليه السلام اوحى  
 الله الى الدنيا من خدمنى فاخدمه \* ومن خدمك فاستخدمه \* وقال بعض البلغاء  
 زد من طول املك \* فى قصر عمك \* فان الدنيا ظل الغمام \* وحلم النيام \* فمن عرفها  
 ثم طلبها فقد اخطأ الطريق \* وحرّم التوفيق \* وقال بعض الحكماء لا يؤمنك  
 اقبال الدنيا عليك من اديارها عنك \* ولا من دولة لك من ادالة منك \* وقال  
 آخر ما مضى من الدنيا كما لم يكن وما بقى منها كما قد مضى وقيل لزاهد قد خلعت  
 الدنيا فكيف سحت نفسك عنها فقال ايقت انى اخرج منها كارهها فرأيت ان  
 اخرج منها طائعا وقيل لحرقه بذت النعمان مالك تبكين فقالت رأيت لاهلى  
 غضارة ولن تمتلىء دار فرحا \* الا امتلأت ترحا \* وقال ابن السماك من

جرعته الدنيا حلاوتها بميله اليها جرعته الآخرة مرارتها لتجافيه عنها وقال صاحب كفاية ودمنة طالب الدنيا كشارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا وكان عمر بن عبد العزيز يتمثل بهذه الايات

\* نهارك يا مغرور سهو وغفلة \* و ليالك نوم والاسى لك لازم \*  
 \* تسر بما يفنى وتفرح بالمنى \* كما سر بالذات فى النوم حالم \*  
 \* وشغلك فيما سوف تكره غبه \* كذلك فى الدنيا تعيش البهائم \*  
 وسمع رجل رجلا يقول لصاحبه لا اراك الله مكر وها فقال كانك دعوت على صاحبك بالوت ان صاحبك ما صاحب الدنيا فلا بد ان يرى مكر وها وقال ابو العتاهية

\* ان الزمان ولولين لاهله لمخاشن \*  
 \* خطواته المتحركا \* ت كأنهن سواكن \*

❖ والحال الثانية ❖ من احوال رياضتك لها ان تصدق نفسك فيما منحتك من رغائبها \* و انالتك من غرائبها \* فتعلم ان العطية فيها مرتجعة والمنحة فيها مستردة بعد ان تبقى عليك ما احتنت من اوزار وصولها اليك وخسران خروجها عنك فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تزول قدما ابن آدم حتى يسأل عن ثلاث شبابه فيما ابلاه وعمره فيما افناه و ماله من اين اكتسبه وفيما انفته و روى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه قال فى المال ثلاث خصال قالوا وما هن يا روح الله قال يكسبه من غير حله قالوا فان كسبه من حله قال يضعه فى غير حتمه قالوا فان وضعه فى حتمه قال يشغله عن عبادة ربه ودخل ابو حازم على بشر بن مروان فقال يا ابا حازم ما المخرج مما نحن فيه قال تنظر ما عندك فلا تضعه الا فى حقه و ما ليس عندك فلا تأخذه الا بحقه قال ومن يطيق هذا يا ابا حازم قال فى اجل ذلك ملئت جهنم من الجنة والناس اجمعين وغيرت اليهود عيسى بن مريم عليه السلام بالفقر فقال من الفنى دهيمت ودخل قوم منزل عابد فلم يجدوا شيئا يقعدون عليه فقال لو كانت الدنيا دار مقام لاتخذنا لها اثانا وقيل لبعض الزهاد ألا توصى قال بماذا اوصى والله ما لنا شئ ولا لنا عند احد شئ ولا لاحد عندنا شئ انظر الى هذه الراحة كيف تجملها و الى السلاة كيف

صار اليها ولذلك قيل الفقر ملك ليس فيه محاسبة وقيل لعيسى بن مريم  
عليهما السلام ألا تزوج فقال إنما نحب التكاثر في دار البتاء وقيل لو دعوت الله  
تعالى ان يرزقك حجارا فقال انا اكرم على الله من ان يجعلني خادم حجار  
وقيل لابي حازم رضى الله عنه ما مالك قال شيئان الرضى عن الله والغنى عن  
الناس وقيل له انك لمسكين فقال كيف اكون مسكينا ومولاي له ما في السموات  
وما في الارض وما بينهما وما تحت الثرى وقال بعض الحكماء رب مغبوط بمسرة  
هى داؤه \* ومرحوم من ستم هو شفاؤه \* وقال بعض الادباء الناس اشتات ولكل  
جمع شتات وقال بعض البلغاء الزهد بصحة اليقين \* وصحة اليقين بنور الدين \*  
فن صح يقينه زهد في الثراء \* ومن قوى دينه ايقن بالجزاء \* فلا تغرنك  
صحة نفسك \* وسلامة امسك \* مدة العمر قليله \* وصحة النفس مستحيله \*  
وقال بعض الشعراء

\* رب مغروس يعاش به \* عدمته عين مغترسه \*  
\* وكذلك الدهر مآتمه \* اقرب الاشياء من عرسه \*  
فاذا رضت نفسك من هذه الحال بما وصفت اعتضت منها ثلاث خلال  
❖ احداهن ❖ نصبح نفسك وقد استسلمت اليك \* والنظر لها وقد اعتمدت  
عليك \* فان غاش نفسه مغبون \* والمنحرف عنها مأفون \* ❖ والثانية ❖  
الزهد فيما ليس لك لتكفي تكلف طلبه وتسلم من تبعات كسبه \* ❖ والثالثة ❖  
انتهاز الفرصة في مالك ان تضعه في حقه \* وان تؤتبه لمستحقه \* ليكون لك  
ذخرا \* ولا يكون عليك وزرا \* فقد روى ان رجلا قال يا رسول الله انى  
اكره الموت قال ألك مال قال نعم قال قدم مالك فان قلب المؤمن عند  
ماله وقالت عائشة رضى الله عنها ذبحنا شاة فتصدقنا بها فقلت يا رسول الله  
ما بقى الا اكتفها قال كلها بقى الا كتفها وحكى ان عبد الله بن عبيد الله  
ابن عتبة بن مسعود باع دارا بثمانين الف درهم فقيل له اتخذ لو ادك من هذا  
المال ذخرا فقال انا اجعل هذا المال ذخرا لى عند الله عز وجل واجعل الله  
ذخرا لولدى وتصدق بها وعوتب سهل بن عبد الله المروزى فى كثرة  
الصدقة فقال لو ان رجلا اراد ان ينتقل من دار الى دار اكان يبقى فى الاولى



شيئا وقال سليمان بن عبد الملك لابي حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم اخرجتم  
 آخرتكم وعمرتم دنياكم فكبرهتم ان تتقلوا من العمران الى الخراب وقيل لعبد الله  
 ابن عمر ترك زيد بن خارجة مائة الف درهم فقفل لكنها لا تتركه وقال الحسن  
 البصرى رحمه الله ما انعم الله على عبد نعمة الا وعليه فيها تبعه الاسلام بن  
 داود عليه السلام فان الله تعالى قال له هذا عطاؤنا فامنن او امسك بغير حساب  
 وقال ابو حازم ان عوفينا من شر ما اعطينا لم يضرنا فقد ما زوى عنا وقال بعض  
 السلف قدموا كالا ليكون لكم ولا تخلقوا كالا فيكون عليكم وقال ابراهيم نعم  
 القوم السؤل يدقون ابوابكم يقولون ا توجهون للآخرة شيئا وقال سعيد بن  
 المسيب مر بي صلة بن اشيم فاتماكت ان نهضت اليه فقلت يا ابا الصهباء  
 ادع لي فقَالَ رغبك الله فيما بقي وزهدك فيما يفنى ووهب لك اليقين  
 الذى لا تسكن النفس الا اليه \* ولا يعول فى الدين الا عليه \* ولما ثقل  
 عبد الملك بن مروان رأى غسالا يلوى يته ثوبا فقَالَ وددت انى كنت غسالا  
 لا اعيش الا بما اكتسبه يوما فيوما فبلغ ذلك ابا حازم فقَالَ الحمد لله الذى  
 جعلهم يمتنون عند الموت ما نحن فيه ولا يمتنى نحن عنده ما هم فيه وروى عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول ابن آدم مالى مالى وهل لك يا ابن آدم  
 من مالك الا ما اكلت فافريت \* او لبست فافريت \* او اعطيت فامضيت \* وقال  
 خالد بن صفوان بت ليلتى اتمنى فكسبت البحر الاخضر والذهب الاحمر فاذا  
 يكفينى من ذلك رغيفان وكوزان وطمران وقال مورق الجعلى يا ابن آدم تؤتى  
 كل يوم برزقك وانت تحزن ويتعص عمرك وانت لا تحزن تطلب ما يطفئك  
 وعندك ما يكفئك وقال ابو حازم انما بيننا وبين الملوك يوم واحد اما امس فقد مضى  
 فلا يجدون لذته وانا وهم من غد على وجل وانما هو اليوم فاعسى ان يكون  
 وقال بعض السلف تعز عن الشئ اذا منعت له لمة ما يحجيك اذا اعطيته وقال بعض  
 الحكماء من ترك نصيبه من الدنيا استوفى حظه من الآخرة وقال آخر ترك التلبس  
 بالدنيا قبل التشبث بها هون من رفضها بعد ملابستها وقال آخر ليكن  
 طلبك للدنيا اضطرارا \* و تذكرك فى الامور اعتبارا \* وسعيك لمعاذك  
 ابتدارا \* وقال آخر الزاهد لا يطلب المفقود حتى يفقد الموجود وقال آخر من آمن

بالآخرة لم يحرص على الدنيا ومن ايقن بالمجازاة لم يؤثر على الحسنى وقال آخر من  
حاسب نفسه ربح ودين يغفل عنها خسر وقال ابو العتاهية

- \* ارى الدنيا لمن همى في يديه \* عذابا كلما كثرت لديه \*
- \* تهين المكرمين لها بصغر \* وتكرم كل من هانت عليه \*
- \* اذا استغيت عن شئ فذعه \* وخذ ما انت محتاج اليه \*

وحكى الاصمعي رحمه الله قال دخلت على الرشيد رحمة الله عليه يوما وهو ينظر  
في كتاب ودموعه تسيل على خده فلما ابصرني قال أرأيت ما كان مني قلت نعم  
يا امير المؤمنين فقال اما انه لو كان لامر الدنيا ما كان هذا ثم رمى الى بالترطاس  
فاذا فيه شعر ابي العتاهية رحمه الله تعالى

- \* هل انت معتبر بمن خربت \* منه غداة قضى دساكره \*
- \* وبمن اذل الدهر مصرعه \* فتبأت منه عساكره \*
- \* وبمن خلت منه أسرته \* وتعطلت منه منابره \*
- \* اين الملوك و اين عزهم \* صاروا مصيرا انت صأره \*
- \* يا مؤثر الدنيا للذته \* والمستعد لمن يفاخره \*
- \* نل ما بدالك ان تال من الدنيا فان الموت آخره \*

فقال الرشيد رحمة الله عليه والله لئن انا اخاطب بهذا الشعر دون الناس  
فلم يلبث بعد ذلك الا يسيرا حتى مات رحمه الله ثم الحائلة الثالثة من احوال رياضتك  
لها ان تكشف لنفسك حال اجلك \* وتصرفها عن غرور املك \* حتى لا يطيل  
لك الامل اجلا قصيرا \* ولا ينسبك موتا ولا نشورا \* وروى عن النبي صلى  
الله عليه وسلم انه قال في بعض خطبه ايها الناس ان الايام تطوى والاعمار  
تفنى والابدان تبلى وان الليل والنهار يترأضان كثيرا كض البريد \* يقربان كل  
بعيد \* ويخلفان كل جديد \* وفي ذلك عباد الله ما الهى عن الشهوات \*  
ورغب في الباقيات الصالحات \* وقال مسعر كم من مستبيل يوما وليس يستكمل  
ومتنظر غدا وليس من اجله ولو رأيتم الاجل ومسيره \* لا تبغضتم الامل  
وغروره \* وقال رجل من الانصار للنبي صلى الله عليه وسلم من اكيس الناس  
قال اكثرهم ذكرا للموت واشدهم استعدادا له اولئك الاكياس ذهبوا بشرف

الدنيا وكرامة الآخرة وقال عيسى بن مريم عليه السلام كما تنامون كذلك تموتون \* وكما تستيقظون كذلك تبعثون \* وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه ايها الناس اتقوا الله الذي ان قاتم سمع وان اضمرتم علم وباندروا الموت الذي ان هربتم ادرككم \* وان اقمم اخذكم \* وقال العلاء بن المسيب ليس قبل الموت شيء الا والموت اشد منه وليس بعد الموت شيء الا الموت ايسر منه وقال بعض الحكماء ان للباقي بالماضي معتبرا \* وللآخر بالاول من دجرا \* والسعيد لا يركن الى الخدع \* ولا يفتخر بالطمع \* وقال بعض الصالحين ان بقاءك الى فناء \* وفناءك الى بقاء \* فخذ من فناءك الذي لا يبقى \* لبئناك الذي لا يبقى \* وقال بعض العلماء اي عيش يطيب \* وليس للموت طيب \* وقال بعض البلغاء كل امرئ يجرى من عمره الى غاية تنتهي اليها مدة اجله \* وتلطوى عليها صحيفة عمله \* فخذ من نفسك لنفسك \* وقس يومك بامسك \* وكف عن سيئاتك \* وزد في حسناتك \* قبل ان تستوفي مدة الاجل \* وتقتصر عن الزيادة في السعي والعمل \* وقيل في منشور الحكم من لم يتعرض للنوائب تعرضت له وقال ابو العتاهبة

- \* ما للمقابر لا تجيب اذا دعاهن الكئيب \*
- \* حفر مسقفة عليهن الجنادل والكئيب \*
- \* فيهن ولدان واطفال وشبان وشيب \*
- \* كم من حبيب لم تكن \* نفسى بفرقت تطيب \*
- \* غادرته في بعضهن مجندلا وهو الحبيب \*
- \* وسلوت عنه وانما \* عهدى برؤيته قريب \*

ووعظ النبي صلى الله عليه وسلم رجلا فقال اقل من الدنيا تعش حرا واقل من الذنوب يهن عليك الموت وانظر حيث تضع ولدك فان العرق دساس وقال الرشيد لابن السماك رحمه ما الله تعالى عظمى واوجز فقال اعلم انك اول خليفة يموت وعزى اعرابي رجلا عن ابن صغيره فقال الحمد لله الذي نجاه مما ههنا من الكدر \* وخلصه مما بين يديه من الخطر \* وقال بعض السلف من عمل للآخرة احرزها والدنيا ومن آثر الدنيا حرمها والآخرة وقال بعض الصالحين

استغتم تنفس الاجل \* وامكان العمل \* واقطع ذكر المعاذير والعلل \* فانك  
في اجل محدود \* ونفس معدود \* وعمر غير ممدود \* وقال بعض الحكماء  
الطيب معذور \* اذا لم يقدر على دفع المحذور \* وقال بعض البلغاء اعمل  
عمل المرتحل فان حادى الموت يحذوك \* ليوم ليس يعدوك \* وروى عن علي  
ابن ابي طالب رضى الله عنه انه قال بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

- \* غرّ جهولا امله \* يموت من جا اجله \*
- \* ومن دامن حنقه \* لم تغن عنه حيله \*
- \* وما بقاء آخر \* قد غاب عنه اوله \*
- \* والمرء لا يصحبه \* في القبر الا عمله \*

﴿ وقال ابو العتاهية ﴾

- \* لا تأمن الموت في لحظ ولا نفس \* وان تمنعت بالحجاب والحرس \*
  - \* واعلم بان سهام الموت قاصدة \* اكل مدرع منها ومترس \*
  - \* ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها \* ان السفينة لا تجرى على اليبس \*
- فاذا رضت نفسك من هذه الحالة بما وصفت اعتضت منها ثلاث خلال  
﴿ احدهن ﴾ ان تكفي تسويق امل يردك \* وتسويل محال يؤذك \* فان  
تسويق الامل غرار \* وتسويل المحال ضرار \* ﴿ والثانية ﴾ ان تستيقظ  
لعمل آخرتك وتتمت بقية اجلك بخير عملك فان من قصر امله \* واستقل اجله \*  
حسن عمله \* ﴿ والثالثة ﴾ ان يهون عليك نزول ما ليس عنه محيص ويسهل  
عليك حلول ما ليس الى دفعه سبيل فان من تحقق امره توطأ لحلوله \* فهان  
عليه عند نزوله \* وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لابي ذر نبه  
بالتفكر قلبك \* وجاف عن النوم جنبك \* واتق الله ربك \* وقال عمر بن الخطاب  
رضي الله عنه لابي ذر رضى الله عنه عظمى فقال ارض بالعتوت وخف من  
الفوت \* واجعل صومك الدنيا وفطرك الموت \* وقال عمر بن عبدالعزيز  
رضي الله عنه ما رأيت يقينا لا شك فيه \* اشبه بشك لا يقين فيه \* من يقين  
نحن فيه \* فلئن كنا مقرين اننا لملحق ولئن كنا جاحدين اننا لهلكي وقال الحسن  
البصري رحمة الله عليه فشارك ضيفك فاحسن اليه فانك ان احسنت اليه ارتحل

بمحمدك وان اسأت اليه ارتحل بدمك وكذلك ليلك وقال الجاحظ في كتاب البيان  
 وجد مكتوبا في حجر يا ابن آدم لو رأيت يسير ما بقي من اجلك \* لزهدت في طويل  
 ما ترجو من املاك \* ولرغبت في الزيادة من عملك \* ولقصرت من حرصك  
 وحيملك \* وانما ياتك غداندك \* لو قد زلت بك قدمك \* واسمك اهلك  
 وحشمك \* وتبرأ منك التريب \* وانصرف عنك الحبيب \* ولما حضر بشر  
 ابن منصور الموت فرح فقيل له أتفرح بالموت فقال أتجعلون قدومي على خالق  
 ارجوه كدعامي مع مخلوق اخافه وقيل لابي بكر الصديق رضى الله عنه في  
 مرضه الذي مات فيه لو ارسلت الى الطبيب فتمال قدر آتني قالوا فما قال لك  
 قال قال اني فعال لما اريد وقيل للربيع بن خيثم وقد اعتل ندعو لك بالطبيب  
 قال قد اردت ذلك فذكرت عادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا  
 وعلمت انه كان فيهم الداء والمداوى فهلكوا جميعا وسئل انو شروان متى يكون  
 عيش الدنيا ألدنا قال اذا كان الذي يذبحني ان يعمله في حياته معمولا وقال بعض  
 الحكماء من ذكر المنية نسي الامنية وقال بعض الابداء عن الموت تسل \*  
 وهو كريمة تسل \* وقال بعض البلغاء الامل \* حجاب الاجل \* وانشد بعض  
 اهل الادب ما ذكر انه لعلى رضى الله عنه

\* ولو انا اذا متنا تركنا \* لكان الموت راحة كل حي \*  
 \* ولكننا اذا متنا بعثنا \* ونسأل بهد ذا عن كل شي \*

❖ وقال بعض الشعراء ❖

\* ألا انما الدنيا مقيل لراكب \* قضى وطرا من منزل ثم هجرا \*  
 \* وراح ولا يدري على ما قدومه \* ألا كل ما قدمت تلقى موفرا \*  
 وروى سعيد بن مسعود رضى الله عنه ان ابا الدرداء رضى الله عنه قال  
 يا رسول الله اوصني فقال صلى الله عليه وسلم اكسب طيبا واعمل صالحا  
 واسأل الله تعالى رزق يوم بيوم واعدد نفسك من الموتى وكتب الربيع بن  
 خيثم الى اخ له قدم جهازك وافرغ من زائدك وكن وصي نفسك والسلام وقال  
 بعض السلف اصاب الدنيا من حذرها واصابت الدنيا من امنها ومحمد بن  
 واسع رحمة الله عليه بقوم فقيل هؤلاء زهاد فقال ما قدر الدنيا حتى يحمد

من زهد فيها وقال بعض الحكماء السعيد من اعتبر بامسه \* واستظهر لنفسه \*  
والشقي من جمع لغيره وبخل على نفسه \* وقال بعض البلغاء لا تبت عن غير  
وصية وان كنت من جسمك في صحة \* ومن عمرك في فسحة \* فان الدهر  
خائن \* وكل ما هو كائن كائن \* وقال بعض الشعراء

\* من كان يعلم ان الموت مندركه \* والقبر مسكنه والبعث مخرجه \*  
\* وانه بين جنات ستهججه \* يوم القيامة او نار ستهججه \*  
\* فكل شئ سوى التقوى به سمج \* وما اقام عليه من اسمج \*  
\* ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا \* لم يدرك ان المنايا سوف تزجج \*

وروى جعفر بن محمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما عن النبي صلى الله  
عليه وسلم انه قال في بعض خطبه ايها الناس ان لكم نهاية فانتهوا الى نهايتكم  
وان لكم معالم فانتهوا الى معالمكم وان المؤمن بين محافتين اجل قد مضى  
لا يدري ما الله صانع فيه واجل قد بقي لا يدري ما الله فاض فيه فليترود  
العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الحياة قبل الموت فان الدنيا  
خلعت لكم واتم خلتكم للآخرة فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعجب  
ولا بعد الدنيا دار \* الا الجنة او النار \* وقال الحسن البصرى رحمة الله  
عليه امس اجل \* واليوم عمل \* وغدا امل \* فاخذ ابو العتاهية هذا المعنى  
فنظمه شعرا

\* ليس فيما مضى ولا في الذي يأ \* تيك من لذة لمستحليها \*  
\* انما انت طول عمرك ما عمرت في الساعة التي انت فيها \*  
\* علل النفس بالكفاف والا \* طلبت منك فوق ما يكفها \*

وقيل لزاهد مالك تمشي على العصا ولست بكبير ولا مريض فتعال اني اعلم اني  
مسافر وانها دار بلغة وان العصا من آلة السفر فاخذ بعض الشعراء فقال  
\* حملت العصا لا الضعف اوجب حملها \* على ولا اني تخنيت من كبر \*  
\* ولكنني ألزمت نفسي حملها \* لاعلمها اني مقيم على سفر \*  
وقال بعض المتصوفة الدنيا ساعة \* فاجعلها طاعة \* وقال ذو القرنين  
عليه السلام رتعا في الدنيا جاهلين \* وعشنا فيها غافلين \* واخرجنا منها

كارهين \* وقال عبد الحميد المرء اسير عمر يسير وقيل في بعض المواعظ يحجبنا لمن يخاف العقاب كيف لا يكف عن المعاصي ومحجبنا لمن يرجو الثواب كيف لا يعمل وقال بعض الحكماء انسى ميت وان كان في دار الحياة والمحسن حي وان كان في دار الاموات وكل بالآخر يومه او غده وقال بعض السلف الله المستعان على أسنة تصف وقلوب تعرف واعمال تضالف وقال آخر الليل والنهار يعملان فيك فاعمل فيهما وقال آخر اعملوا لاخرتكم في هذه الايام التي تسير \* كأنها تطير \* وقال آخر الموت قصارك \* فخذ من دنياك لاخرتك \* وقال آخر عباد الله الحذر الحذر \* فوالله لقد ستر \* حتى كأنه قد غفر \* ولقد اهمل \* حتى كأنه قد اهمل \* وقال آخر الايام صحائف اعمالكم \* فخذوها اجل افعالكم \* وقيل في منشور الحكم اقبل نصيح المشيب وان مجل وقيل ما طلعت شمس \* الا وعظت بامس \* وقال محمد بن بشير رحمه الله

\* مضى امسك الاذنى شهيدا معذلا \* ويومك هذا بالفعال شهيد \*  
 \* فان تك بالامس اقررت اساءة \* فتن باحسان وانت حميد \*  
 \* ولا ترج فعل الخير منك الى غد \* لعل غدا يأتي وانت فقيد \*

وروى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما رأيت مثل الجنة نام طالبا \* وما رأيت مثل النار نام هاربا \* وقال عيسى بن مريم عليهما السلام ألا ان اولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين نظروا الى باطن الدنيا حين نظر الناس الى ظاهرها \* والى آجل الدنيا حين نظر الناس الى عاجلها \* فاماتوا منها ما خشوا ان يميت قلوبهم وتركوا منها ما عاوا انه سيرتكم وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس طالبان يطلبان فطالب يطلب الدنيا فارفضوها في نحره فانه ربما ادرك الذى يظلمه منها فهلك بما اصاب منها وطالب يطلب الآخرة فذا رأيت طالبا يطلب الآخرة فنافسوه فيها ودخل ابو الدرداء رضى الله عنه الشام فقال يا اهل الشام اسمعوا قول اخ ناصح فاجتمعوا عليه فقال ما لي اراكم تبنون ما لا تسكنون \* وتجمعون ما لا تأكلون \* ان الذين كانوا قبلكم بنوا مشيدا \* واملوا بعيدا \* وجعوا كثيرا فاصبح املهم غرورا \* وجعهم تبورا \* ومساكنهم قبورا \* وقال ابو حازم ان الدنيا غرت اقواما فعملوا

فيها بغير الحق فعاجلهم الموت فخلفوا مالهم لمن لا يحمدهم وصاروا لمن لا يعذرهم وقد خلتنا بعدهم فينغي ان ننظر للذي كرهنا، منهم فنجتبه، والذي غبطناهم به فنستعمله ومر بعض الزهراء بباب ملك فقال باب جديد \* وموت عتيد \* وسفر بعيد \* ومر بعض الزهاد برجل قد اجتمع عليه الناس فقال ما هذا قالوا مسكين سرق منه رجل جبة ومر به آخر فاعطاه جبة فقال صدق الله ان سعيكم لشيء وقال بعض الحكماء ما انصف من نفسه من يقن بالحشر والحساب \* وزهد في الاجر والثواب \* وقال آخر بطول الامل تقسو القلوب \* وبإخلاص النية تقل الذنوب \* وقال آخر اياك والمني فانهما من بضائع النوى وتببط عن الآخرة والاولى وقال آخر قصر املاك فان العمر قصير \* واحسن سيرتك فالبر يسير \* وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله

\* نسير الى الآجال في كل ساعة \* ويايما تطوى وهن رواحل \*  
 \* ولم تر مثل الموت حقا كآئه \* اذا ما تحطته الاماني باطل \*  
 \* وما اقبح التفريط في زمن الصبا \* فكيف به والشيب في الرأس نازل \*  
 \* ترحل عن الدنيا بزاد من التقى \* فعمرك ايام تعدد قلائل \*  
 وكان عبد الملك بن مروان يتمثل بهذين البيتين

\* فاعمل على مهل فانك ميت \* واكدح لنفسك ايها الانسان \*  
 \* فكأن ما قد كان لم يك اذ مضى \* وكأن ما هو كائن قد كان \*  
 ونظر سليمان بن عبد الملك في المرأة فقال انا الملك الشاب فقالت له جارية له  
 \* انت نعم المتاع لو كنت تبقى \* غير ان لا بقاء للانسان \*  
 \* ليس فيما بدا لنا منك عيب \* كان في الناس غير انك فاني \*

وروى عبد العزيز بن عبد الصمد عن ابان عن انس قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ناقته الجداء فقال ايها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب وكان الحق فيها على غيرنا وجب وكان الذين نشيع من الاموات سفر عما قليل ينساراجعون نبوتهم اجداثهم ونأكل تراثهم كأننا مخلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وامنا كل جائحة طوبى لمن شغله عيبه عن عيب غيره وانفق من مال كسبه من غير معصية ورحم اهل الدين والمسكنة



وخالط اهل الفقه والحكمة طوبى لمن ادب نفسه وحسنت خليقته وصلحت سيرته  
 طوبى لمن عمل بعلم وانفق من فضل واعسك من قوله ووسعتة السنة ولم يعدها  
 الى بدعة ورى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال زوروا القبور تذكروا بها  
 الآخرة وغسلوا الموتى فانها معالجة الاجساد الخاوية وموعظة بليغة وحفر  
 الربيع بن خيثم في داره قبرا فيمكن اذا وجد في قبايه قسوة جاء فاضطجع في القبر  
 فكث ما شاء الله ثم يقول رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت ثم يرد على  
 نفسه فيقول قد ارجعتك لجدى فكث كذلك ما شاء الله وقال ابو محرز الطفاوى  
 كفتك القبور مواعظ الامم السالفة وقيل لبعض الزهاد ما ابلى العظمت قال  
 النظر الى محلة الاموات فاخذه ابو العتاهية فقال

- \* وعظمتك اجداث صمت \* ونعتك ازمنة خفت \*
- \* وتكلمت عن اوجه \* تبلى رعر صور سبت \*
- \* وارنتك قبرك فى الحيا \* ة وانت حتى لم تمت \*
- \* يا شامتا بمنىستى \* ان المنية لم تفت \*
- \* فلربما انقلب السما \* ت فحل باليوم الشمت \*

ووجد على قبر مكوتوبا قهرنا من قهرنا فصرنا للناظرين عبرة وعلى آخر من  
 امل البقاء وقد رأى مصارعنا فهو مغرور وقيل فى مشور الحكم ما اكثر من  
 يعرف الحق ولا يطبعه وقال بعض الحكماء من لم يميت لم يفوت وقال بعض الصالحاء  
 لنا من كل ميت عظة بحاله وعبرة بماله وقال بعض العلماء من لم يتعظ بموت ولد  
 لم يتعظ بقول احد وقال بعض البلغاء ما نقصت ساعة من امسك الا ببضعة من  
 نفسك فاخذه ابو العتاهية فقال

- \* ان مع الدهر فاعلمن غدا \* فانظر بما يتعضى مجىء غده \*
- \* ما ارتد طرف امرىء ببلذته \* الا وشىء يموت من جسده \*

ولما مات الاسكندر قال بعض الحكماء كان الملك امس انطق منه اليوم وهو اليوم  
 او عظ منه امس فاخذ ابو العتاهية هذا المعنى فقال

- \* كفا حزنا بدفنتك ثم انى \* نفضت تراب قبرك عن يديا \*
- \* وكانت فى حياتك لى عظات \* وانت اليوم او عظ منك حيا \*

وقال بعض الحكماء لو كان الخطايا ربح لا فتضح الناس ولم يتجالسوا فأخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال

\* احسن الله بنا \* ان الخطايا لا تفوح \*  
 \* فاذا المستور منا \* بين ثوبه فضوح \*  
 وهذا جميعه مأخوذ من قول النبي صلى الله عليه وسلم لو تكاشفتهم ما تدافتم  
 وكتب رجل الى ابي العتاهية رحمه الله

\* يا ابا اسحاق انى \* واثق منك بودك \*  
 \* فاعنى بابى از \* ت على عيى برشدك \*  
 \* فاجابه بقوله \*  
 \* اطمع الله بجهدك \* راغباً او دون جهدك \*  
 \* اعط مولاك الذى \* تطلب من طاعة عبدك \*

وقال بعض الحكماء من سره بنوه ساءه نفسه فأخذ هذا المعنى أبو العتاهية فقال  
 \* ابن ذى الابن كلما زاد منه \* مشرع زاد فى فناء ابيه \*  
 \* ما بقاء الاب الملح عليه \* بديب البلا شباب بنيه \*  
 وفى معناه ما حكى عن ذر بن حبيش انه عاش مائة وعشرين سنة فلما حضرته  
 الوفاة انشد يقول

\* اذا الرجال ولدت اولادها \* وارتعشت من كبر اجسادها \*  
 \* وجعلت اسقامها تعادها \* تلك زروع قد دنا حصادها \*  
 \* وكتب رجل الى صالح بن عبد القدوس \*  
 \* الموت باب وكل الناس داخله \* فليت شعرى بعد الباب ما الدار \*  
 \* فاجابه بقوله \*  
 \* الدار جنات عدن ان علمت بما \* يرضى الاله وان خالفت فالنار \*  
 \* هما محلان ما للناس غيرهما \* فانظر لنفسك ماذا انت مختار \*

### ﴿ باب ادب الدنيا ﴾

اعلم ان الله تعالى لنا فذ قدرته \* وبالغ حكمته \* خلق الخلق بتدبيره \* وفطرهم

بتقديره \* فكان من لطيف ما دبره \* وبديع ما قدره \* انه خلقتهم محتاجين \* وفطرهم عاجزين \* ليكون بالثنى منفردا وبالتدرة مختصا حتى يشعروا بقدرته انه خالق \* ويعلموا بغناه انه رازق \* فنذعن بطاعته رغبة ورهبة ونتم بقائنا بحجزا وحاجة ثم جعل الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان لان من الحيوان ما يستعمل بنفسه عن جنسه والانسان مطبوع على الافتقار الى جنسه واستعانة صفة لازمة لطبعه وخدمة قائمة في جوهره ولذلك قال الله سبحانه وتعالى وخلق الانسان ضعيفا يعني عن الصبر عما هو اليه مفقر واحتمال ما هو عنه عاجز ولما كان الانسان اكثر حاجة من جميع الحيوان كان اظهر عجزا لان الحاجة الى الشيء افتقار اليه والمقتدر الى الشيء عاجز به وقال بعض الحكماء المتقدمين استغناؤك عن الشيء خير من استغنائك به وانما خص الله تعالى الانسان بكثرة الحاجة وظهور العجز نعمة عليه ولطفا به ليكون ذل الحاجة ومهانة العجز يمنعانه من طغيان الغنى وبغى القدرة لان الطغيان مركوز في طبعه اذا استغنى والبغى مستول عليه اذا قدر وقد انبأ الله تعالى بذلك عنده فقال كلا ان الانسان ليطغى ان رآه استغنى ثم ليكون اقوى الامور شاهدا على نفسه واوضحها دليلا على عجزه وانشدني بعض اهل الادب لابن الرومي رحمه الله

\* أعيرتني بالنقص والنقص شامل \* ومن ذا الذي يعطي الكمال فيكمل \*  
 \* واشهد اني ناقص غير اني \* اذا قيس بي قوم كثير تملأوا \*  
 \* تفاضل هذا الخلق بالفضل والحجا \* فني ايا هذين انت مفضل \*  
 \* ولو منح الله الكمال ابن آدم \* خلصه والله ما شاء يفعل \*  
 ولما خلق الله الانسان ماس الحاجة ظاهر العجز جعل لتل حاجته اسبابا ولدفع عجزه حيلة دله عليها بالعقل وارشده اليها بالفطنة قال الله تعالى والذي قدر فهدى قال مجاهد قدر احوال خلقتهم فهدى الى سبيل الخير والشر وقال ابن مسعود في قوله تعالى وهديناه النجدين يعني العارفين طريق الخير وطريق الشر ثم لما كان العقل دالا على اسباب ما تدعو اليه الحاجة جعل الله تعالى الادراك والظفر موقوفا على ما قسم وقدر كيلا يعتمدوا في الارزاق على عقولهم وفي العجز على فظنهم لتدوم له الرغبة والرغبة ويظهر منه الغنى والقدرة وربما عذب

هذا المعنى على من ساء ظنه بخالفه حتى صار سبياً لضلاله كما قال الشاعر  
 \* سبحان من انزل الايام منزلها \* وصير الناس مرفوضاً ومرفوقاً \*  
 \* فعاقل فطن اعيت مذاهبه \* وجاهل خرق تلقاه مرزوقاً \*  
 \* هذا الذي ترك الالباب حائرة \* وصير العاقل <sup>مذموم</sup> الخبير زنديقاً \*  
 ولو حسن ظن العاقل في صحة نظره لعلم من علل المصالح ما صار به صديقاً  
 لا زنديقاً لان من علل المصالح ما هو ظاهر ومنها ما هو غامض ومنها ما هو  
 مغيب حكمة استأثر بها ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم حسن الظن بالله  
 من عبادة الله ثم ان الله تعالى جعل اسباب حاجاته وحيل مجزئه في الدنيا التي  
 جعلها دار تكليف وعمل كما جعل الآخرة دار قرار وجزاء فلزم لذلك ان يصرف  
 الانسان الى دنياه حظاً من عناية، لانه لا غنى به عن التزود منها لآخريته ولا له  
 بد من سد الخلة فيها عند حاجته وليس في هذا القول نقص لما ذكرنا قبل من ترك  
 فضولها وزجر النفس عن الرغبة فيها بل الراغب فيها ملوم \* وطالب  
 فضولها مذموم \* والرغبة انما تختص بما جاوز قدر الحاجة والفضول انما  
 ينطلق على ما زاد على قدر الكفاية وقد قال الله تعالى لبيه صلى الله عليه وسلم  
 فاذا فرغت فانصب والى ربك فارغب قال اهل التأويل فاذا فرغت من امور  
 دنياك فانصب في عبادة ربك وليس هذا القول منه ترغيباً لبيه صلى الله عليه وسلم  
 فيها ولكن نبيه الى اخذ البلغة منها وعلى هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم  
 ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ولا الآخرة للدنيا ولكن خيركم من اخذ من هذه  
 وهذه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نعم المطية الدنيا فارتحلوها  
 تلبغكم الآخرة وذم رجل الدنيا عند علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال رضى  
 الله عنه الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن  
 تزود منها وحكى مقاتل ان ابراهيم الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام قال  
 يارب حتى متى اتردد في طلب الدنيا فقليل له امسك عن هذا فليس طلب المعاش  
 من طلب الدنيا وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه مكتوب في التوراة اذا كان  
 في البيت بر فتعبد واذا لم يكن فاطلب يا ابن آدم حرك يدك يسبب لك رزقك  
 وقال بعض الحكماء ليس من الرغبة اكتساب ما يصون العرض فيها وقال بعض

الادباء ليس من الحرص اجتلاب ما يقوت البدن وقال محمود الوراق  
 \* لا تتبع الدنيا ويا مهما \* ذما وان دارت بك الدائرة \*  
 \* من شرف الدنيا ومن فضلها \* ان بها تستدرك الآخرة \*  
 فاذا قد لزم بما بيناه النظر في امور الدنيا فواجب ستر احوالها والكشف عن  
 جهة انتظامها واختلالها لعلم اسباب صلاحها وفسادها ومواد عمرانها  
 وخرابها لتنفى عن اهلها شبه الخيره \* وتنجلي لهم اسباب الخيره \* فيقصدوا  
 الامور من ابوابها \* ويعتمدوا صلاح قواعدها واسبابها \* واعلم ان صلاح  
 الدنيا معتبر من وجهين اولهما ما ينظم به امور جلتها والثاني ما يصلح  
 به حال كل واحد من اهلها فهما شيئان لا صلاح لاحدهما الا بصاحبه لان  
 من صلحت حاله مع فساد الدنيا واختلال امورها لن يعدم ان يتعدى اليه  
 فسادها \* ويقدم فيه اختلالها \* لان منها ما يستمد \* ولها يستعد \* ومن  
 فسدت حاله مع صلاح الدنيا وانتظام امورها لم يجد لصلاحها لذة ولا لاستقامتها  
 اثرا لان الانسان دينه نفسه فليس يرى الصلاح الا اذا صلحت له ولا يجد الفساد  
 الا اذا فسدت عليه لان نفسه اخص وحاله امس فصار نظره الى ما يخصه  
 مصروفا \* وفكره على ما يمسه موقوفا \* واعلم ان الدنيا لم تكن  
 قط لجميع اهلها مسعدة ولا عن كفاية ذويها معرضة لان اعراضها  
 عن جميعهم عطب واسعادها لكافةهم فساد لاتلافهم بالاختلاف  
 والتباين \* واتفاقهم بالمساعدة والتعاون \* فاذا تساوى جميعهم لم يجد  
 احدهم الى الاستعانة بغيره سبيلا وبهم من الحاجة والعجز ما وصفنا  
 فيذهبوا ضيعة ويهلكوا عجزا واذا تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين  
 بالمعونة متواصلين بالحاجة لان ذا الحاجة وصول \* والمحتاج اليه موصول \*  
 وقد قال الله تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال  
 الحسن مختلفين في الرزق فهذا غنى وهذا فقير ولذلك خلقهم يعني للاختلاف  
 بالغنى والفقير وقال الله تعالى والله فضل بعضكم على بعض في الرزق غير ان  
 الدنيا اذا صلحت كان اسعادها موفورا \* واعراضها ميسورا \* الا انها اذا  
 منحت هنت واودعت \* واذا استردت رقت وابتقت \* واذا فسدت الدنيا كان

اسعادها مكررا \* واعراضها غدرا \* لانها اذا منحت كدت واتعبت \* واذا استردت استأصلت واجحففت \* ومع هذا فصلاح الدنيا مصلح لسائر اهلها لوفور اماناتهم وظهور دياناتهم وفسادها مفسد لسائر اهلها لقلّة اماناتهم وضعف دياناتهم وقد وجد ذلك في مشاهد الحال تجربة وعرفا \* كما يقتضيه دليل الحال تعليلا وكشفا \* فلا شئ انفع من صلاحها \* كما لا شئ اضر من فسادها \* لان ما تقوى به ديانات الناس وتتوفر اماناتهم فلا شئ احق به نفعا كما ان ما به تضعف دياناتهم وتذهب اماناتهم فلا شئ اجدر به ضررا وانشدت لابي بكر ابن دريد

\* الناس مثل زمانهم \* قدّ الحذاء على هشاله \*  
 \* ورجال دهرك مثل دهرك في قلبه وحواله \*  
 \* وكذ اذا فسد الزمان \* ن جرى الفساد على رجاله \*

واذ قد بلغ بنا القول الى ذلك فسنبدأ بذكر ما يصلح الدنيا ثم نلوه بوصف ما يصلح به حال الانسان فيها اعلم ان ما به تصلح الدنيا حتى تصير احوالها منتظمة \* وامورها ملتئم \* ستة اشياء هي قواعدها وان تفرغت وهي \* دين متبع \* و \* سلطان قاهر \* و \* عدل شامل \* و \* امن عام \* و \* خصب دائم \* و \* امل فسيح \* فاما القاعدة الاولى \* فهي الدين المتبع فلانه يصرف النفوس عن شهواتها \* ويعطف القلوب عن اراداتها \* حتى يصير قاهرا للسرائر \* زاجرا للضمائر \* رقيبا على النفوس في خلواتها \* نصوحا لها في ماناتها \* وهذه الامور لا يوصل بغير الدين اليها \* ولا يصلح الناس الا عليها \* فكان الدين اقوى قاعدة في صلاح الدنيا واستقامتها \* واجدى الامور نفعا في انتظامها وسلامتها \* ولذلك لم يخل الله تعالى خلقه مذ فطرهم عقلاء من تكليف شرعى واعتقاد دينى يتقادون الحكماء فلا تختلف بهم الآراء \* ويستسلمون لامره فلا تتصرف بهم الاهواء \* وانما اختلف العلماء رضى الله عنهم في العقل والشرع هل جاء احيثا واحدا ام سبق العقل ثم تبعه الشرع فقالت طائفة جاء العقل والشرع معا مجيئا واحدا لم يسبق احدهما صاحبه وقالت طائفة اخرى سبق العقل ثم تبعه الشرع لان بكمال العقل يستدل

على صحة الشرع وقد قال الله تعالى أيحسب الانسان ان يترك سدى وذلك لا يوجد منه الا عند كمال عقله فثبت ان الدين من اقوى القواعد في صلاح الدنيا وهو الفرد الاوحد في صلاح الآخرة وما كان به صلاح الدنيا والآخرة لحقيق بالعقل ان يكون به متمسكا وعليه محافظا وقال بعض الحكماء الادب ادب الارض شريعة وادب سياسة فادب الشريعة ما ادى الفرض وادب السياسة ما عمر الارض و كلاهما يرجع الى العدل الذى به سلامة السلطان \* و عمارة البلدان \* لان من ترك الفرض فقد ظلم نفسه ومن خرب الارض فقد ظلم غيره وقال سعيد ابن حميد ما صححة ابدأ بنافعة حتى يصح الدين والحلق واما ❖ القاعدة الثانية ❖ فهى سلطان قاهر تتألف من رهبته الاهواء المختلفة وتجمع لهيبته القلوب المتفرقة وتكف بسطوته الايدي المتغالبية وتمتع من خوفه النفوس العادية لان في طباع الناس من حب المغالبة على ما آثروه والقهر لمن عاندوه ما لا يتكفون عنه الابانع قوى و رادع ملى وقد افصح المتنبي بذلك في قوله

\* لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى \* حتى يراق على جوانبه الدم \*  
\* والظلم من شيم النفوس فان تجدد \* ذاعفة فلعلة لا يظلم \*

وهذه العلة المانعة من الظلم لا تخلو من احد اربعة اشياء اما عقل زاجر او دين حاجر او سلطان رادع او عجز صا فانما تأسلتها لم تجدد خامسا يقترن بها ورهبة السلطان ابلاغها لان العقل والدين ربما كانا مضعوفين او بدواعى الهوى مغلوبين فتكون رهبة السلطان اشد زجرا واقوى ردعا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال السلطان ظل الله فى الارض يأوى اليه كل مظلوم و روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله ليرزع بالسلطان اكثر مما يزع باقرآن و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله حراسا فى السماء و حراسا فى الارض فحراسه فى السماء الملائكة و حراسه فى الارض الذين يقبضون ارزاقهم يذبون عن الناس و روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الامام الجائر خير من القسنة و كل لا خير فيه وفي بعض الشعر خير وقال ابوهريرة

رضى الله عنه سبت العجم بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فنهى عن ذلك وقال لا تسبوا فانها عمرت بلاد الله تعالى فعاش فيها عباد الله تعالى وقال بعض البلغاء السلطان في نفسه امام متبوع \* وفي سيرته دين مشروع \* فان ظلم لم يعدل احد في حكمكم \* وان عدل لم يجسر احد على ظلم \* وقال بعض الادباء ان اقرب الدعوات من الاجابة دعوة السلطان الصالح \* واولى الحسنات بالاجر والثواب امره ونهيه في وجوه المصالح \* فهذه آثار السلطان في احوال الدنيا وما ينظم به امورها ثم لما في السلطان من حراسة الدين والدنيا والذب عنهما ودفع الاهواء منه وحراسة التبديل فيه وزجر من شذ عنه بارتداد \* او بغى فيه بعناد \* او سعى فيه بفساد \* وهذه امور ان لم تتحيم عن الدين بسلطان قوى ورعاية وافية اسرع فيه تبديل ذوى الاهواء وتحريف ذوى الآراء فليس دين زال سلطانه الا بدلت احكامه \* وطمست اعلامه \* وكان لكل زعيم فيه بدعة ولكل عصر فيه وهاية اثر كما ان السلطان ان لم يكن على دين تجتمع به القلوب حتى يرى اهله الطاعة فيه وفرضا والتناصر عليه حتما لم يكن للسلطان لبث ولا لايامه صفو وكان سلطان قهر \* ومفسدة دهر \* ومن هذين الوجهين وجب اقامة امام يكون سلطان الوقت وزعيم الامة ليكون الدين محروسا بسلطانه والسلطان جازيا على سنن الدين واحكامه قال عبد الله بن المعتز الملك بالدين يبقى والدين بالملك بقوى واختلف الناس هل وجب بالعقل او بالشرع فقالت طائفة وجب بالعقل لانه معلوم من حال العقلاء على اختلافهم الفرع الى زعيم مندوب للنظر في مصالحهم وذهب آخرون الى وجوبه بالشرع لان المقصود بالامام القيام بامور شرعية كاقامة الحدود واستيفاء الحقوق وقد كان يجوز الاستغناء عنها بان لا يراد التعبد بها فبان يجوز الاستغناء عما يراد الا لها اولى وعلى هذا اختلفوا في وجوب بعثة الانبياء فن قال بوجود ذلك بالعقل قال بوجود بعثة الانبياء ومن قال بوجود ذلك بالشرع منع من وجوب بعثة الانبياء لانه لما كان المقصود ببعثتهم تعريف المصالح الشرعية وكان يجوز من المكلفين ان لا تكون هذه الامور مصلحة لهم لم يجب بعثة الانبياء اليهم فاما اقامة امامين او ثلاثة في عصر واحد وبلد واحد فلا يجوز اجماعا فالما في بلدان شتى وامصار



متباعدة فقد ذهبت طائفة شاذة الى جواز ذلك لان الامام مندوب للصالح  
 واذا كان اثنين في بلدين او ناحيتين كان كل واحد منهما اقرب مما في يديه واضبط  
 لما يليه ولانه لما حاز بعثة نبيين في عصر واحد ولم يؤد ذلك الى ابطال النبوة كانت  
 الامامة اولى ولا يؤدى ذلك الى ابطال الامامة وذهب الجمهور الى ان اقامة  
 امامين في عصر واحد لا يجوز شرعا لما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
 قال اذا بويع اميران فاقتلوا احدهما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
 اذا وليتم ابا بكر تجددوه قويا في دين الله عز وجل ضعيفا في بدنه واذا وليتم  
 عمر تجددوه قويا في دين الله عز وجل قويا في بدنه وان وليتم عليا تجددوه هاديا  
 مهديا فيبين بظاهر هذا الكلام ان اقامة جميعهم في عصر واحد لا يصح ولو  
 صح لاشارة اليه ولتبعه عليه والذي يلزم سلطان الامة من امورها سبعة اشياء  
 ﴿ احدها ﴾ حفظ الدين من تبديل فيه والحث على العمل به من غير اهمال  
 له ﴿ والثاني ﴾ حراسة البيضة والذب عن الامة من عدو في الدين او باغى  
 نفس او مال ﴿ والثالث ﴾ عمارة البلدان باعتماد مصالحها وتهذيب سبلها  
 ومسالكها ﴿ والرابع ﴾ تقدير ما يتولاه من الاموال بسنن الدين من غير  
 تحريف في اخذها واعطائها ﴿ والخامس ﴾ معانة المظالم والاحكام بالتسوية  
 بين اهلها واعتماد النصفة في فصلها ﴿ والسادس ﴾ اقامة الحدود على  
 مستحقها من غير تجاوز فيها ولا تقصير عنها ﴿ والسابع ﴾ اختيار خلفاء  
 في الامور ان يكونوا من اهل الكفاية فيها والامانة عليها فاذا فعل من افضى  
 اليه سلطان الامة ما ذكرنا من هذه الاشياء السبعة كان مؤديا لحق الله تعالى فيهم  
 مستوجبا لطاعتهم ومناصحتهم مستحقا لصدق ميلهم ومحبتهم وان قصر عنها  
 ولم يقم بحقها وواجبها كان بها مؤاخذا ثم هو من الرعية على  
 استبطان معصية ومقت يتربصون الفرص لاطهارها ويتوقعون الدوائر لاعلانها  
 وقد قال الله تعالى قل هو القادر على ان يعث عليكم عذابا من فوقكم او من  
 تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا وفي قوله تعالى عذابا من فوقكم او من تحت  
 ارجلكم تأويلان احدهما ان العذاب الذي هو من فوقهم امرء السوء والذي  
 من تحت ارجلهم عبيد السوء وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثاني

ان العذاب الذى هو من فوقهم الرجم والذى من تحت ارجلهم الحسف وهذا قول مجاهد وسعيد بن جبير وفي قوله تعالى او يلبسكم سبعا ثوابلان احدهما انه الاهواء المختلفة وهذا قول ابن عباس رضى الله عنهما والثانى انه الفتن والاختلاط وهذا قول مجاهد وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امير على عشرة الا وهو ينجى يوم القيامة مغالوة يده الى عنقه حتى يكون عمله هو الذى يطلقه او يوبقه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير ائمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم وشر ائمتكم الذين يبغضونهم ويبغضونكم وتلعنونهم وبلغنونكم وهذا صحيح لانه اذا كان ذا خير احبهم واحبوه واذا كان ذا شر ابغضهم وابغضوه وقد كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه ان الله تعالى اذا احب عبدا حبه الى خلقه فاعرف منزلتك من الله تعالى بمنزلك من الناس واعلم ان مالك عند الله مثل ما لله عندك فكان هذا موضحا لمعنى ما ذكرنا واصل هذا ان خشية الله تبعث على طاعته فى خلقه وطاعته فى خلقه تبعث على محبته فلذلك كانت محبتهم دليلا على طاعته وخشيته وبغضهم دليلا على شمه وقلة مراقبته وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه لبعض خلقائه اوصيك ان تحشى الله فى الناس ولا تحشى الناس فى الله وقال عمر بن عبد العزيز لبعض جلسائه انى اخاف الله فيما تقلدت فقال له لست اخاف عليك ان تخاف الله وانما اخاف عليك ان لا تخاف الله وهذا واضح لان الخائف من الله تعالى مأمون كالذى روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال لابي مریم السلولى وكان الذى قتل اخاه زيدا والله انى لا احبك حتى تحب الارض الدم قال أفيمعنى ذلك حتما قال لا قال فلا ضير انما بأسى على الحب النساء وروى عبد الرحمن بن محمد قال اصدق طلحة بن عبد الله ام كلثوم بنت ابى بكر مائة الف درهم وهو اول من اصدق هذا القدر فخر بالمال على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال ما هذا قالوا صدق ام كلثوم ابنة ابى بكر فقال ادخلوه بيت المال فاخبر بذلك طلحة وقيل له كلف فى ذلك فقال ما انا بفاسل لئن كان عمر يرى له فيه حقا لا يرد له الكلامى وان كان لا يرى فيه حقا ليردنه قال فلما اصبح عمر امر بالمال فدفع الى ام كلثوم وحكى ان الرشيد حبس ابى العتاهية

فكتب على حائط الحبس

\* أما والله ان الظلم شؤم \* وما زال المسيء هو الظلوم \*  
 \* الى ديان يوم الدين نمضي \* وعند الله تجتمع الخصوم \*  
 \* ستعلم في المعاد ان التقينا \* غدا عند المليك من الظلوم \*  
 فاخبر الرشيد بذلك فبكى بكاء شديدا ودعى بابي العتاهية فاستحله ووهب له  
 الف دينار واطلته واما ❖ القاعدة الثالثة ❖ فهي عدل شامل يدعو الى الالفة  
 ويبعث على الطاعة وتعمر به البلاد وتنمي به الاموال ويكثر معه النسل ويأمن به  
 السلطان فقد قال المرزبان لعمر حين رآه وقد نام متبذلا عدلت فامنت فممت  
 وليس شئ اسرع في خراب الارض ولا افسد لضمائر الخلق من الجور لانه  
 ليس يقف على حد ولا ينتهى الى غاية ولكل جزء منه قسط من الفساد حتى  
 يستكمل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بئس الزاد الى المعاد \*  
 العدوان على العباد \* وقال صلى الله عليه وسلم ثلاث منجيات وثلاث مهلكات  
 فاما المنجيات فالعدل في الغضب والرضى وخشية الله في السر والعلانية  
 والقصد في الغناء والفقر واما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع والعجاب  
 المرء بنفسه وحكى ان الاسكندر قال للحكماء الهنود وقد رأى قلة الشرائع بها  
 لما صارت سنن بلادكم قليلة قالوا اعطائنا الحق من انفسنا واعدل ملوكنا فينا  
 فقال لهم ايما افضل العدل او الشجاعة قالوا اذا استعمل العدل اغنى عن الشجاعة  
 وقال بعض الحكماء بالعدل والانصاف تكون مدة الأتلاف وقال بعض البلغاء  
 ان العدل ميراث الله الذي وضعه للخلق \* ونصيبه للحق \* فلا تخالفه في ميراثه \*  
 ولا تعارضه في سلطانه \* واستعن على العدل بثلثين قلة الطمع وكثر  
 الورع فاذا كان العدل من احدى قواعد الدنيا التي لا انتظام لها الا به  
 ولا صلاح فيها الامور \* وجب ان نبدأ بعدل الانسان في نفسه ثم بعدله في غيره  
 فاما عدله في نفسه فيكون بحملها على المصالح \* وكفها عن القبائح \*  
 ثم بالوقوف في احوالها على اعدل الامرين من تجاوز او تقصير فان تجاوز  
 فيها جور والتقصير فيها ظلم ومن ظلم نفسه فهو لغيره اظلم ومن جار عليها فهو  
 على غيره اجور وقد قال بعض الحكماء من توانى في نفسه ضاع واما عدله

في غيره فقد ينقسم حال الانسان مع غيره على ثلاثة اقسام • فالقسم الاول عدل الانسان فيمن دونه كالسلطان في رعيته والرئيس مع صحابته فعدله فيهم يكون باربعة اشياء باتباع المسور وحذف المعسور وترك التسلط بالقوة وابتغاء الحق في المسور فان اتباع المسور ادموم \* وحذف المعسور اسلم \* وترك التسلط اعطف على المحبة وابتغاء الحق ابعث على النصره وهذه امور ان لم تسلم للزعيم المدبر كان الفساد بنظره اكثر \* والاختلاف بتدبيره اظهر \* روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اشد الناس عذابا يوم القيامة من اشركه الله في سلطانه بخار في حكمه وقال بعض الحكماء الملك يبقى على الكفر ولا يبقى على الظلم وقال بعض الادباء ليس للجائر جاز \* ولا تعم له دار \* وقال بعض البلغاء اقرب الاشياء صرعة الظلوم وانفذ السهام دعوة المظلوم وقال بعض حكماء الملوك العجب من ملك استفسد رعيته وهو يعلم ان عزه بطاعتهم وقال ازدشير ابن بابك اذا رغب الملك عن العدل رغب الرعية عن طاعته وعوتب انوشروان على ترك عقاب المذنبين فقال هم المرضى ونحن الاطباء فاذا لم نداوهم بالعفو فمن لهم • والقسم الثاني عدل الانسان مع من فوقه كالرعية مع سلطانها والصحابة مع رئيسها فقد يكون بثلاثة اشياء باخلاص الطاعة وبذل النصره وصدق الولاء فان اخلاص الطاعة اجمع للشمل وبذل النصره اذفع للوهن وصدق الولاء انفي لسوء الظن وهذه امور ان لم تجتمع في المرء تسلط عليه من كان يدفع عنه واضطر الى اتقاء من يتقى به كما قال البحترى

\* متى احوجت ذا كرم تخطا \* اليك ببعض اخلاق اللئام \*

وفي استمرار هذا حل نظام جامع وفساد صلاح شامل وقال ابرويس اطع من فوقك يطعك من دونك وقال بعض الحكماء الظلم مسلبة النعم \* والبغي مجلبة الزنم \* وقال بعض الحكماء ان الله تعالى لا يرضى عن خلقه الا بتأدية حقه وحقه وشكر النعمة \* ونصح الامة \* وحسن الصنيعة \* ولزوم الشريعة • والقسم الثالث عدل الانسان مع اكفائه ويكون بثلاثة اشياء بترك الاستطالة ومجانبة الادلال وكف الاذى لان ترك الاستطالة آلف \* ومجانبة الادلال اعطف \* وكف الاذى انصف \* وهذه امور ان لم تخلص في الاكفاء

اسرع فيهم تقاطع الاعداء ففسدوا وافسدوا وقد روى عمر بن عبد العزيز عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بشرار الناس قالوا بلى يا رسول الله قال من اكل وحده ومنع رفته وجلد عبده ( وفي نسخة بدل هذا من لا يرجي خيره ولا يؤمن شره ) ثم قال ألا انبئكم بشر من ذلك قالوا بلى يا رسول الله قال من يبغض الناس و يبغضونه وروى ان عيسى بن مريم عليهما السلام قام خطيبا في بني اسرائيل فقال يا بني اسرائيل لا تتكلموا بالحكمة عند الجهال فتظلموها ولا تمنعوها اهلها فتظلموهم ولا تتكافؤوا ظالما فيظلم فضاكم يا بني اسرائيل الامور ثلاثة امر تبين رشده فاتبعوه \* وامر تبين غيه فاجتنبوه \* وامر اختلفتم فيه فردوه الى الله تعالى وهذا الحديث جامع لا داب العدل في الاحوال كلها وقال بعض الحكماء كل عقل لا يدارى به السكل فليس بعقل تام وقال بعض الشعراء

\* ما دمت حيا فدار الناس كلهم \* فانما انت في دار المدارات \*  
 \* من يدردارى ومن لم يدرسوف يرى \* عما قليل نديما للندامات \*  
 وقد يتعلق بهذه الطبقات امور خاصة يكون عدلهم فيها بالتوسط في حالتى التقصير والسرف لان العدل مأخوذ من الاعتدال فما جاوز الاعتدال فهو خروج عن العدل وقد قالت الحكماء الفضائل هيأت متوسطة بين خلتين ناقصتين وافعال الخير تتوسط بين رذيلتين \* فالحكمة \* واسطة بين الشر والجهالة \* والشجاعة \* واسطة بين التعمم والجن \* والعفة \* واسطة بين الشره وضعف الشهوة \* والسكينة \* واسطة بين السخط وضعف الغضب \* والغيرة \* واسطة بين الحسد وسوء العادة \* والظرف \* واسطة بين الخلاعة والعرامة \* والتواضع \* واسطة بين الكبر ودناءة النفس \* والسخاء \* واسطة بين التبذير والتقتير \* والحلم \* واسطة بين افراط الغضب وعدمه \* والمودة \* واسطة بين الخلابة وحسن الخلق \* والحياء \* واسطة بين القحة والحدق \* والوقار \* واسطة بين الهزء والسخافة واذا كان ما خرج عن الاعتدال الى ما ليس باعتدال خروجا عن العدل الى ما ليس بعدل فالاولى اجتنابه والوقوف مع الاوسط اقتداء

بالحديث وقال بعض البلغاء البلد السوء يجمع السفل ويورث العلل والولد السوء  
 يشين السلف ويهدم الشرف والجار السوء يفشى السر ويهتك الستر فجعل هذه  
 الاشياء بنحروجها عن الاولى الى ما ليس باولى خروجا عن العدل الى ما ليس  
 بعدل ولست تجد فسادا الا وسبب نتيجة الخروج فيه من حال العدل الى ما ليس  
 بعدل من حالى الزينة والنقصان فاذا لاشى انفع من العدل كما لاشى اضر  
 مما ليس بعدل واما ﴿ القاعدة الرابعة ﴾ فهى امر عام تطمئن اليه  
 النفوس وتتشرب فيه الهمم ويسكن اليه البرى ويأنس به الضعيف فليس  
 لخائف راحة ولا لحاذر طمأنينة وقد قال بعض الحكماء الامن اهناً عيش \*  
 والعدل اقوى جيش \* لان الخوف يقبض الناس عن مصالحهم ويحجزهم عن  
 تصرفهم ويكفهم عن اسباب المواد التى بها قوام اودهم وانتظام جملتهم لان  
 الامن من نتائج العدل والجور من نتائج ما ليس بعدل وقد يكون الجور تارة  
 بمقاصد الآدميين الخارجة عن العدل وتارة تكون باسباب حادثة من غير  
 مقاصد الآدميين فلا تكون خارجة عن حال العدل فمن اجل ذلك لم يكن ما سبق  
 من حال العدل مقتبعا عن ان يكون الامن فى انتظام الدنيا قاعدة كعدل  
 فاذا كان ذلك كذلك فالامن المطلق ما عم والخوف قد يتنوع تارة ويعم فتنوع بان  
 يكون تارة على النفس وتارة على الاهل وتارة على المال وعمومه ان يستوجب  
 جميع الاحوال ولكل واحد من انواعه حظ من الوهن ونصيب من الحزن  
 وقد يختلف باختلاف اسبابه ويتفاضل بتباين جهاته ويكون بحسب اختلاف  
 الرغبة فيما خيف عليه فمن اجل ذلك لم يجز ان يصف حال كل واحد  
 من انواعه بمقدار من الوهن ونصيب من الحزن لاسيما والخائف على الشئ  
 مختص الهم به منصرف الفكر عن غيره فهو يئمن اذا لا خوف له الا اياه \* فيغفل  
 عن قدر النعمة بالامن فيما سواه \* فصار كالمريض الذى هو بمرضه متشاغل \*  
 وعماسواه غافل \* ولعل ما صرف عنه اعظم مما ابتلى به وانما يوكل بالادنى  
 وان جل ما يعنى وحكى ان رجلا قال واعرابى حاضر ما اشد وجع الضرس  
 فقال الاعرابى كل داء اشد داء وكذلك من عمه الامن كمن استولت عليه العافية

فهو لا يعرف قدر النعمة بامنه حتى يخاف كما لا يعرف المعاني قدر النعمة حتى يصاب وقال بعض الحكماء انما يعرف قدر النعمة بمقاساة ضدها فاخذ ذلك ابو تمام الطائي فقال

\* والحادثات وان اصابك بؤسها \* فهو الذى انباك كيف نعيمها \*  
فالاولى بالعاقل ان يتذكر عند مرضه وخوفه قدر النعمة فيما سوى ذلك من عافيته وامنه وما انصرف عنه مما هو اشد من مرضه وخوفه فيستدل بالشكوى شكرا \* وبالجزع صبرا \* فيكون فرحا مسرورا حكى ان يعقوب قال ليوسف عليهما السلام حين لقيه اى شئ كان خبرك بعدى قال لا تسأل عما فعله بي اخوتى سلنى عما صنعه بى ربى وقال الشاعر

\* لا تنس فى الصحة ايام السقم \* فان عتبي تارك الحزم ندم \*  
واما ❖ القاعدة الخامسة ❖ فهى خصب دار تتسع النفوس به فى الاحوال \* وتشارك فيه ذو الاكثار والاقلال \* فيقل فى الناس الحسد وينتفى عنهم تباعض العدم وتتسع النفوس فى التوسع وتكثر المواساة والتواصل وذلك من اقوى الدواعى لصلاح الدنيا وانتظام احوالها ولان الخصب يؤول الى الغنى والغنى يورث الامانة والسخاء وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى ابى موسى الاشعري لا تستقضىن الا اذا حسب ومال فان ذا الحسب يخاف العواقب وذا المال لا يرغب فى مال غيره وقال بعض السلف اتى وجدت خير الدنيا والآخرة فى التقي والغنى وشر الدنيا والآخرة فى الفجور والفقر وقال بعض الشعراء

\* ولم ار بعد الدين خيرا من الغنى \* ولم ار بعد الكفر شرا من الفقر \*  
وبحسب الغنى يكون اقلال البخيل واعطائه \* واكثر الجواد وسخاؤه \* كما قال دعبل

\* لان كنت لا تولى ندى دون امرة \* فلست بمول نائلا آخر الدهر \*  
\* واى انا لم يفيض عند ملئه \* واى بخيل لم ينل ساعة الوفر \*  
واذا كان الخصب يحدث من اسباب الصلاح ما وصفت كان الجذب يحدث من اسباب الفساد ما ضاها وكما ان صلاح الخصب عام فكذلك فساد الجذب عام وما عم به الصلاح ان وجد \* وما عم به الفساد ان فقد \* فاحرى ان يكون

من قواعد الصلاح ودواعي الاستقامة والخصب يكون من وجهين خصب في المكاسب وخصب في المواد فاما خصب المكاسب فقد يتفرع من خصب المواد وهو من نتائج الامن المقترن بها واما خصب المواد فقد يتفرع عن اسباب الهية وهو من نتائج العدل المقترن بها واما ❖ القاعدة السادسة ❖ فهي امل فسيح يعث على اقتناء ما يقصر العمر عن استيعابه \* ويعث على اقتناء ما ليس يؤمل في دركه بحياة اربابه \* ولولا ان الثاني يرتفق بما انشاءه الاول حتى يصير به مستغنيا لافتقراهل كل عصر الى انشاء ما يحتاجون اليه من منازل السكنى وارضى الحرث وفي ذلك من الاعواز وتعذر الامكان ما لا يخفاه فلذلك ما ارفق الله تعالى خلقه باتساع الآمال الا حتى عمر به الدنيا فعم صلاحها وصارت تنقل بعمرانها الى قرن بعد قرن فيتم الثاني ما ابقاه الاول من عمارتها ويرم الثالث ما احده الثاني من شعنها لانه يكون احوالها على الاعصار ملتمه \* وامورها على ممر الدهور منتظمة \* ولو قصرت الآمال ما تجاوز الواحد حاجة يومه ولا تعدى ضرورة وقته ولكانت تنقل الى من بعده خرابا لا يجد فيها بلغة ولا يدرك منها حاجة ثم تنقل الى من بعد باسوأ من ذلك حالا حتى لا ينمى بها نبت ولا يمكن فيها لبث وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الامل رحمة من الله لامتي ولولاه لما غرس غارس شجرا ولا ارضعت ام ولدا

وقال الشاعر

\* وللنفوس وان كانت على وجل \* من المنية آمال تقويها \*  
 \* فالمرء يبسطها والدهر يقبضها \* والنفس تنشرها والموت يطويها \*  
 واما حال الامل في امر الآخرة فهو من اقوى الاسباب في الغفلة عنها وقلة الاستعداد لها وقد افصح لبيد مع اعرابية بما تبين به حال الامل في الامرين فقال

\* واكذب النفس اذا حدثتها \* ان صدق النفس يزرى بالامل \*  
 \* غير ان لا تكذبها بالتقى \* واجزها بالبر لله الاجل \*  
 وفرق ما بين الآمال والآمانى ان الآمال ما تقيدت باسباب والآمانى ما تجردت عنها فهذه القواعد الست التي تصلح بها احوال الدنيا وتنظم امور جللتها



فان كملت فيها كمل صلاحها وبعيد ان يكون امر الدنيا تاما كاملا \* وان يكون صلاحها عاما شاملا \* لانها موضوعة على التغيير والفناء \* منشاء على التصرم والانتضاء \* وسمع بعض الحكماء رجلا يقول قلب الله الدنيا قال فاذا تستوى لانها مقلوبة وقال بعض الشعراء

\* ومن عادة الايام ان خلوها \* اذا سر منها جانب ساء جانب \*  
 \* وما عرف الايام الا ذميمة \* ولا الدهر الا وهو للشار طالب \*  
 وبحسب ما اختل من قواعدها يكون اختلالها \* فصل \* واما ما يصلح به حال الانسان فيها فتلاثة اشياء هي قواعده امره ونظام حاله وهي نفس مطيعة الى رشدها منتهية عن غيرها والفئة جامعة تعطف القلوب عليها ويندفع المكروه بها ومادة كافية تسكن نفس الانسان اليها ويستقيم اوده بها فاما القاعدة الاولى التي هي \* نفس مطيعة \* فلانها اذا اطاعته ملكها واذا عصته ملكته ولم يملكها ومن لم يملك نفسه فهو بان لا يملك غيرها اخرى ومن عصته نفسه كان بمعصية غيرها اولى وقال بعض الحكماء لا ينبغي للعاقل ان يطلب طاعة غيره ونفسه ممتعة عليه وقد قال الشاعر

\* أظلم ان يطيعك قلب سعدي \* وتزعج ان قلبك قد عصاك \*  
 وطاعة نفسه تكون من وجهين احدهما نصح والثاني انقياد فاما النصح فهو ان ينظر الى الامور بحقائقها فيرى الرشد رشدا ويستحسنه ويرى الغي غيا ويستقبجه وهذا يكون من صدق النفس اذا سلمت من دواعي الهوى ولذلك قيل من تفكر ابصر فاما الانقياد فهو ان تسرع الى الرشد اذا امرها \* وتنتهي عن الغي اذا زجرها \* وهذا يكون من قبول النفس اذا كفت منازعة الشهوات قال الله تعالى ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تملوا ميلا عظيما ولنفس آداب هي تمام طاعتها وكامل مصلتها وقد افردنا لها من هذا الكتاب بابا واقتصرنا في هذا الموضوع على ما قد اقتضاه الترتيب \* واستدعاه التقريب \* واما القاعدة الثانية وهي \* الالفة الجامعة \* فلان الانسان مقصود بالاذية محسود بالنعمة فاذا لم يكن آلفا مألوفاً تخطفه ايدي حاسديه \* وتحكمت فيه اهواء اعاديه \* فلم تسلم له

نعمة وام تصف له مدته فاذا كان آفيا مألوفاً انتصر بالالفة على اعانيه \* وامتنع  
من حاسديه \* فسلبت نعمته منهم \* وصفت مدته عنهم \* وان كان صفو  
الزمان عسرا \* وسلمه خطرا \* وقد روى ابن جريج عن عطاء رحهما الله عن  
جابر رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن آلف مألوف  
ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف وخير الناس انفسهم للناس وروى عن النبي  
صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى يرضى لكم ثلاثا ويكره لكم ثلاثا يرضى  
لكم ان تعبدوه ولا تشركوا به شيئا وان تعتصموا بحبله جميعا ولا تفرقوا وان  
تناصحوا من ولاء الله امركم ويكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال  
وكل ذلك حث منه صلى الله عليه وسلم على الالفة والعرب تقول من قل ذل  
وقال قيس بن عاصم

\* ان القداح اذا اجتمعن فرامها \* بالكسر ذو حنق وبعطش ايد \*  
\* عزت فلم تكسر وان هي بددت \* فالوهن والتكسير للمتبدد \*  
واذا كانت الالفة بما اثبت تجمع الشمل وتمنع الذل اقتضت الحال ذكر اسبابها واسباب  
الالفة خمسة وهى الدين والنسب والمصاهرة والمودة والبر فاما \* الدين \*  
وهو الاول من اسباب الالفة فلانه يبعث على التناصر \* ويمنع من التقاطع  
والتدابير \* وبمثل ذلك وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه فروى سفيان  
عن الزهري عن انس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقاطعوا  
ولا تدابروا ولا تحاسدوا وكونوا عباد الله اخوانا لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه  
فوق ثلاث وهذا وان كان اجتماعهم فى الدين يقتضيه فهو على وجه التحذير من  
تذكر تراث الجاهلية واحن الضلالة فقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم والعرب  
اشد تقاطعا وتعاديا \* واكثر اخلافا وتماديا \* حتى ان بنى الاب الواحد  
يفرقون احزابا فتثير بينهم بالتحزب والافتراق احقاد الاعداء \* واحن البعداء \*  
وكانت الانصار اشد هم تقاطعا وتعاديا وكان بين الاوس والخزرج من الاختلاف  
والتباين اكثر من غيرهم الى ان اسلموا فنهدت احنهم وانقطعت عداوتهم  
وصاروا بالاسلام اخوانا متواصلين \* وبالفة الدين اعوانا متناصرين \*  
قال الله تعالى واذكروا اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته

اخوانا يعني اعداء في الجاهلية فالف بين قلوبكم بالاسلام وقال تعالى ان  
 الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم اجرهن ودا يعني حبا وعلى حسب  
 الألف على الدين تكون العداوة فيه اذا اختلف باهله فان الانسان قد  
 يقطع في الدين من كان به برا وعليه مشقفا هذا ابو عبيدة بن الجراح وقد كانت  
 له المنزلة العالية في الفضل والاثر المشهور في الاسلام قتل ابا، يوم بدر واتى  
 برأسه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله عز وجل ورسوله حين بقى  
 على ضلاله وانهمك في طغيانه فلم يعطفه عليه رحمة ولا كفه عنه شقعة وهو  
 من ابر الابناء تغليا للدين على النسب وطاعة الله تعالى على طاعة الاب وفيه  
 انزل الله لا تجدوا قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله  
 ولو كانوا آباءهم او ابنائهم او اخوانهم او عشيرتهم وقد يختلف اهل الدين  
 على مذاهب شتى وآراء مختلفة فيحدث بين المختلفين فيه من العداوة والتباين مثل  
 ما يحدث بين المختلفين في الاديان وعللة ذلك ان الدين والاجتماع على العقد  
 الواحد فيه لما كان اقوى اسباب الالفة كان الاختلاف فيه اقوى اسباب الفرقة  
 و اذا تكافأ اهل الاديان المختلفة والمذاهب المتباينة ولم يكن احد الفريقين اعلى  
 يدا \* واكثر عددا \* كانت العداوة بينهم اقوى والاحن فيهم اعظم لانه  
 ينضم الى عداوة الاختلاف تحاسد الاكفاء \* وتنافس النظراء \* واما ❖ النسب ❖  
 وهو الثاني من اسباب الالفة فلان تعاطف الارحام وحمية القرابة يبعثان على  
 التناصر والالفة وينعمان من التخاذل والفرقة انفة من استعلاء الاباعد على  
 الاقارب \* وتوقيا من تسلط الغرباء الاجانب \* وقد روى عن النبي صلى الله  
 عليه وسلم انه قال ان الرحم اذا تماست تعاطفت ولذلك حفظت العرب انسابها  
 لما امتنعت عن سلطان يقهرها ويكف الاذى عنها لتكون به مظافرة  
 على من ناواها \* متناصرة على من شاقها وعادها \* حتى بلغت بالفة الانساب  
 تناصرها على القوى الايد وتحكمت به تحكمت المتسلط المتشطط وقد اعذر نبي الله  
 لوط عليه السلام نفسه حين عدم عشيرة تنصره فقال لمن بعث اليه لو ان لي  
 بكم قوة او آوى اى ركن شديد يعني عشيرة مانعة وروى ابو سلمة عن ابي  
 هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رحم الله لوطا لقد كان يأوى الى

ركن شديد يعنى الله عز وجل وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بعث الله تعالى من بعده نبيا الا في ثروة من قومه وقال وهب لقد وردت الرسل على لوط وقالوا ان ركنك لشديد وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه كان لا يترك المرء مفرجا حتى يضمه الى قبيلة يكون فيها قال الرياشى المفرج الذى لا ينتمى الى قبيلة يكون منها وكل ذلك حث منه صلى الله عليه وسلم على الالفة وكف عن الفرقة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من كثر سواد قوم فهو منهم واذا كان النسب بهذه المنزلة من الالفة فقد تعرض له عوارض تمنع منها وتبعث على الفرقة المنافية لها فاذا قد لزم ان نصف حال الانساب \* وما يعرض لها من الاسباب \* فجملة الانساب انها تنقسم ثلاثة اقسام قسم والدون وقسم مولودون وقسم مناسيون ولكل قسم منهم منزلة من البر والصلة وعارض يطرأ فيبعث على العقوق والقطيعة • فاما الوالدون فهم الآباء والامهات والاجداد والجدات وهم موسومون مع سلامة احوالهم بخلقين احدهما لازم بالطبع والثاني حادث باكتساب فاما ما كان لازما بالطبع فهو الحذر والاشفاق وذلك لا ينتقل عن الوالد بحال وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الوالد مجلّة مجهولة مجبنة محزنة فاخبر ان الحذر عليه يكسب هذه الاوصاف ويحدث هذه الاخلاق وقد كره قوم طلب الولد كراهة لهذه الحالة التي لا يقدر على دفعها عن نفسه للزومها طبعاً وحدوثها حتماً وقيل ليحيى بن زكريا عليهما السلام ما بالك تنكره الولد فقال ما لي وللولد ان عاش ككدي وان مات هدى وقيل لعيسى بن مريم عليهما السلام ألا تتزوج فقال انما يحب التكاثر في دار البقاء واما ما كان حادثاً بالاكتساب فهي المحبة التي تنمي مع الاوقات وتتغير مع تغير الحالات وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الولد انوط يعنى ان حبه يانصق بنياط القلب وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ ثمرة وثمره القلب الولد فان انصرف الوالد عن حب الولد فليس ذلك لبعض منه ولكن لسوءة حدثت من عقوق او تقصير مع بقاء الحذر والاشفاق الذى لا يزول عنه ولا يتقل منه فقد قال محمد بن على رضى الله عنه ان الله تعالى رضى الآباء للابناء فحذرهم فثبتهم ولم يوصهم بهم ولم يرض الابناء للآباء

فأوصاهم بهم وان شر الابناء من دعاهم التقصير الى العقوق وشر الآباء من دعاهم البر الى الإفراط والامهات اكثر اشفاقاً واوفر حبا لما باشرن من الولادة وعابن من التربية فانهن ارق قلوباً وألين نفوساً وبحسب ذلك وجب ان يكون التعطف عليهن اوفر جزاء لفعالهن وكفاء لحنهن وان كان الله تعالى قد اشرك بينهما في البر وجمع بينهما في الوصية فقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسناً وقد روى ان رجلاً اتى الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان لى اما انا مطيعها اقعدها على ظهري ولا اصرف عنها وجهي وأرد اليها كسبي فهل جزئتها قال لا ولا بزفرة واحدة قال ولم قال لانها كانت تخدمك وهي تحب حياتك وانت تخدمها وتحب موتها وقال الحسن البصرى حق الوالد اعظم وبر الوالد الزم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انها تم عن عقوق الامهات ووآد البنات ومنع وهات وروى خالد بن معدان عن المقدم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله يوصيكم بامهاتكم ثم يوصيكم بالاقرب فالاقرب واما المولودون فهم الاولاد واولاد الاولاد والعرب تسمى ولد الولد الصفوة وهم مختصون مع سلامة احوالهم بلحقين احدهما لازم والآخر منتقل فاما اللازم فهو الانفة للآباء من تهضم او نخول والانفة في الابناء في مقابلة الاشفاق في الآباء وقد لحظ ابو تمام الطائى هذا المعنى في شعره فقال

\* فاصبحت تلقانى الزمان لاجله \* باعظام مولود واشفاق والد \*

فاما المنتقل فهو الادلال وهو اول حال الولد والادلال في الابناء في مقابلة المحبة في الآباء لان المحبة بالآباء اخص والادلال بالابناء اعم وقد روى عن عمر انه قال قلت يا رسول الله ما بالنا نرق على اولادنا ولا يرقون علينا قال لانا ولدناهم ولم يلدونا ثم الادلال في الابناء قد ينتقل مع الكبر الى احد امرين اما البر والاعظام واما الى الجفاء والعقوق فان كان الولد رشيداً او كان الاب برا عطفوا صار الادلال برا واعظاما وقد روى الزهرى عن عامر بن شراحيل ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لجرير بن عبد الله ان حق الوالد على الولد ان يشع له عند الغضب ويؤثره على نفسه عند النصب والسغب فان المكافى ليس بالواصل ولكن

الواصل من اذا قطعت رحمه وصلهما وان كان الولد غاويا او كان الوالد حافيا صار الادلال قطيعة وعقوقا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم رحمه الله امرءا اعان ولده على بره وبشر عمر بن الخطاب رضى الله عنه بمولود فقال ربحانة اشهما ثم هو عن قريب ولد بار او عدو ضار وقد قيل في مشور الحكيم العقوق تشكل من لم يشكل وقال بعض الحكماء ابنك ربحانك سبعا وخانك سبعا ووزيك سبعا ثم هو صديق او عدو واما المناسيون فهم من عدا الآباء والابناء ممن يرجع بتعصيب او رحمة والذي يختصون به الحمية الباعثة على النصره وهى اذنى رتبة الانفة لان الانفة تمتع من التهضم والتمول معا والحمية تمتع من التهضم وليس لها فى كراهة التمول نصيب الا ان يقترن بها ما يبعث على الالفة وحمية المناسيين انما يدعو الى النصره على البعداء والاجانب وهى معرضة لحسد الاذاني والاقارب موكولة الى منافسة الصاحب بالصاحب فان حرس بالتواصل والتلاطف تأكدت اسبابها واقترن بحمية النسب مصافا المودة وذلك اوكد اسباب الالفة وقد قيل لبعض قريش ايما احب اليك اخوك او صديقك قال اخى اذا كان صديقا وقال مسلمة بن عبد الملك العيش فى ثلاث سعة المنزل وكثرة الخدم وموافقة الاهل وقال بعض الحكماء البعيد قريب بمودته والقريب بعيد بعداوتة وان اهملت الحال بين المناسيين ثقة بلحمة النسب واعتمادا على حمية القرابة غلب عليها مقت الحسد ومنازعة التنافس فصارت المناسية عداوة والقرابة بعدا وقال الكندي فى بعض رسائله الاب رب والواذك والاخ فسخ والعم غم والحال بان والاقارب عقارب وقال عبد الله بن المعتز

\* لحومهم لحمى وهم يأكلونه \* وما داهيات المرء الا اقاربه \*

ومن اجل ذلك امر الله تعالى بصلة الارحام واثنى على واصلها فقال تعالى والذين يصلون ما امر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب قال المفسرون هى الرحم التى امر الله بوصلها ويخشون ربهم فى قطعها ويخافون سوء الحساب فى المعاقبة عليها وروى عبد الرحمن بن عوف ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله عز وجل انا الرحمن وهى الرحم اشتقت لهما من اسمى اسمائى وصلها وصلته ومن قطعها قطعته وروى عنه صلى

الله عليه وسلم انه قال صلة الرحم مائة للعدد مثناة للمال محبة في الامل منساة في الاجل وقال بعض الحكماء ابوا ارحامكم بالحقوق ولا تجفوها بالعقوق وقال بعض البلغاء - لمر ارحامكم فانها لا تبلى عليها اصولكم ولا تهضم عليها فروعكم وقال بعض الادباء من لم يصلح لاهله لم يصلح لك ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك وقال بعض الفصحاء من وصل رحمه وصله الله ورحمه ومن اجار جاره اعانه الله وجاره وقال محمد بن عبد الله الازدي

- \* وحسبك من ذل وسوء صنعة \* مناواة ذى القربى وان قيل قاطع \*
- \* ولكن اواسيه وانسى ذنوبه \* لترجعه يوما الى الرواجع \*
- \* ولا يستوى في الحكم عبدان واصل \* وعهد لارحام القرابة قاطع \*

واما المصاهرة وهى الثالث من اسباب الالفة فلانها استحداث مواصلة وتمازج مناسبة صدرا عن رغبة واختيار انعقادا على خير وايثار فاجتمع فيها اسباب الالفة ومواد المصاهرة قال الله تعالى ومن آياته ان خلق لكم من انفسكم ازواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة يعنى بالمودة المحبة وبالرحمة الخنو والشفقة وهما من اوكد اسباب الالفة وفيها تأويل آخر قاله الحسن البصرى رحمه الله ان المودة النكاح والرحمة الواد وقال تعالى والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة اختلف المفسرون في الحفدة فقال عبدالله بن مسعود هما اختان الرجل على بناته وقال عبدالله بن عباس رضى الله عنهما هم ولد الرجل وولد ولده وروى عن ابيهم بنوا امرأة الرجل من غيره وسموا حفدة لتحفدهم في الخدمة وسرعتهم في العمل ومنه قولهم فى الثنوت واليك نسجى وندفدى الى العمل بطاعتك وام تزل العرب تجذب البعداء وتتألف الاصدقاء بالمصاهرة حتى يرجع المنافر مؤانسا ويصير العدو مواليا وقد يصير للصحير بين الاثنتين الفة بين القبيلتين وموالة بين العشيرتين حكى عن خالد بن يزيد بن معاوية انه قال كان ابغض خلق الله عز وجل الى آل الزبير حتى تزوجت منهم ارملة فصاروا احب خلق الله عز وجل الى وفيها يقول

- \* احب بنى العوام طرا لاجلها \* ومن اجلها احببت اخوالها كلبا \*

\* فان تسلى نسل وان تنصرى \* يحط رجال بين اعينهم صلبا \*  
ولذلك قيل المرء على دين زوجته، لما يستنزله الميل اليهما من المتابعة ويحذبه  
الحب لهما من الموافقة فلا يجرد الى المخالفة سبيلا ولا الى المبائنة والمشاققة  
طريقا واذا كانت المصاهرة للثكاح بهذه المنزلة من الالفة فقد ينبغي لعقدها  
احد خمسة اوج، وهي المال والجمال والدين والالفة والتعفف وقد روى  
سعيد بن ابي سعيد عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تنكح المرأة  
لاربعة لجمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها فعليك بذات الدين تربت يداك فان كان  
عقد النكاح لاجل المال وكان اقوى الدواعي اليه فالمال اذا هو المتكوح فان  
اقرن بذلك احد الاسباب الباعثة على الأتلاف جاز ان يلبث العقد وتدوم الالفة  
فان تجرد عن غيره من الاسباب وعرى عما سواه من المواد فأخلق بالعقد ان ينحل  
وبالالفة ان تزول لاسيما اذا غلب الطمع وقيل الوفاء لان المال ان وصل  
اليه فقد ينقضى سبب الالفة به فقد قيل من ودك لشيء تولى مع انقضائه  
وان اعوز الوصول اليه وتعذرت العذرة عليه اعقب ذلك استهانة الآيس  
بعد شدة الامل فحدثت منه عداوة الخائب بعد استحكام الطمع  
فصارت الوصلة فرقة والالفة عداوة وقد قيل من ودك طمعا فيك ابغضك اذا  
ايس منك وقال عبد الحميد من عظمك لاكثرك استتلك عند اقلالك فان  
كان العقد رغبة في الجمال فذلك ادوم للالفة من المال لان الجمال  
صفة لازمة والمال صفة زائلة ولذلك قيل حسن الصورة اول السعادة وقد  
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اعظم النساء بركة احسنهن  
وجهها واقلهن مهرا فان سلمت الحال من الادلال المفضي الى اللال استدامت  
الالفة واستحكمت الوصلة وقد كانوا يكرهون الجمال البارع اما لما يحدث  
عنه من شدة الادلال وقد قيل من بسطه الادلال قبضه الادلال واما لما يخاف  
من محنة الرغبة وبلوى المنازعة وقد حكى ان رجلا شاور حكيميا في التزوج  
فقال له افعل واياك والجمال البارع فانه مرعى اتيق فقال الرجل وكيف ذلك قال  
كما قال الاول

\* وان تصادف مرعى ممرعا ابدا \* الا وجدت به آثار متجمع \*



واما لما يخافه اللبيب من شدة الصبوة ويتوقا الحازم من سوء عواقب الفنة وقد قال بعض الحكماء اياك ومخالطة النساء فان لحظ المرأة سهم ولفظها سم ورأى بعض الحكماء صيانا يكلم امرأة فقال يا صياد احذر ان تصاد وقال سليمان بن داود عليهما السلام لابنه امش وراء الاسد ولا تمس وراء المرأة وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه امرأة تقول هذا البيت

\* ان النساء رياحين خلقن لئلكم \* وكلكن يشتهى شم الرياحين \*  
 ﴿ فقال رضى الله عنه ﴾

\* ان النساء شياطين خلقن لنا \* نعوذ بالله من شر الشياطين \*  
 وان كان العقد رغبة في الدين فهو اوثق العتود حالا وانومها الفة واحدها بدأ وعاقبة لان طالب الدين متبع له ومن اتبع الدين انقاد له فاستقامت له حاله وامن زلله ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم فاطفر ( لعل هذه رواية اخرى فان التي تقدمت فعليك ) بذات الدين تربت يداك وفيه تأويلان احدهما تربت يداك ان لم تظفر بذات الدين والثاني انهما كلمة تذكر للمباغاة ولا يراد بهما سوء كقولهم ما اشجع قاتله الله وان كان العقد رغبة في اللفة فهذا يكون على احد وجهين اما ان يقصد به المكثرة باجتماع الفريقين والمظاهرة بتناصر الفتين واما ان يقصد به تألف اعداء متسلطين استكفاء لعاديتهم وتسكيننا لصولتهم وهذان الوجهان قد يكونان في الاماثل واهل المنازل وداعى الوجه الاول هو الرغبة وداعى الوجه الثانى هو ازهبة وهما سببان في غير المتسالكين فان استدام السبب دامت اللفة وان زال السبب بزوال الرغبة والزهبة خيف زوال اللفة الا ان ينضم اليها احد الاسباب الباعثة عليها والمقربة لها وان كان العقد رغبة في التعفف فهو الوجه الحقى المبتغى بعقد النكاح وما سوى ذلك فاسباب معلومة عليه ومضافة اليه وروى انه لما نزل قوله تعالى يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها قال النبي صلى الله عليه وسلم خلق الرجل من التراب فهمه في التراب وخلقت المرأة من الرجل فهمهما في الرجل وروى عطية بن بشر عن عكاف بن رفاعة الهلالي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا عكاف

ألك زوجة قال لا قال فانت اذا من اخوان الشياطين ان كنت من رهبان  
النصارى فالحق بهم وان كنت منسفا سننتنا النكاح فكان هذا القول منه  
حشا على ترك الفساق وبعثنا على التكاثر بالاولاد ولهذا المعنى كان النبي صلى الله  
عليه وسلم يقول للقفال من غزوهم اذا افضيتهم الى نساءكم فالنكيس النكيس  
يعنى فى طلب الولد فلزم حينئذ فى عقد التعفف تحكيم الاختيار فى التماس  
الادوم من دواعيه وهى نوعان نوع يمكن حصر شروطه ونوع لا يمكن لاختلاف  
اسبابه وتغاير شروطه فاما الشروط المحصورة فيه فثلاثة شروط ❖ احدها ❖  
الدين المفضى الى الستر والعفاف والمؤدى الى التناعه والكفاف قال ابو هريرة  
رضى الله عنه لا يعذل مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقه رضى منها خلقا  
وخطب رجل من عبدالله بن عباس رضى الله عنهما يتيمة كانت عنده فقال  
لا ارضاها لك قال ولم وفى دارك نشأت قال انها تتشرف قال لا ابالى فقال  
الآن لا ارضاها لك وفى معنى هذا قول بعض العلماء من رضى بصحبة من لا خير  
فيه لم يرض بصحبته من فيه خير ❖ والشروط الثانى ❖ العقل الباعث على حسن  
التقدير الامر بصواب التدبير فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
العقل حيث كان الوق ومألوف وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
عليكم بالودود الولود ولا تنكحوا الحمقاء فان صحبتها بلاء وولدها ضياع  
❖ والشروط الثالث ❖ الاكفاء الذين ينتفى بهم العار ويحصل بهم الاستكثار  
فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تخيروا لنطفكم ولا تضعوها  
الا فى الاكفاء وروى ان صبي بن اكرم قال لولده يا بنى لا يحملنكم جمال النساء  
عن صراحة النسب فان المناكح اللئيمة مدرجة للشرف وقال ابو الاسود الدبلى  
لبنيه قد احسنت اليكم صغارا وكبارا وقبل ان تولدوا قالوا وكيف احسنت اليها  
قبل ان تولد قال اخترت لكم من الامهات من لا تسبون بها وانشد الرياشى

\* فاول احسانى اليكم تخيرى \* لماجدة الاعراق باء عفافها \*

وقد تنضم الى هذه الشروط من صفات الذات واحوال النفس ما يلزم الحرز  
منه لبعده الخير عنه وقلة الرشد فيه فان كوامن الاخلاق باذية فى الصور  
والاشكال كالذى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لزيد بن حارثة

أزوجت يا زيد قال لا قال تزوج تستعفف مع عفتك ولا تزوج من النساء نجسا  
 قال وما هن يا رسول الله قال لا تزوج شهيرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هبذرة ولا  
 لغوتا فتمال يا رسول الله انى لا اعرف مما قلت شيئا قال اما الشهيرة فالزرقاء البذية  
 واما الهبرة فالخويلة المهزولة واما النهبرة فالبحروز المدبرة واما الهبذرة فالقصيرة  
 الدميعة واما اللفوت فذات الولد من غيرك وقال شيخ من بني سليم لابنه يا بني  
 اياك والرقوب الغضوب القطوب الرقوب التي تراقبه ان يموت فتأخذ ماله واوصى  
 بعض الاعراب ابنه في التزوج فقال اياك والخائنة والمثانة والانانة فالخائنة التي  
 تحن لزوج كان لها والمثانة التي تمن على زوجها بما لها والانانة التي تن كسلا  
 وتمارضا وقال اوفى بن دلهم النساء اربع فتنهن مقيم لها سنها اجمع ومنهن ممنع  
 تضرر ولا تنفع ومنهن مصدع تفرق ولا تجمع ومنهن غيث وقع ببلد فامرغ وقال  
 الشاعر

- \* ارى صاحب النسوان يحسب انها \* سوء وبون بينهن بعيـد \*  
 \* فتنهن جنات يفيء ظلالها \* ومنهن نيران لهن وقود \*  
 ❖ وانشد ابو العيـاء عن ابى زيد ❖  
 \* ان النساء كاشجار نبتت معا \* منهن مرّ وبعض المرّ ما أكل \*  
 \* ان النساء ولو صورن من ذهب \* فيهن من هفوات الجهل تخيل \*  
 \* ان النساء متى ينهين عن خلق \* فانه واجب لا يسد مفعول \*  
 \* وما وعدك من شر وفين به \* وما وعدك من خير فمطول \*

فاما النوع الآخر فانه لا يمكن حصر شروطه لانه قد يختلف باختلاف الاحوال  
 وينقل بنقل الانسان والازمان فانه لا يستغنى به عن موافقة النفس ومتابعة  
 الشهوة ليكون انوم لحال الالفه وامن لاسباب الوصلة فان رأى المعلوم لا يبق  
 على حاله والميل المدخول لا يدوم على دخله فلا بد ان ينتقل الى احدى حالتين  
 اما الى الزيادة والكمال واما الى النقصان والزوال حكى ان رجلا قال لعلى  
 كرم الله وجهه انى احبك واحب معاوية فقال رضى الله عنه اما الآن فانت  
 اعور فاما ان تبرأ واما ان تعمى فاذا كان كذلك فلا بد من كشف السبب  
 الباعث على هذا النوع فانه لا يخلو من ثلاثة احوال ❖ احدها ❖ ان يكون

لطلب الولد والاحمد فيه التماس الحداثة والبركة لانها اخص بالولادة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالابكار فانهن اعذب افواها وانتق ارحاما وارضى باليسير ومعنى قوله انتق ارحاما اي اكثر اولادا وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه عليكم بالابكار فانهن اكثر حبا واول خنا وهذه الحال هي اولى الاحوال الثلاث لان النكاح موضوع لهما والشرع وارد بهما وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سوءاء ولود خير من حسناء عاقر والعرب تقول من لا يلد لا ولد وقد كانوا يختارون لمثل هذه الحال انكاح البعداء الاجانب ويرون ان ذلك انجب للولد واهبى للحمالة ويمتنعون انكاح الاهل والاقارب ويرونه مضرا بخلق الولد بعيدا من نجابته روى عن النبي صلى الله عليه انه قال اغربوا لاتضووا وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال يا بني السائب قد اضويتم فانكحوا في الغرائب وقال الشاعر

\* تجاوزت بنت العم وهي حبية \* مخافة ان يضوى على سليلي \*

وكانت حكماء المتقدمين يرون ان انجب الاولاد خلقتا وخلقتا من كانت سن امه بين العشرين والثلاثين وسن ابيه ما بين الثلاثين والخمسين والعرب تقول ان ولد الغيرى لا ينجب وان انجب النساء الفروك لان الرجل يغلبها على الشبه لزهدها في الرجال وقالوا ان الرجل اذا اكره المرأة وهي مذعورة ثم اذكرت انجبت ❖ والحالة الثانية ❖ ان يكون المقصود به القيام بما يتولاه النساء من تدبير المنازل فهذا وان كان مختصا بمعاناة النساء فليس بالزم حالتى الزوجات لانه قد يجوز ان يعانیه غيرهن من النساء ولذلك قيل المرأة ربحانة وليست بقهرمانه وليس في هذا القصد تأثير في دين ولا قدح في مروءة والاحمد في مثل هذا التماس ذوى الاسنان والحكمة فن قد خبرن تدبير المنازل وعرفن عادات الرجال فانهم اقوم بهذه الحال ❖ والحالة الثالثة ❖ ان يكون المقصود به الاستمتاع وهي اذم الاحوال الثلاث واوهنها للمروءة لانه يتماد فيه لاخلقه البهيمية ويتابع شهوته الذميمة وقد قال الحارث بن النضر الازدي شر النكاح نكاح الغلظة الا ان يفعل ذلك لكسر الشهوة وقهرها بالاضعاف لها عند الغلبة او تسكين النفس عند المنازعة حتى لا تطمع له عين لرية ولا تنازعه نفس الى فخور ولا

بلحقة في ذلك ذم ولا يناله وصم وهو بالحمد اجدر وبالثناء احق ولو تنزه في مثل هذه الحال عن استبدال الحرائر الى الاماء كان اكمل لمروءته وابلغ في صيانتها وهذه الحال تقف على شهوات النفوس لا يمكن ان يرجح فيها اولى الامور وهي اخطر الاحوال بالمنكوحه لان للشهوات غايات متساهية يزول بزوالها ما كان متعلقا بها فتصير الشهوة في الابتداء كراهية في الانتهاء ولذلك كرهت العرب البنات ووادتھن اشفاقا عليھم وحمية لهن من ان يتبدلھن اللثام بهذه الحال وكان من محبوب من قتل البنات لرقه ومحبة كان موتھن احب اليه وآثر عنده ولما خطب الى عقيل بن علقمة ابنته الحبراء قال اني وان سبق الى المهر الف وعبدان وذود عشر احب اصھاري الى القبر وقال عبد الله بن طاهر

\* لكل ابى بنت يراعى شوونها \* ثلاثة اصهار اذا حد انصهر \*

\* فبعل يراعيها وخدر يكنھا \* وقبر يواريھا وفضلھا القبر \*

﴿ فصل ﴾ واما المواخاة بالمودة وهي الرابع من اسباب اللفة لانها تكسب بصادق الميل اخلاصا ومصافة ويحدث بخلوص المصافة وفاء ومحاماة وهذا اعلى مراتب اللفة ولذلك آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين اصحابه لتزيد الفئهم ويقوى تضافرهم وتناصرهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم باخوان الصفاء فانهم زينة في الرخاء وعمدة في البلاء وروى ابو الزبير عن سهل بن سعد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المرء كثير باخيه ولاخير في صحبة من لا يرى لك من الحق مثل ما ترى له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقاء الاخوان جلاء الاحزان وقال خالد بن صفوان ان اعجز الناس من قصر في طلب الاخوان واعجز منه من ضيع من ظفر به منهم وقال على كرم الله وجهه لابنه الحسن يا بنى الغريب من ليس له حبيب وقال ابن المعتز من اتخذ اخوانا كانوا له اعوانا وقال بعض الادباء افضل الذخائر اخ وفي وقال بعض البلغاء صديق مساعد عضد وساعد وقال بعض الشعراء

\* هموم رجال في امور كثيرة \* وهمى من الدنيا صديق مساعد \*

\* نكون كروح بين جسمين قسمت \* بجسمائهما جسمان والروح واحد \*

وقيل انما سمي الصديق صديقا لصدقه والعدو عدوا لعدوه عليك وقال

ثعلب انما سمي الخليل خليلا لان محبته تتخلل القلب فلا تدع فيه خلا الا ملائته  
وانشد الرياشي قول بشار

\* قد تتخللت مسلك الروح مني \* وبه سمي الخليل خليلا \*  
والمواخاة في الناس قد تكون على وجهين احدهما اخوة مكتسبة بالاتفاق  
الجارى مجرى الاضرار والثانية مكتسبة بالقصد والاختيار فاما المكتسبة  
بالاتفاق فهي اوكد حالا لانها تعقد عن اسباب تعود اليها والمكتسبة بالقصد  
تعقد لها اسباب تقاد اليها وما كان جاريا بالطبع فهو الزم مما هو حادث  
بالقصد ونحن نبدأ بالوجه الاول المكتسب بالاتفاق ثم نعبه بالوجه الثانى  
المكتسب بالقصد اما المكتسب بالاتفاق فله اسباب يتدى بها ثم ننقل في غاية  
احواله المحدودة الى سبع مراتب ربما استكملنهن وربما وقفت على بعضهن ولكل  
مرتبة من ذلك حكم خاص وسبب موجب قال الشاعر

\* ما هوى الاله سبب \* يتدى منه وينشعب \*  
فاول اسباب الاخاء التجانس في حال يجتمعان فيها ويأتلفان بها فان قوى التجانس  
قوى الأتلاف به وان ضعف كان ضعيفا ما لم يحدث علة اخرى يقوى بها الأتلاف  
واما كان ذلك كذلك لان الأتلاف بالتشاكل والتشاكل بالتجانس فاذا عدم  
التجانس من وجه اتنى التشاكل من وجه ومع انتفاء التشاكل يعدم الأتلاف  
فثبت ان التجانس وان تنوع اصل الاخاء وقاعدة الأتلاف وقد روى يحيى  
ابن سعيد عن عمر عن عائشة رضى الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم  
انه قال الارواح جنود مجنونة فما تعارفت منها أتلفت وما تناكر منها اختلف  
وهذا واضح وهى بالتجانس متعارفة ويفقد، متاكرة وقيل في مشور الحكم  
الاضداد لا تتفق والاشكال لا تفرق وقال بعض الحكماء بحسن تشاكل الاخوان  
يلبث التواصل ولبعضهم

\* فلا تحقر نفسى وانت خليلها \* فكل امرئ يصبو الى من يشاكل \*  
❖ وقال آخر ❖

\* فقلت اخى قالوا اخ من قرابة \* فقلت لهم ان الشكول اقارب \*  
\* نسيبى فى رأبى وعزى وهمتى \* وان فرقتنا فى الاصول المناسب \*

ثم يحدث بالتجانس المواصلية بين المتجانسين وهي المرتبة الثانية من مراتب الاخاء وسبب المواصلية بينهما وجود الاتفاق منهنما فصارت المواصلية نتيجة التجانس والسبب فيه وجود الاتفاق لان عدم الاتفاق منفر وقد قال الشاعر

\* الناس ان وافقتهم عذبوا \* او لا فان جناهم من  
\* كم من رياض لا انيس بها \* تركت لان طريقها وعمر

ثم يحدث عن المواصلية رتبة ثالثة وسببها الاندساض ثم يحدث عن المؤانسة رتبة رابعة وهي المصافاة وسببها خلوص النية ورتبة خامسة وهي المودة وسببها الثقة وهذه الرتبة هي انى الكمال فى احوال الاخاء وما قبلها اسباب تعود اليها فان اقترن بها المعاضدة فهى الصداقة ثم يحدث عن المودة رتبة سادسة وهى المحبة وسببها الاستحسان فان كان الاستحسان لفضائل النفس حدثت رتبة سابعة وهى الاعظام وان كان الاستحسان للصورة والحركات حدثت رتبة ثامنة وهى العشق وسببها الطمع وقد قال المأمون رحمه الله تعالى

\* اول العشق مزاح وولع \* ثم يزداد اذا زاد الطمع  
\* كل من يهوى وان غالت به \* رتبة الملك لمن يهوى تبع

وهذه الرتبة آخر الرتب المحدودة وليس لما حاوزها رتبة مقدره ولا حالة محدودة لانها قد تؤدى الى ممازجة النفوس وان تميزت ذواتها وتفضى الى مخالطة الارواح وان تفارقت اجسامها وهذه حالة لا يمكن حصر غايتها ولا الوقوف عند نهايتها وقد قال الكندي الصديق انسان هو انت الا انه غيرك ودثل هذا القول المروى عن ابى بكر الصديق رضى الله عنه حين اقطع طلحة بن عبيدالله ارضا وكتب له بها كتابا واشهد فيه ناسا منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فاتى طلحة بكتابه الى عمر ليختمه فامتنع عليه فرجع طلحة مغضبا الى ابى بكر رضى الله عنه وقال والله ما ادرى انت الخليفة ام عمر فقال بل عمر ولكنه انا واما المكتسبة بالقصد فلا بد لها من داع يدعو اليها ويبعث بعث عليها وذلك من وجهين رغبة وفاقه فاما الرغبة فهى ان يظهر من الانسان فضائل تبعث على اخائه ويتوسم بحميل يدعو الى اصطفاؤه وهذه الحالة اقوى من التى بعدها لظهور الصفات المطلوبة من غير تكلف لطلبها وانما يخاف عليها من

الاغترار بالتصنع لها فليس كل من اظهر الخير كان من اهله ولا كل من تخلق بالحسنى كانت من طبعه والمتكلف للشيء منساف له الا ان يدوم عليه مستحسنا له في العقل او متدينا به في الشرع فيصير متطبعاً به لا مطبوعاً عليه لانه قد تقدم من كلام الحكماء ليس في الطبع ان يكون ما ليس في التطبع ثم نقول في المتعذر ان تكون اخلاق الفاضل كاملة بالطبع وانما الاغلب ان يكون بعض فضائله بالطبع وبعضها بالتطبع الجازي بالعادة مجرى الطبع حتى يصير ما تطبع به في العادة اغلب عليه مما كان مطبوعاً عليه اذ خالف العادة ولذلك قيل العادة طبع ثان وقال ابن الرومي رحمه الله

\* واعلم بان الناس من طينة \* يصدق في الثلب لها الثالب \*  
 \* لولا علاج الناس اخلاقهم \* اذا لفاح الجمأ اللازب \*  
 واما الفاقة فهي ان يقتقر الانسان لوحشة انفراده ومهانة وحدته الى اصطفاء من يأنس بمواخاته ويثق بنصرتة وموالاته وقد قالت الحكماء من لم يرغب بثلاث بلى بست من لم يرغب في الاخوان بلى بالعداوة والخذلان ومن لم يرغب في السلامة بلى بالشدائد والامتهان ومن لم يرغب في المعروف بلى بالندامة والخسران والعمرى ان اخوان الصدق من انفس الذخائر وافضل العدد لانهم سبهم النفوس واولياء النوائب وقد قالت الحكماء رب صديق اود من شقيق وقيل اعوية ايما احب اليك قال صديق يميني الى الناس وقال ابن المعتز القريب بعداوته بعيد والبعيد بمودته قريب وقال الشاعر

\* لمودة ممن يحبك مخلصا \* خير من الرحم القريب الكاشح \*

❖ وقال آخر ❖

\* يخونك ذو القربى مرارا وربما \* وفي لك عند العهد من لا تناسبه \*  
 فاذا عزم على اصطفاء الاخوان سبر احوالهم قبل اخائهم وكشف عن اخلاقهم قبل اصطفاتهم لما تقدم من قول الحكماء اسبر تخبر ولا تبعثه الوحدة على الاقدام قبل الخبرة ولا حسن الظن على الاغترار بالتصنع فان الملق مصائد العقول والنفاق تدليس الفطن وهما سحابة المتصنع وليس فيمن يكون النفاق واللق بعض سبحاياه خير يرجى ولا صلاح يؤمل ولاجل ذلك قالت الحكماء



اعرف الرجل من فعله لا من كلامه واعرف محبته من عينه لا من لسانه وقال  
خالد بن صفوان انما انفقت على اخواني لاني لم استعمل معهم النفاق ولا  
قصرت بهم عن الاستحقاق وقال حماد بن عمار

- \* كم من اخ لك ليس تنكره \* ما دمت في دنياك في يسر \*  
\* متصنع لك في مودته \* يلقاك بالترحيب والبشر \*  
\* فزاعدا والدره ذو غير \* دهر عليك عدا مع الدهر \*  
\* فارفض باجال مودة من \* يقلى المقل ويعشق المثرى \*  
\* وعليك من حاله واحدة \* في العسر اما كنت واليسر \*

على ان الانسان موسوم بسماء من قارب ومنسوب اليه افاعيل من صاحب  
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء مع من احب وقال علي بن ابي طالب  
رضي الله عنه الصاحب مناسب وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه ما من  
شيء ادل على شيء ولا الدخان على النار من الصاحب على الصاحب وقال  
بعض الحكماء اعرف اخاك باخيه قبلك وقال بعض الادباء يظن بالمرء ما يظن  
بقريته وقال عدى بن زيد

- \* عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه \* فكل قرين بالمقارن يقتدى \*  
\* اذا كنت في قوم فصاحب خيارهم \* ولا تصحب الاردي فتدري مع الردى \*  
فلزم من هذا الوجه ايضا ان يحرز من دخلاء السوء ويجانب اهل الرب  
ليكون موفور العرض سليم العيب فلا يلام بلامه غيره وهذا قبل التثبت والارتياح  
ومداومة الاختيار والابتلاء متعذر بل مفقود وقد ضرب ذو الرمة مثلا بالماء  
فمين حسن ظاهره وخبث باطنه فقال

- \* ألم تر ان الماء يخبث طعمه \* وان كان لون الماء ابيض صافيا \*  
ونظر بعض الحكماء الى رجل سوء حسن الوجه فقال اما البيت فحسن واما  
الساكن فردى فاخذ جحظة هذا المعنى فقال

- \* رب ما ابين التباين فيه \* منزل عامر وعقل خراب \*  
\* وانشد في بعض اهل العلم ﴿ \*  
\* لا تركن الى ذي منظر حسن \* فرب راقعة قد ساء مخبرها \*

\* ما كل اصفر دينار لصفته \* صفر العقارب ارداها وانكرها \*  
 ثم قد تقدم من قول الحكماء من لم يقدم الامتحان قبل الثقة والثقة قبل الانس  
 اثمرت مودته ندما وقال بعض البلغاء مصارمة قبل اختيار افضل من مواخاة على  
 اغترار وقال بعض الادباء لا تثق بالصديق قبل الخبرة ولا تقع بالعدو قبل القدرة  
 وقال بعض الشعراء

\* لا تحمدن امرا حتى تجربه \* ولا تذمنه من غير تجرب \*  
 \* فمذك المرء ما لم تبليه خطأ \* وذمه بعد حمد شر تكذيب \*

و اذا قد لزمت من هذين الوجهين سبر الاخوان قبل اخائهم وخبرة اخلاقهم  
 قبل اصطفائهم فالخصال المعتبرة في اخائهم بعد المجانسة التي هي اصل  
 الاتفاق اربع خصال ❖ فالخصلة الاولى ❖ عقل موفور يهدى الى مرشد  
 الامور فان الحق لا تثبت معه مودة ولا تدوم لصاحبه استقامة وقد روى عن  
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال البذاء لؤم وصحبة الاحق لان الاحق ربما ضر وهو  
 الحكماء عداوة العاقل اقل ضررا من مودة الاحق لان الاحق ربما ضر وهو  
 يقدر ان ينفع والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرتة فضرتة لها حد يقف عليه  
 العقل ومضرة الجاهل ليست بذات حد والمحدود اقل ضررا مما هو غير محدود  
 وقال المنصور للمسيب بن زهير ما مادة العقل فقال مجالسة العملاء وقال بعض  
 البلغاء من الجاهل صحبة ذوى الجهل ومن المحال مجادلة ذوى المحال وقال بعض  
 الادباء من اشار عليك باعطناع جاهل او عاجز لم يخل ان يكون صديقا جاهلا  
 او عدوا عاقلا لانه يشير بما يضرك ويحتال فيما يضع منك وقال بعض الشعراء

\* اذا ما كنت متخذنا خليلا \* فلا تثقن بكل اخي اخاء \*  
 \* فان خيرت بينهم فألصق \* باهل العقل منهم والحياء \*  
 \* فان العقل ليس له اذا ما \* تفاضلت الفضائل من كفاء \*

❖ والخصلة الثانية ❖ الدين الواقف بصاحبه على الخيرات فان تارك الدين  
 عدو لنفسه فكيف يرجي منه مودة غيره وقال بعض الحكماء اصطف من الاخوان  
 ذا الدين والحسب والرأى والادب فانه رء لك عند حاجتك ويد عند نائبتك

- وانس عند وحشتك وزين عند عافيتك وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه
- \* اخلاء الرخاء هم كثير \* ولكن في البلاء هم قليل
  - \* فلا يغرك خلة من تواخى \* فما لك عند نأبة خليل
  - \* وكل اخ يقول انا وفي \* ولكن ليس يفعل ما يقول
  - \* سوى خل له حسب ودين \* فذاك لما يقول هو الفعول

❖ وقال آخر ❖

- \* من لم يكن في الله خلة \* فخلة منه على خطر
- ❖ والحصلة الثالثة ❖ ان يكون محمود الاخلاق مرضى الافعال مؤثرا للخير  
 امرابه كارها للشر ناهيا عنه فان مودة الشرير تكسب الاعداء وتفسد الاخلاق  
 ولا خير في مودة تجلب عداوة وتورث مذمة فان المتبوع تابع صاحبه وقال عبد الله  
 ابن المعتز اخوان الشر كشجر النارج يحرق بعضها بعضا وقال بعض الحكماء  
 مخالطة الاشرار على خطر والصبر على صحبتهم كركوب البحر الذى من سلم  
 منه ببدنه من التلف فيه لم يسلم بقلبه من الحذر منه وقال بعض البلغاء صحبة  
 الاشرار تورث سوء الظن بالاخيار وقال بعض البلغاء من خير الاختيار صحبة  
 الاخيار ومن شر الاختيار صحبة الاشرار وقال بعض الشعراء

- \* مجالسة السفه سفاه رأى \* ومن عقل مجالسة الحكيم
  - \* فانك والقرين معا سواء \* كما قدد الاديم من الاديم
- ❖ والحصلة الرابعة ❖ ان يكون من كل واحد منهما ميل الى صاحبه ورغبة  
 فى مواخاته فان ذلك اوكد لحال المواخاة واملد لاسباب المصافاة اذ ليس كل مطلوب  
 اليه طالب ولا كل مرغوب اليه راغب ومن طلب مودة ممتنع عليه ورغب الى  
 زاهد فيه كان معنى خابا كما قال البحترى

- \* وطلبت منك مودة لم اعظها \* ان المعنى طالب لا يظفر
- ❖ وقال العباس بن الاحنف ❖

- \* فان كان لا يدنيك الاشفاعة \* فلا خير فى ود يكون بشافع
- \* واقسم ما ترى عتابك عن قلى \* ولكن لعلى انه غير نافع
- \* وانى اذا لم الزم الصبر طائعا \* فلا بد منه مكرها غير طائع

فإذا استكملت هذه الخصال في انسان وجب اخاؤه وتعين اصطفاؤه وبحسب وفورها فيه يجب ان يكون الميل اليه والثقة به وبحسب ما يرى من غلبة احدهما عليه يجعل مستعملا في الخلق الغالب عليه فان الاخوان على طبقات مختلفة وانحاء متشعبة ولكل واحد منهم حال يختص بها في المشاركة وثمة يسدها في الموازنة والمظاهرة وليس تنفق احوال جميعهم على حد واحد لان التباين في الناس غالب واختلافهم في الشيم ظاهر وقال بعض الحكماء الرجال كالشجر شرا به واحد وثمره مختلف فاخذ هذا المعنى منصور بن اسماعيل فقال

- \* بنو آدم كالنبت \* ونبت الارض الوان \*
- \* فمنهم شجر الصندل والكافور والبان \*
- \* ومنهم شجر افضل ما يحمل قطران \*

ومن رام اخوانا تنفق احوال جميعهم رام متعذرا بل لو اتفقوا لكان ربما وقع به خلل في نظامه اذ ليس الواحد من الاخوان يمكن الاستعانة به في كل حال ولا المجولون على الخلق الواحد يمكن ان يتصرفوا في جميع الاعمال وانما بالاختلاف يكون الائتلاف وقد قال بعض الحكماء ليس بليب من لم يعاشر بالعرف من لم يجد من معشرته بدا وقال المأمون الاخوان ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء يحتاج اليه احيانا وطبقة كالداء لا يحتاج اليه ابداء ولعمري ان الناس على ما وصفهم لا الاخوان منهم وليس من كان منهم كالداء من الاخوان المعدودين بل هم من الاعداء المحذورين وانما يداجون المودة استكفافا لشهرهم وتحزرا من مكاشفتهم فدخلوا في عداد الاخوان بالمظاهرة والمساترة وفي الاعداء عند المكاشفة والمهاجرة قال بعض الحكماء مثل العدو الضاحك اليك كالخنظلة الخضراء اوراقها القاتل من ارقها وقد قيل في منشور الحكم لا تغترن بمقاربة العدو فانه كالماء وان اطبل اسخائه بالنار لم يمنع من اطفائها وقال يزيد ابن الحكم الثقفي

- \* تكاشرنى ضحكا كأنك ناصح \* وعينك تبدي ان صدرك لى دوى \*
- \* لسانك معسول ونفسك علقم \* وشرك مبسوط وخيرك ملتوى \*
- \* فليت كفافا كان خيرك كله \* وشرك عنى ما ارتوى الماء مرتوى \*

فاذا خرج من كان كالداء من عداد الاخوان فالاخوان هم الصنفان الآخران اللذان من كان منهم كالغذاء وكالدواء لان الغذاء اقوم للنفس وحياتها والدواء علاجها وصلاحتها وافضلها من كان كالغذاء لان الحاجة اليه اعم واذا تميز الاخوان وجب ان ينزل كل منهم حيث نزلت به احواله اليه واستقرت خصاله وخلاله عليه فن قويت اسبابه قويت الثقة به وبحسب الثقة به يكون الركون اليه والتعويل عليه وقال الشاعر

\* ما انت بالسبب الضعيف وانما \* نجح الامور بقوة الاسباب \*  
\* فاليوم حاجتنا اليك وانما \* يدعى الطبيب لشدة الاوصاب \*

وقد اختلفت مذاهب الناس في اتخاذ الاخوان فمنهم من يرى ان الاستكثار منهم اولى ليكونوا اقوى منعة ويذا واوفر تحببا وتوددا واكثر تعاونا وتفقدا وقيل لبعض الحكماء ما العيش قال اقبال الزمان وعز السلطان وكثرة الاخوان وقيل حلية المرء كثرة اخوانه ومنهم من يرى ان الافلال منهم اولى لانه اخف اثقالا وكلفا واقل تنازعا وخلفا وقال الاسكندر المستكثر من الاخوان من غير اختيار كالمستوقر من الحجارة والمقل من الاخوان التخير لهم كالذي يتخير الجوهر وقال عمرو بن العاص من كثر اخوانه كثر غرماؤه وقال ابراهيم بن العباس مثل الاخوان كالنار قليلهما متاع وكثيرهما بوار ولقد احسن ابن الرومي في هذا المعنى ونبه على العلة حيث يقول

\* عدوك من صديقك مستفاد \* فلا تستكثرن من الصحاب \*  
\* فان الداء اكثر ما تراه \* يكون من الطعام او الشراب \*  
\* ودع عنك الكثير فكلم كثير \* يعافى وكم قليل مستطاب \*  
\* فما اللجج الملاح بمرويات \* وتلقى الرى في النطف العذاب \*

وقال بعض البلغاء ليكن غرضك في اتخاذ الاخوان واصطناع النصحاء تكثير العدة لا تكثير العدة وتحصيل النفع لا تحصيل الجمع فواحد يحصل به المراد خير من الف تكثر الاعداد واذا كان التجانس والتشاكل من قواعد الاخوة واسباب المودة كان وفور العقل وظهور الفضل يقتضى من حال صاحبه قلة اخوانه لانه يروم مثله ويطلب شكله وامثاله من ذوى العقل والفضل اقل من اضداده من ذوى الحق

والنقص لان الخيار في كل شئ هو الاقل فلذلك قل وفور العمل والفضل وقد قال الله تعالى ان الذين ينادونك من وراء الحجرات اكثرهم لا يعقلون فقل بهذا التعليل اخوان اهل الفضل لتلذذهم وكثر اخوان ذوى النقص والجهل لكثرتهم وقد قال في ذلك الشاعر

\* لكل امرئ شكل من الناس مثله \* فاكثرهم شكلا اقلهم عقلا \*  
 \* وكل اناس آلفون لشكلهم \* فاكثرهم عقلا اقلهم شكلا \*  
 \* لان كثير العقل لست بواجد \* له في طريق حين يسلكه مثلاً \*  
 \* وكل سفيه طائش ان فقدته \* وجدت له في كل ناحية عدلاً \*

واذا كان الامر على ما وصفنا فقد تنقسم احوال من دخل في عدد الاخوان اربعة اقسام منهم من يعين ويستعين ومنهم من لا يعين ولا يستعين ومنهم من يستعين ولا يعين ومنهم من يعين ولا يستعين فاما المعين والمستعين فهو معاوض منصف يؤدى ما عليه ويستوفى ما له فهو القروض يسعف عند الحاجة ويسترد عند الاستغناء وهو مشكور في معونته ومعدور في استعانته فهذا اعدل الاخوان واما من لا يعين ولا يستعين فهو منازل قد منع خيره وقع شره فهو لا صديق يرحى ولا عدو يخشى وقد قال المغيرة بن شعبة رضى الله عنه التارك للاخوان متروك واذا كان كذلك فهو كالصورة المثلثة يروقك حسننها ويخونك نفعها فلا هو مذموم لتجمع شره ولا هو مشكور لمنع خيره وان كان باللوم اجدر وقد قال الشاعر

\* واسوأ ايام الفتى يوم لا يرى \* له احد يزرى عليه وينكر \*  
 غير ان فساد الوقت وتغير اهله يوجب شكر من كان شره مقطوعا وان كان خيره ممنوعا كما قال المتنبي

\* انا لفي زمن ترك التبيح به \* من اكثر الناس احسان واجال \*  
 واما من يستعين ولا يعين فهو لئيم كل ومهين مستذل قد قطع عنه الرغبة وبسط فيه الرهبة فلا خيره يرحى ولا شره يؤمن وحسبك مهانة من رجل مستذل عند اقلاله ويستعمل عند استقلاله فليس لثته في الاخاء حظ ولا في الوداد نصيب وهو ممن جعله المأمون من داء الاخوان لا من دوائهم ومن سمهم لا من غدائهم

وقال بعض الحكماء شر ما في الكريم ان يمنعك خيره وخير ما في اللئيم ان يكف عنك شره وقال ابن الرومي

\* عذرتنا الخلل في ابداء شوك \* يرد به الانامل عن جناه \*  
 \* فما للعوسج الملعون ابدأ \* لنا شوكا بلا ثمر نراه \*  
 واما من يعين ولا يستعين فهو كريم الطبع مشكور الصنع وقد حاز فضيلتي الابتداء  
 والاكتفاء فلا يرى ثقيلًا في نأبة ولا يتعد عن نهضة في معونة فهذا اشرف  
 الاخوان نفسا واکرمهم طبعًا فينبغي لمن اوجده ازمان مثله وقل ان يكون له  
 مثل لانه البر الكريم والدر اليتيم ان يبنى عليه خنصره وبعض عليه ناجده  
 ويكون به اشد ضنا منه بنفائس امواله وسنى ذخايره لان نفع الاخوان عام ونفع  
 المال خاص ومن كان اعم نفعًا فهو بالادخار احق وقال الفرزدق

\* يمضى اخوك فلا تلقى له خلفا \* والمال بعد ذهاب المال مكتسب \*  
 ﴿ وقال آخر ﴾

\* لكل شئ عدهته عوض \* وما لفقده الصديق من عوض \*  
 ثم لا ينبغي ان يزهد فيه نخلق او خلتين ينكرهما منه اذا رضى سائر اخلاقه  
 وحده اكثر شيمه لان اليسير مغفور والكمال معوز وقد قال الكندي كيف تريد  
 من صديقك خلقًا واحداً وهو ذو طبائع اربع مع ان نفس الانسان التي هي  
 اخص النفوس به ومدبرة باختياره وارادته لا تعطيه قيادها في كل ما يريد. ولا  
 تجيبه الى طاعته في كل ما يحب فكيف بنفس غيره وحسبك ان يكون لك  
 من اخيك اكثره وقد قال ابو الدرداء رضى الله عنه معاتبه الاخ خير من فقده  
 ومن لك باخيك كله فاخذ الشعراء هذا المعنى فقال ابو العتاهية

\* أأخى من لك من بنى الدنيا بكل اخيك من لك \*  
 \* فاستبق بعضك لا يملك كل من اعطيت كلك \*

﴿ وقال ابو تمام الطائي ﴾

\* ما غبن المغبون مثل عقله \* من لك يوما باخيك كله \*  
 وقال بعض الحكماء طلب الانصاف من قلة الانصاف وقال بعض البلغاء لا يزهدنك  
 في رجل حمدت سيرته وارتضيت وتيرته وعرفت فضله وبطنت عقله عيب يحيط

به كثرة فضائله او ذنب صغير تستغفر له قوة وسائله فانك لن تجد ما بقيت مهذباً  
لا يكون فيه عيب ولا يقع منه ذنب فاعتبر نفسك بعد ان لا تراها بعين الرضى  
ولا تجرى فيها على حكم الهوى فان فى اعتبارك واختيارك لها ما يؤيسك مما تطلب  
ويعطفك على من يذنب وقد قال الشاعر

\* ومن ذا الذى ترضى سبحانه كلها \* كفى المرء نبلا ان تعد معايبه \*

❀ وقال النابغة الذبياني ❀

\* ولست بمستبق احالا تلمه \* على شعث اى الرجل المهذب \*

وليس ينقض هذا القول ما وصفنا من اختياره واختيار الخصال الاربع فيه لان  
ما اعوز فيه معفو عنه وهذا لا يذنبى ان تو حشك فترة تجدها منه ولا ان  
تسى الظن فى كجوة تكون منه ما لم تتحقق تغيره و تيقن تنكره وليصرف ذلك  
الى فترات النفوس واستراحات الخواطر فان الانسان قد يتغير عن مراعاة نفسه  
التي هى اخص النفوس به ولا يكون ذلك من عداوة لها ولا ملل منها وقد قيل  
فى منشور الحكم لا يفسدك الظن على صديق قد اصلحك اليقين له وقال جعفر  
ابن محمد لابنه يا بنى من غضب من اخوانك ثلاث مرات فلم يقل فيك سوء فاتخذ  
لنفسك خلا وقال الحسن بن وهب من حقوق المودة اخذ عفو الاخوان  
والاغضاء عن تقصير ان كان وقد روى على رضى الله عنه فى قوله تعالى فاصفح  
الصفح الجميل قال الرضى بغير عتاب وقال ابن الرومى

\* هم الناس والدنيا ولا بد من قذى \* يلم بعين او يكدر مشربا \*

\* ومن قلة الانصاف انك تبغى المهذب فى الدنيا ولست المهذبا \*

❀ وقال بعض الشعراء ❀

\* تواصلنا على الايام باق \* ولكن هجرنا مطر الربيع \*

\* يروعك صوبه اكن تراه \* على علالته دانى النزوع \*

\* معاذ الله ان نلقى غضابا \* سوى ذل المطاع على المطيع \*

❀ وانشدنى الازدى ❀

\* لا يؤيسنك من صديق نبوة \* يذو الفتى وهو الجواد الخضرم \*

\* فاذا نبا فاستبقه وتأنه \* حتى تنى به وطبعك الكرم \*



واما الملول وهو السريع التغير الوشيك التنكر فوداده خطر واخاؤه غرر لانه لا يبقى على حالة ولا يخلو من استحالة وقد قال ابن الرومي

\* اذا انت عاتبت الملول فانما \* تخط على صحف من الماء احرفا \*  
 \* وهبه ارعوى بعد العتاب ألم تكن \* مودته طبعاً فصارت تكلفا \*  
 وهم نوعان منهم من يكون ملله استراحة ثم يعود الى المعهود من اخاه فهذا اسم المملين واقرب الرجلين يسامح في وقت استراحته وحين فترته ليرجع الى الحسنى ويؤوب الى الاخاء وان تقدم المثل بما نظمه الشاعر حيث قال

\* وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما \* عفت منه آثار وجفت مشارعه \*  
 \* فقلت الى ان يرجع الماء عائداً \* ويعشب شطاه تموت ضفادعه \*  
 لكن لا يطرح حقه بالتوهم ولا يسقط حرمة بالظنون وقال الشاعر

\* اذا ما حال عهد اخيك يوما \* وحاد عن الطريق المستقيم \*  
 \* فلا تجمل بلومك واستدمه \* فان اخا الحفاظ المستديم \*  
 \* فان تك زلة منه والا \* فلا تبعه عن الخلق الكريم \*

ومنهم من يكون ملله تركا واطراحا ولا يرجع اخا ولا ودا ولا يتذكر حفاظا ولا عهدا كما قال اشجع بن عمر السلمي

\* انى رأيت لها مواصلة \* كالسم تفرغه على الشهد \*  
 \* فاذا اخذت بعهد ذمتها \* لعب الصدود بذلك العهد \*

وهذا اذم الرجلين حالا لان مودته من وساوس الخطرات وعوارض الشهوات وليس الاستدراك الحال معه بالاقلاع قبل المخالطة وحسن المتاركة بعد الورطة

كما قال العباس بن الاحف

\* تداركت نفسى فعريتها \* وبغضتها فيك آمالها \*  
 \* وما طابت النفس عن سلوة \* ولكن حملت عليها لها \*  
 وما مثل من هذه حاله الا كما قد قال ابراهيم بن هرمة

\* فلك واطراحك وصل سلمى \* لآحرى في مودتها نكوب \*  
 \* ككثافة حللى مستعار \* لاذنيها فشانها الثوب \*  
 \* فأدت حللى جاريتها اليها \* وقد بقيت باذنيها ندوب \*

واذا وصفت له اخلاق من سببه وتهدت لديه احوال من خبره واقدم على اصطفاؤه اخا وعلى اتخاذه خدنا لزمته حينئذ حقوة، ووجبت عليه حرماة وقال عمر بن مسعده العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وقال بعض الحكماء من جاد لك بمودته فقد جعلك عديل نفسه فاول حقوقه اعتقاد مودته ثم ايناسه بالانبساط اليه في غير محرم ثم نكحه في السر والعلانية ثم تخفيف الاثقال عنه ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة او يناله من نكبة فان مراقبته في الظاهر نفاق وتركه في الشدة لؤم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير اصحابك المعين لك على دهرك وشرهم من سعى لك بسوق ( كذا في الاصل ) يوم وقيل يا رسول الله اى الاصحاب خير قال الذى اذا ذكرت اعانك وواساك وخير منه من اذا نسيت ذكرك وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه خير اخوانك من واساك وخير منه من كافاك وكان ابو هريرة رضى الله عنه يقول اللهم انى اعوذ بك ممن لا يلمس خالص مودتى الا بموافقة شهوتى وممن ساعدنى على سرور ساعتى ولا يفكر فى حوادث غدنى وقال بعض البلغاء عقود الغادر محلولة وعهوده مدخولة وقال بعض البلغاء ما ودك من اهل ودك ولا احبك من ابغض حبك وقال بعض الشعراء

\* وكل اخ عند الهويتنا ملاطف \* ولكلما الاخوان عند الشدائد \*

وقال صالح بن عبد القدوس شر الاخوان من كانت مودته مع الزمان اذا اقبل فاذا ادبر الزمان ادبر عنك فاخذ هذا المعنى الشاعر فقال

\* شر الاخلاء من كانت مودته \* مع الزمان اذا ما خاف او رغبا \*

\* اذا وترت امراء فاحذر عداوته \* من يزرع الشوك لا يحصد به عنبا \*

\* ان العدو وان ابدى مسالمة \* اذا رأى منك يوما فرصة وثبا \*

وينبغى ان يتوقى الافراط فى محبته فان الافراط داع الى التقصير ولان تكون الحال بينهما نامية اولى من ان تكون متناهية وقد روى ابن سيرين عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وبأبغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال عمر بن

الخطاب رضى الله عنه لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال ابو الاسود  
الدبلي

- \* وكن معدنا للخير واصفح عن الاذى \* فانك راء ما علمت وسامع \*
- \* وأحب اذا احببت حبا مقاربا \* فانك لا تدري متى انت نازع \*
- \* وأبغض اذا ابغضت غير مبيان \* فانك لا تدري متى انت راجع \*

❖ وقال عدى بن زيد ❖

- \* لا تأمن من بغض قرب داره \* ولا من محب ان يمل فيعدا \*

واما يلزم من حق الاخاء بذل المجهود في النصح والتأهي في رعاية ما بينهما من  
الحق فليس في ذلك افراط وان تناهى ولا مجاوزة حد وان كثر واوتى فنتسوى  
حالتهما في الغيب والمشهد ولان يكون مغيبهما افضل من مشهدهما اولى فان  
فضل المشهد على المغيب لؤم وفضل المغيب على المشهد كرم واستواؤهما حفاظ  
وقال بعض الشعراء

- \* على لاخواني رقيب من الصفا \* تبدي الليالى وهو ليس يبيد \*
- \* يذكرونهم في مغيبى ومشهدى \* فسيان منهم غائب وشهيد \*
- \* واني لاسمى اخي ان ابره \* قريبا وان اجفوه وهو بعيد \*

وهكذا يقصد التوسط في زيارته وغشيانه غير متبل ولا مكث فان تقليل الزيارة  
داعية الهجران وكثرتها سبب الملل وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لابي هريرة  
رضى الله عنه يا ابا هريرة زر غبا تزدد حبا وقال لبيد

- \* توقف عن زيارة كل يوم \* اذا اكثرت ملك من تزور \*

❖ وقال آخر ❖

- \* اقلل زيارتك الصديق ولا تطل \* هجرانه فيلج في هجرانه \*
- \* ان الصديق يلج في غشيانه \* لصديقه فيمل من غشيانه \*
- \* حتى تراه بعد طول سروره \* بمكاه متاقلا بمكاه \*
- \* واذا توانى عن صيانة نفسه \* رجل تنقص واستخف بشانه \*

وبحسب ذلك فليكن في عتابه فان كثرة العتاب سبب للقطيعة واطراح جميعه

دليل على قلة الاكتراث بامر الصديق وقد قيل علة المعادة قلة المبالاة بل تتوسط حالتا تركه وعتابه فيسامح بالتاركة ويستصلح بالمعابة فان المسامحة والاستصلاح اذا اجتمعا لم يلبث معهما نفور ولم يبق معهما وجد وقد قال بعض الحكماء لا تكثرن معابة اخوانك فيهنون عليهم سخطك وقال منصور النمرى

\* اقل عتاب من استربت بوده \* ليست تنال مودة بعتاب \*

﴿ وقال بشار بن برد ﴾

\* اذا كنت في كل الامور معاتبا \* صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه \*

\* وان انت لم تشرب مرارا على القذى \* ظمئت وائى الناس تصفو مشاربه \*

\* فعش واحدا او صل اخاك فانه \* مقارف ذنب مرة ومجانبه \*

ثم ان من حق الاخوان ان تغفر هفوتهم وتستر زلتهم لان من رام بريئا من

الهفوات سليما من الزلات رام امرامعوزا واقترح وصفا معجزا وقد قالت الحكماء

اى عالم لا يهفو وائى صارم لا ينبو وائى جواد لا يكبو وقالوا من حاول صديقا

يامن زلته ويدوم اغتباطه به كان كضال الطريق الذى لا يزداد لنفسه اتعابا الا

ازداد من غايته بعدا وقيل لخالد بن صفوان اى اخوانك احب اليك قال من

غفر زللى وقطع عللى وبلغنى املى وقال بعض الشعراء

\* ما كدت اخص عن اخى ثقة \* الا ندمت عواقب الفحص \*

﴿ وانشدت عن الربيع للشافعى رضى الله عنه ﴾

\* احب من الاخوان كل مواتى \* وكل غضيض الطرف عن عثراتى \*

\* يوافقنى فى كل امر اريده \* ويحفظنى حيا وبعد وفئى \*

\* فنزى بهذا ليت انى اصبته \* فقاسمته مالى من الحسنات \*

\* تصفحت اخوانى وكان اقلهم \* على كثرة الاخوان اهل ثقاتى \*

﴿ وانشد ثعلب ﴾

\* اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد \* بكفك فى ادياره متعلما \*

\* اذا انت لم تترك اخاك وزلة \* اذا زلها او شكمتا ان تفرقا \*

وحكى الاصمعى عن بعض الاعراب انه قال تناس مساوى الاخوان يدم لك ودهم

ووصى بعض الادباء اخاه فقال كن للود حافظا وان لم تجد محافظا وللخل واصلا  
وان لم تجد مواصلا وقال رجل من اباد ليريد بن المهلب  
\* اذا لم تجاوز عن اخ عند زلة \* فاست غدا عن عثرتي متجاوزا \*  
\* وكيف يرجيك البعيد لنفعه \* اذا كان عن مولاك خيرك عاجزا \*  
\* ظلمت احبا كلفته فوق وسعه \* وهل كانت الاخلاق الا غراثرا \*  
وقال ابو مسعود كاتب الرضى كئنا في مجلس الرضى فشكى رجل من اخيه  
فأنشد الرضى

\* اعذر اخاك على ذنوبه \* واستر وغط على عيوبه \*  
\* واصبر على بهت السفيه — ولزمان على خطوبه \*  
\* ودع الجواب تفضلا \* وكل الظلوم الى حسابه \*  
\* واعلم بان الحليم عند الغيظ احسن من ركوبه \*

وحكى عن بنت عبد الله بن مطيع انها قالت لزوجها طلحة بن عبد الرحمن بن  
عوف الزهرى وكان اجود قریش في زمانه ما رأيت قوما ألام من اخوانك قال  
مه ولم ذلك قالت اراهم اذا ايسرت لزموك واذا اعسرت تركوك قال هذا  
والله من كرمهم يأتوننا في حال القوة بنا عليهم ويتركوننا في حال الضعف بنا  
عنهم فانظر كيف تأول بكرمه هذا التأويل حتى جعل قبيح فعلهم حسنا وظاهر  
غدرهم وفاء وهذا محض الكرم ولباب الفضل وبمثل هذا يلزم ذوى الفضل ان  
يتأولوا الهفوات من اخوانهم وقد قال بعض الشعراء

\* اذا ما بدت من صاحب لك زلة \* فيكن انت محتملا لزلته عذرا \*  
\* احب الفتى ينق الفواحش سمعه \* كأن به عن كل فاحشة وقرا \*  
\* سليم دواعى الصبر لا باسط اذى \* ولا مانع خيرا ولا قائل هجرا \*

والداعى الى هذا التأويل شيان التغافل الحادث عن الفطنة والتألف الصادر  
عن الوفاء وقال بعض الحكماء وجدت اكثر امور الدنيا لا تجوز الا بالتغافل وقال  
أكثم بن صيفي من شدد نفر ومن تراخى تألف والشرف في التغافل وقال شبيب  
ابن شيبه الاديب العاقل هو الفطن المتغافل وقال الطائي

\* ليس الغبي بسيد في قومه \* لكن سيد قومه المتعابى \*

❖ وقال ابو العتاهية ❖

\* ان في صحبة الاخاء من النسا \* س وفي خلة الوفاء لقله \*  
 \* فالبس الناس ما استطعت على النقص والام تستقم لك خله \*  
 \* عش وحيدا ان كنت لا تقبل الغد \* روان كنت لا تجاوز زله \*  
 \* من اب واحد وام خلتنا \* غير انا في المال اولاد عله \*  
 ومما يتبع هذا الفصل تألف الاعداء بما يشبههم عن البغضاء ويعطفهم على المحبة  
 وذلك قد يكون بصنوف من البر ويختلف بسبب اختلاف الاحوال فان ذلك من  
 سمات الفضل وشروط السؤدد فانه ما احد يعدم عدوا ولا يفتمد حاسدا وبحسب  
 قدر النعمة تكثر الاعداء والحسدة كما قال البحترى  
 \* ولن تستبين الدهر موقع نعمة \* اذا انت لم تدلل عليها بحاسد \*  
 فان اغفل تألف الاعداء مع وفور النعمة وظهور الحسدة توالى عليه من مكر  
 حليمهم وبادرة سفيهم ما تصير به النعمة غراما والزعامة ملاما وروى ابن المسيب  
 عن ابي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رأس العقل  
 بعد الايمان بالله تعالى التودد الى الناس وقال سليمان بن داود عليهما السلام  
 لانه لا تستكثر ان يكون لك الف صديق فالالف قليل ولا تستقل ان يكون لك  
 عدو واحد فالواحد كثير فنظم ابن الرومي هذا المعنى فقال  
 \* فكثير من الاخوان ما اسطعت انهم \* بطون اذا استجدتهم وظهور \*  
 \* وليس كثيرا الف خل وصاحب \* وان عدوا واحدا لك كثير \*  
 وقيل لعبد الملك بن مروان ما افدت في ملكك هذا قال مودة الرجال وقال بعض  
 الحكماء من علامة الاقبال اصطناع الرجال وقال بعض البلغاء من استصلم عدوه  
 زاد في عيده ومن استفسد صديقه نقص من عده وقال بعض الابداء العجب  
 ممن يطرح عاقلا كافيا لما يضره من عداوته ويصطنع عاجزا جاهلا لما يظهره  
 من محبته وهو قادر على استصلاح من يعاديه بحسن صنائعه وايديه وانشد  
 عبد الله بن الزبير ثلاثة ابيات جامعة لكل ما قالتها العرب وهي للافوه واسمه  
 صلته بن عمرو حيث يقول

\* بلوت الناس قرنا بعد قرن \* فلم ار غير ختال وقالى \*

\* وذقت مرارة الاشياء جمعا \* فسا طعم امرّ من السؤال \*  
 \* ولم ار في الخطوب اشد هولا \* واععب من معاداة الرجال \*  
 \* وقال القاضي التوخي ﴿

\* القى العدو بوجهه لا قطوب به \* يكاد يقطر من ماء البشاشات \*  
 \* فاحزم الناس من يلقى اعاديه \* في جسم حقد وثوب من مودات \*  
 \* الرفق بين وخير القول اصدقه \* وكثرة المزح مفتاح العداوات \*  
 \* وانشدت عن الربيع للشافعي رضي الله عنه ﴿

\* لما عفوت ولم احقد على احد \* ارحت نفسي من هم العداوات \*  
 \* انى احبى عدوى عند رؤيته \* لادفع الشر عنى بالحيات \*  
 \* واطهر البشر للانسان ابغضه \* كأنما قد حشى قلبى محبات \*  
 \* الناس داء دواء الناس قريهم \* وفى اعترالهم قطع المودات \*

وليس وان كان بتألف الاعداء مأمورا والى مقاربتهم مندوبا ينبغى ان يكون لهم  
 رآكنا وبهم واثقابل يكون منهم على حذر ومن مكرهم على تحرز فان العداوة  
 اذا استحكمت فى الطباع صارت طبعا لا يستحيل وجبله لا تزول وانما يستكفى  
 بالتألف اظهارها ويستدفع به اضرارها كالنار يستدفع بالماء احراقها ويستفاد  
 به انضاجها وان كانت محرقة بطبع لا يزول وجوه لا يتغير وقال الشاعر

\* واذا عجزت عن العدو فداره \* وامزح له ان المزاح وفساق \*  
 \* فالنار بالماء الذى هو ضدها \* تعطى النضاج وطبعها الاحراق \*

﴿ فصل ﴾ واما البر وهو الحامس من اسباب الالفة فلائنه يوصل الى  
 القلوب الطافا ويثيها محبة وانعطافا ولذلك ندب الله تعالى الى التعاون به  
 وقرنه بالتقوى له فقال وتعاونوا على البر والتقوى لان فى التقوى رضى الله تعالى  
 وفى البر رضى الناس ومن جمع بين رضى الله تعالى ورضى الناس فقد تمت سعادته  
 وعت نعمته وروى الاعمش عن خثيمة عن ابن مسعود قال سمعت رسول الله  
 صلى الله عليه وسلم يقول جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من  
 اساء اليها وحكى ان الله تعالى اوحى الى داود على نبينا وعليه السلام ذكر

عبادى احسانى اليهم ليجبوتى فانهم لا يجبون الا من احسن اليهم وانشدنى  
ابوالحسن الهاشمى

\* الناس كلهم عيا \* ل الله تحت ظلاله \*  
\* فاحبهم ظرا اليه ابرهم لعياله \*  
والبر نوعان صلة ومعروف فاما الصلة فهى التبرع ببذل المال فى الجهات  
المحمودة لغير عوض مطلوب وهذا يبعث عليه سماحة النفس وسخاؤها  
ويمنع منه شحها وابطاؤها قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فاولئك هم المفلحون  
وروى محمد بن ابراهيم التيمى عن عروة بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم  
انه قال السخى قريب من الله عز وجل قريب من الجنة قريب من الناس بعيد من  
النار والبخيل بعيد من الله عز وجل بعيد من الجنة بعيد من الناس قريب من  
النار وقال صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم رفع الله عن ايك العذاب الشديد  
لسخائه وبلغه صلى الله عليه وسلم عن الزبير امسك بخذب عمامته اليه وقال  
يا زبير ان رسول الله اليك والى غيرك يقول انفق انفق عليك ولا تؤل فأول عليك  
وروى ابو الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من يوم غربت  
فيه شمس الا وملكان يناديان اللهم أعط منفقاً خلفاً وممسكاً تلفاً وانزل فى ذلك  
القرآن فاما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى واما من بخل  
واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى قال ابن عباس رضى الله عنهما يعنى  
من اعطى فيما امر واتقى فيما حظر وصدق بالحسنى يعنى بالخلف من عطاءه  
فعند هذا قال ابن عباس رضى الله عنهما لسادات الناس فى الدنيا الاسخياء وفى  
الآخرة الاتقياء وقيل فى مشور الحكماء الجود عن موجود وقيل فى المثل سؤدد  
بلا جود كهلاك بلا جنود وقال بعض الحكماء الجود حارس الاعراض وقال بعض  
الادباء من جاد ساد ومن اضعف ازداد وقال بعض الفصحاء جود الرجل يحببه  
الى اضداده وبخله يبغضه الى اولاده وقال بعض الفصحاء خير الاموال ما استرق  
حرا وخير الاعمال ما استحق شكرا وقال صالح بن عبد القدوس

\* ويظهر عيب المرء فى الناس ببخله \* ويستتره عنهم جميعا سخاؤه \*  
\* تغرط باثواب السخياء فاننى \* ارى كل عيب فالسخياء غطاؤه \*



وحد السخاء بذل ما يحتاج اليه عند الحاجة وان يوصل الى مستحقه بقدر الطاقة  
وتدبير ذلك مستصعب ولعل بعض من يجب ان ينسب الى الكرم يذكر حد  
السخاء ويجعل تقدير العطية فيه نوعا من البخل وان الجود بذل الموجود وهذا  
تكلف يفضي الى الجهل بحدود الفضائل ولو كان الجود بذل الموجود لما كان  
للسرف موضعا ولا للتبذير موقعا وقد ورد الكتاب بدمهما وجاءت السنة بالتهمة  
عنهما واذا كان السخاء محمودا فن وقف على حده سمى كريما وكان للمحمد  
مستحقا ومن قصر عنه كان بخيلا وكان للذم مستوجبا وقد قال الله تعالى  
ولا تحسبن الذين يخفون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم  
سيطوفون ما يخفون به يوم القيامة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
اقسم الله تعالى بعزته لا يجاوره بخيل وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال طعام  
الجواد دواء وطعام البخيل داء وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا يقول  
الشحيح اعذر من الظالم فقال لعن الله الشحيح ولعن الظالم وقال بعض الحكماء  
البخل جلباب المسكنة وقال بعض الادباء البخيل ليس له خليل وقال بعض البلغاء  
البخيل حارس نعمته وخازن ورثته وقال بعض الشعراء

- \* اذا كنت جاعا مالكا ممسكا \* فانت عليه خازن وامين \*
- \* تؤديه مذموما الى غير حامد \* فيأكله عفوا وانت دفين \*
- وتظاهر بعض ذوى النباهة بحب الثناء مع امسك فيه فقال بعض الشعراء
- \* اراك تؤمل حسن الثناء \* ولم يرزق الله ذلك البخيلا \*
- \* وكيف يسود اخو بطنة \* بين كثيرا ويعطى قليلا \*
- وقد بينا حب الثناء وحب المال لان الثناء يبعث على البذل وحب المال يمنع منه  
فان ظهرا كان حب الثناء كاذبا وقد قال بعض الشعراء
- \* جمعت امرين ضاع الحزم بينهما \* تيه المملوك واخلاق الممالك \*
- \* اردت شكرا بلا بر ولا صلة \* لقد سلكت طريقا غير مسلوكة \*
- \* ظننت عرضك لم يقرع بقارعة \* وما اراك على حال بمتروك \*
- \* لئن سبقت الى مال حظيت به \* فاسبقت الى شئ سوى النوك \*
- وقد يحدث عن البخل من الاخلاق المذمومة وان كان ذريعة الى كل مذمة اربعة

اخلاق ناهيك بها ذما وهي الحرص والشره وسوء الظن ومنع الحقوق ه فانا  
الحرص فهو شدة الكدح والاسراف في الطلب واما الشره فهو  
استقلال الكفاية والاستكثار لغير حاجة وهذا فرق ما بين الحرص والشره وقد  
روى العلاء بن جرير عن ابيه عن سالم بن مسروق قال قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم من لا يجزيه من العيش ما يكفيه لم يجد ما عاش ما يغنيه وقال بعض الحكماء  
الشره من غرائز اللؤم واما سوء الظن فهو عدم الثقة بمن هو لها اهل فان  
كان بالحال كان شكاً يؤول الى ضلال وان كان بالخلق كان استخانة يصير  
بها مخمنا وخوانا لان ظن الانسان بغيره بحسب ما يراه من نفسه فان وجد فيها  
خيرا ظنه في غيره وان رأى فيها سوءا اعتقده في الناس وقد قيل في المثل كل  
ماء ينضح بما فيه فان قيل قد تقدم من قول الحكماء ان الحرص سوء الظن  
قيل تأويله قلة الاسترسال اليهم لا اعتقاد السوء فيهم واما منع الحقوق فان  
نفس البخيل لا تسمع بفراق محبوبها ولا تنادى الى ترك مطلوبها فلا تدع لحق  
ولا تجيب الى انصاف واذا آل البخيل الى ما وصفنا من هذه الاخلاق المذمومة  
والشيم الثميمة لم يبق معه خير مرجو ولا صلاح مأمول وقد روى عن النبي  
صلى الله عليه وسلم انه قال للانصار من سيدكم قالوا الحر بن قيس على بخل  
فيه فقال صلى الله عليه وسلم وائى داء ادوا من البخل قالوا وكيف ذلك  
يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم ان قوما نزلوا بساحل البحر فذكرهوا البخلهم  
نزول الاضياف بهم فقالوا ايبعد الرجال منا عن النساء حتى يعتذر الرجال الى  
الاضياف يبعد النساء وتعتذر النساء يبعد الرجال ففعلوا وطال ذلك بهم  
فاشتغل الرجال بالرجال والنساء بالنساء واما السرف والتبذير فان من زاد على  
حد السخاء فهو مسرف وهبذر وهو بالذم جدير وقد قال الله تعالى ولا تسرفوا  
انه لا يحب المسرفين وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما عال من  
اقتصد وقد قال المؤمن رحمه الله لا خير في السرف ولا سرف في الخير وقال  
بعض الحكماء صديق الرجل قصده وسرفه عدوه وقال بعض البلغاء لا كثير  
مع اسراف ولا قليل مع احتراف واعلم ان السرف والتبذير قد يفترق معناهما  
فالسرف هو الجهل بمقادير الحقوق والتبذير هو الجهل بمواقع الحقوق وكلاهما

مذموم وذم التبذير اعظم لان السرف يخطى في الزيادة والمبذر يخطى في الجهل  
ومن جهل مواقع الحقوق ومقاديرها بماله واخطأها فهو كمن جهلها بفعاله فتعداها  
وكا انه بتبذيره قد يضع الشيء في غير موضعه فهكذا قد يعدل به عن موضعه لان  
المال اقل من ان يوضع في كل موضع من حق وغير حق وقد قال معاوية رضى  
الله عنه كل سرف فبازائه حق مضيع وقال بعض الحكماء الخطأ في اعطاء ما  
لا ينبغي ومنع ما ينبغي واحد وقال سفيان الثوري رضى الله عنه الحلال لا يحتمل  
السرف وليس يتم السخاء ببذل ما في يده حتى تسخو نفسه عما بيد غيره فلا يميل  
الى دلب ولا يكف عن بذل وقد حكى ان الله تعالى اوحى الى ابراهيم الخليل  
على نبينا وعليه السلام أندرى لما اتخذت خيلا قال لا يارب قال لاني رأيتك  
تحب ان تعطى ولا تحب ان تأخذ وروى سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه  
قال اتى رجل اى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله مرني بعمل يحبني  
الله عليه ويحبني الناس فقال ازهد في الدنيا يحبك الله وازهد فيما في ايدى  
الناس يحبك الناس وقال ايوب السخيتاني لا يبدل الرجل حتى يكون فيه خصلتان  
العفة عن اموال الناس والتجاوز عنهم وقيل لسفيان ما الزهد في الدنيا قال  
الزهد في الناس وكتب كسرى الى ابنه هرمز يا بني استقل الكثير مما تعطى  
واستكثر القليل مما تأخذ فان قررة عيون الكرام في الاعطاء وسرور اللئام في  
الاخذ ولا تعد الشحيح امينا ولا الكذاب حرافته لا عفة مع الشحيح ولا مروءة مع  
الكذب وقال بعض الحكماء السخاء سخاء ان اشرفهما سخاؤك عما بيد غيرك  
وقال بعض البلغاء السخاء ان تكون بمالك متبرعا وعن مال غيرك متورعا وقال بعض  
الصلحاء الجود غاية الزهد والزهد غاية الجود وقال بعض الشعراء

\* اذا لم تكن نفس الشريف شريفة \* وان كان ذا قدر فلايس له شرف \*  
والبذل على وجهين احدهما ما ابتدأ به الانسان من غير سؤال والثاني ما كان عن  
طلب وسؤال فاما المبتدئ به فهو اطبعهما سخاء و اشرفهما عطاء وسئل علي  
كرم الله وجهه عن السخاء فقال ما كان منه ابتداء فاما ما كان عن مسألة فخياء  
وقال بعض الحكماء اجل النوال ما وصل قبل السؤال وقال بعض الشعراء

\* وفتي خلا من ماله \* ومن المروءة غير خالي \*

\* اعطاك قبل سؤاله \* وكفالك مكروه السؤال \*  
 وهذا النوع من البذل قد يكون لتسعة اسباب ❁ فالسبب الاول ❁ ان يرى  
 خلة يقدر على سدها وفاقه يتمكن من ازالته فلا يدعه الكرم والدين الا ان  
 يكون زعيم صلاحها وكفيل نجاحها رغبة في الاجر ان تدين وفي الشكر ان  
 تكرم وقال ابو العتاهية

\* ما الناس الا آله معتملة \* للخير والشر جميعا فعله \*  
 ❁ والسبب الثاني ❁ ان يرى في ماله فضلا عن حاجته وفي يده زيادة عن  
 كفايته فيرى انتهاز الفرصة بها فيضعها حيث تكون له ذخرا معدا وغنما  
 مستجدا وقد قال الحسن البصري رحمه الله ما انصفك من كلفك اجلاله ومنعك  
 ماله وقيل لهند بنت الحسن من اعظم الناس في عينك قالت من كان لي اليه  
 حاجة وقال الشاعر

\* وما صناع مال ورث الحمد اهله \* ولكن اموال البخيل تضيع \*  
 ❁ والسبب الثالث ❁ ان يكون لتعريض يتبته عليه لفظته واشارة يستدل  
 عليها بكرمه فلا يدعه الكرم ان يغفل ولا الحياء ان يكف وقد حكى ان رجلا  
 سائر بعض الولاة فقال ما اهزل برذوك فقال يده مع ايدينا فوصله اكتفاء بهذا  
 التعريض الذي بلغ ما لا يبلغه صريح السؤال ولذلك قال اكثم بن صيفي السخاء  
 حسن الفطنة واللؤم سوء التغافل وحكى ان عبيد الله بن سليمان لما تقلد وزارة  
 المعتضد كتب اليه عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

\* ابي دهرنا اسعافنا في نفوسنا \* واسعفنا فيمن نحب ونكرم \*  
 \* فقلت له نعماك فيهم اتمها \* ودع امرنا ان المهم مقدم \*  
 فقال عبيد الله ما احسن ما اشكا امره بين اضعاف مدحه وقضى حاجته وقال  
 بعض الشعراء

\* ومن لا يرى من نفسه مذكرا لها \* رأى طلب المستجدين ثقيلًا \*  
 ❁ والسبب الرابع ❁ ان يكون ذلك رعاية ليد او جزاء على صنعة فيرى  
 تأدية الحق عليه طوعا اما انفة واما شكرا ليكون من اسر الامتنان طليقا ومن

رق الاحسان وعبوديته عتيقا قال بعض الحكماء الاحسان رق والمكافأة عتق  
وقال ابو العتاهية رحمه الله تعالى

\* وليست اياذى الناس عندى غنيمية \* ورب يد عندى اشد من الاسر \*  
❖ والسبب الخامس ❖ ان يؤثر الاذنان بتقديمه والاقرار بتعظيمه توطيدا  
لرئاسة هو لها محب وعلى طلبها مكب وقد قال الشاعر

\* حب الرئاسة داء لا دواء له \* وقل ما تجمد الراضين بالقسم \*  
فتستصعب عليه اجابة النفوس له طوعا بالا بالاستعطاف واذعانها له الا بالرغبة  
والاسعاف وقد قال بعض الادباء بالاحسان يرتبط الانسان وقال بعض البلغاء  
من بذل ماله ادرك آماله وقال بعض الشعراء

\* أترجو ان تسود بلا عناء \* وكيف يسود ذو الدعة البخيل \*  
❖ والسبب السادس ❖ ان يدفع به سطوة اعدائه ويستكف به نفار خصمائه  
لصبروا له بعد الخصومة اعوانا وبعد العداوة اخوانا اما لصيانة عرض واما  
لحراسة مجد وقد قال ابو تمام الطائي

\* ولم يجتمع شرق وغرب لقاصد \* ولا المجد في كف امرئ والدراهم \*  
\* ولم ارك المعروف تدعى حقوقه \* مغارم في الاقوام وهى مغائم \*  
وقال بعض الادباء من عظمت مرافقه اعظمه مرافقه ❖ والسبب السابع ❖ ان  
يرب به سالف صنيعه اولاهها ويراعى به قديم نعمته اسداها كيلا ينسى ما اولاه  
او يضاع ما اسداه فان مقطوع البر ضائع ومهمل الاحسان ضال وقد قال  
الشاعر

\* وسمت امرءا بالبر ثم اطرحته \* ومن افضل الاشياء رب الصنائع \*  
❖ وقال محمد بن داود الاصبهاني ❖

\* بدأت بنعمى اوجبت لى حرمة \* عليك فعدم بالفضل فالعود احد \*  
❖ والسبب الثامن ❖ المحبة يؤثر بها المحبوب على ماله فلا يرضن عليه بمرغوب  
ولا يتنفس عليه بمطلوب للذة التى هى عند، احظى والى نفسه اشهى لان  
النفس الى محبوبها اشوق والى ما يليه اسبق وقد قال الشاعر

\* فا زرتكم عمدا ولكن ذا الهوى \* الى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل \*

وهذا وان دخل في اقسام العطاء فخرج عن حد السخاء وهكذا الخامس  
والسادس من هذه الاسباب وانما ذكرنا للدخولها تحت اقسام العطاء ❖ والسبب  
التاسع ❖ وليس بسبب ان يفعل ذلك لغير ما سبب وانما هي سحبة قد فطر  
عليها وشية قد طبع بها فلا يميز بين مستحق ومحروم ولا يفرق بين محمود ومذموم  
كما قال بشار

\* ليس يعطيك للرجاء ولا للخوف لكن يلدطعم العطاء \*  
وقد اختلف الناس في مثل هذا هل يكون منسوباً الى السخاء فيحمد او خارجاً  
عنه فيذم وقال قوم هذا هو السخى طبعاً والحواد كرماء وهو احق من كان به  
مدوحاً واليه منسوباً وقال ابو تمام

\* من غير ما سبب يذني كفى سبياً \* للحر ان يجتدي حراً بلا سبب \*  
وقال الحسن بن سهل اذا لم اعط الامستحقاً فكأنى اعطيت غريباً وقال السرف  
في السرف فقبل له لا خير في السرف فقال ولا سرف في الخير وقال الفضل بن  
سهل العجب لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه وقال بشار

\* وما الناس الا صاحبك فنتهم \* سخى ومغلول اليمين من الخجل \*  
\* فساح يدا ما امكنتك فانها \* تقل وتثرى والعواذل في شغل \*  
وقال آخرون هذا خارج من السخاء المحمود الى السرف والتبذير المذموم لان  
العطاء اذا كان لغير سبب كان المنع لغير سبب لان المال يقل عن الحقوق  
ويقتصر عن الواجبات فاذا اعطى غير المستحق فتمنع مستحقاً وما يناله من  
الذم بمنع المستحق اكثر مما يناله من الحمد لاعطاء غير المستحق وحسبك ذماً بمن  
كانت افعاله تصدر عن غير تمير وتوجد لغير علة وقد قال الله تعالى ولا تجعل  
يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً فنهى عن  
بسطها سرفاً كما نهى عن قبضها بخلافه على استواء الامرين ذماً وعلى  
اتفاقهما لوماً وقال الشاعر

\* وكان المال يأتينا فكنا \* نبذره وليس لنا عقول \*  
\* فلما ان تولى المال عنا \* عقلنا حين ليس لنا فضول \*  
قالوا ولان العطاء والمنع اذا كانا لغير علة افضيا الى ذم الممنوع وقلة شكر

المعطي اما الممنوع فلائنه قد فضل عليه من سواه واما المعطي فانه وجد ذلك اتفاقا وربما امل بالاتفاق اضعا فصار ذلك مفضيا الى اجتلاب النذم واحباط الشكر وليس فيما انفى الى واحد منهما خير يرجى وهو جدير ان يكون شرا يتقى ولئلا هذا كان منع الجميع ارضاء للجميع وعطاء يكون المنع ارضى منه خسران مبين فاما اذا كان البذل والعطاء عن سؤال فشرطه معتبرة من وجهين احدهما في السائل والثاني في المسئول فاما ما كان معتبرا في السائل فثلاثة شروط ﴿ فالشرط الاول ﴾ ان يكون السؤال لسبب والطلب لموجب فان كان لضرورة ارتفع عنه الحرج وستط عنه اللوم وقد قال بعض الحكماء الضرورة توقع الصورة وقال بعض الشعراء

\* الأقيح الله الضرورة انهما \* تكلف اعلى الخلق ادنى الخلائق \*  
 \* والله در الاتساع فانه \* بين فضل السبق من غير سابق \*  
 ﴿ وقال الكمي ﴾

\* اذالم تكن الا الاسنة مركبا \* فلا رأى للمضطر الا ركوبها \*  
 فان ارتفعت الضرورة ودعت الحاجة فيما هو اولى الامر ان يكون وان جاز ان لا يكون فالنفس المسامحة تغلب الحاجة وتسمع في الطلب وتراعى ما استقام به الامر وان ناله ذل ولحقه وهن فيأول صاحبها قول البحترى  
 \* وربما كان مكروه الامور الى \* محبوبها سببا ما مثله سبب \*

والنفس الشريفة تطلب الصيانة وتراعى الزاهة وتحمل من الضر ما احتملت ومن الشدة ما طاقت فيبقى تحملها ويدوم تصونها فتكون كما قال الشاعر  
 \* وقد يكتسى المرء خذ الشيا \* ب ومن دونها حالة مضنيه \*  
 \* كما يكتسى خده حرة \* وعلته ورم في الريه \*  
 فلا يرى ان يتدنس بمطالب الشؤم ومطامع الأؤم فان البهائم الوحشية تأبى ذلك وتأنف منه قال الشاعر

\* وليس الليث من جوع بغاد \* على جيف تحليف بها الكلاب \*  
 فكيف بالانسان الغاضل الذي هو اكرم الحيوان جنسا واشرفه نفسا هل يحسن

به ان يرى لوحش البهائم عليه فضلا وقد قال الشاعر

\* على كل حال يأكل المرء زاده \* على البؤس والضرء والحدثان \*  
والفضل في مثل ما قيل لبعض الزهاد لو سألت جارك اعطاك فقال والله ما اسأل  
الدنيا ممن يملكها فكيف ممن لا يملكها ووصف بعض الشعراء قوما فقال  
\* اذا افتقروا اغضوا على الضر خشية

\* وان ايسروا عادوا سراعا الى الفقر  
فاما يسأل من غير ضرورة مست ولا حاجة دعت فذلك صريح اللؤم ومحض  
الدناءة وقلما تجده مثله لمحوظا او ممولا محظوظا لان الحرمان قاده الى اضيق  
الارزاق واللؤم ساقه الى اخبث المطاعم فلم يبق لوجهه ماء الا اراقه ولا ذل  
الا ذاقه كما قال عبد الصمد بن المعدل لابي تمام الطائي

\* انت بين اثنتين تبرز لنا \* س وكلتاها بوجه مزال  
\* لست تنفك طالبا لوصول \* من حبيب او طالبا لنوال  
\* اى ماء لحر وجهك يبقى \* بين ذل الهوى وذل السؤال  
ولو استبج العار وانف من الذل لوجد غير السؤال مكتسبا يونه ولقدر على ما  
يصونه وقد قال الشاعر

\* لا تطلبن معيشة بتذل \* فليأتينك رزقك المقذور  
\* واعلم بانك آخذ كل الذى \* لك فى الكتاب مقدر مسطور  
❖ والشروط الثانية ❖ من شروط السؤال ان يضيق الزمان عن ارجائه  
ويقتصر الوقت عن ابطائه فلا يجده لنفسه فى التأخير فسحة ولا فى التماهى مهلة  
فيصير من المعذورين وداخلا فى عداد المضطرين فاما اذا كان الوقت متسعا  
وازمان ممتدا فتعجيل السؤال لؤم وقنوط وقال الشاعر

\* ابنى لى اغضاء الجفون على القذى \* يقينى ان لا عسر الا مفرج  
\* الا ربما ضاق الفضاء باهله \* وامكن من بين الاسنة مخرج

❖ والشروط الثالثة ❖ اختيار المسئول ان يكون مرجو الاجابة مأمول  
النجاح اما حرمة السائل او كرم المسئول فان سأل لثيما لا يرعى حرمة ولا يولى  
مكرمة فهو فى اختياره ملوم وفى سؤاله محروم وقد قال بعض البلاء



المخذول من كانت له الى اللئام حاجة وقد قال بعض البلغاء اذل من اللئيم سائله  
واقبل من البخيل نائله وقال بعض الشعراء

- \* من كان يؤمل ان يرى \* من ساقط نيلا سنيا \*  
\* فلتد رجي ان يجتنى \* من عوسج رطبا جنيا \*  
واما الشروط المعتبرة في المسئول فثلاثة ❖ الشرط الاول ❖ ان يكتبني  
بالتعريض ولا يلجئ الى السؤال الصريح ليصون السائل عن ذل الطلب فان  
الحال ناطقة والتعريض كاف وقد قال الشاعر
- \* اقول وستر الدجى مسبل \* كما قال حين شكى الضفدع \*  
\* كلامي ان قلته ضائع \* وفي الصمت حتى فما اصنع \*  
وربما فهم المسئول الاشارة فالجأ الى التصريح بالعبارة تهجينا للسائل فينجل  
ويستحي فيكيف كما قال ابو تمام

- \* من كان مفعود الحياء فوجهه \* من غير بواب له بواب \*  
❖ والشرط الثاني ❖ ان يلقى بالبشر والترحيب ويقابل بالطلاقة والتقريب  
ليكون مشكورا ان اعطى ومعدورا ان منع وقد قال بعض الحكماء الق صاحب  
الحاجة بالبشر فان عدمت شكره لم تعدم عذره وقال ابن لنكك ان ابا بكر  
ابن دريد قصد بعض الوزراء في حاجة فلم يقضها له وظهر له منه ضمير فقال  
\* لا تدخنك ضجرة من سائل \* فلخير دهرك ان ترى مسؤولا \*  
\* لا تجبهن بارد وجه مؤمل \* فبقاء عزك ان ترى مأمولا \*  
\* تلقى الكريم فتستدل ببشره \* وترى العبوس على اللئيم دليلا \*  
\* واعلم بانك عن قليل صائر \* خيرا فكن خيرا يروق جيلا \*  
❖ والشرط الثالث ❖ تصديق الامل وتحقيق الظن به ثم اعتبار حاله وحال  
سائله فانها لا تخلو من اربع احوال فالحال الاولى ان يكون السائل مستوجبا  
والمسئول متمكنا فالاجابة ههنا تستحق كرما وتستلزم مروءة وليس للرد سبيل الا  
لمن استولى عليه البخيل وهان عليه الذم فيكون كما قال عبد الرحمن بن حسان
- \* اني رأيت من المكارم حسبكم \* ان تلبسوا خز الشياح وتشبعوا \*  
\* فذات ذكرت المكارم مرة \* في مجلس انتم به فتنعوا \*

فعود بالله ممن حرم ثروة ماله ومنع حسن حاله ان يكون مستودعا في صنيع  
مشكور وبر مذخور وقد قيل للخيل لما حبست مالك قال للنواب فقيل له قد  
نزلت بك وقال بعض الشعراء

\* مالك من مالك الا الذي \* قدمت فابذل طائعا مالكا \*

\* تقول اعمالى ولو فقتشوا \* رأيت اعمالك اعمى لك \*

وقد اسقط حق نفسه ورفع اسباب شكره فصار بان لا حق له مذموما كشكور  
وماثوما كما جور وقال ابو العتاهية

\* خزن البخيل على صالحه \* اذ لم يثقل به ظهري \*

\* ما فاتني خير امرئ وضعت \* عنى يداه مؤنة الشكر \*

فاذا لم يكن للرد في مثل هذه الحال سبيل نظر فان كان التأخير مضرا مجل بذله  
وقطع مطله وكانت اجابته فعلا وقوله عملا وقد قالت الحكماء من مروءة  
المطلوب منه ان لا يلجئ الى الحاح عليه وقال محمد بن حازم

\* ومنتظر سؤالك بالعطايا \* واشرفى من عطايه السؤال \*

\* اذالم يأتك المعروف طوعا \* فدعه فالتززه عنه مال \*

وان كان في الوقت مهلة وفي التأخير فسحة فقد اختلفت مذاهب الفضلاء فيه  
فذهب بعضهم الى ان الاولى تعجيل الوعد قولاً ثم يعقبه الانجاز فعلا ليكون  
السائل مسرورا بتعجيل الوعد ثم بأجل الانجاز ويكون المسئول موصوفا بالكرم  
لمحوظا بالوفاء وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال العدة عطية وقال  
الفضل بن سهل لرجل سأله حاجة اعدك اليوم واحبوك غدا بالانجاز لتذوق  
حلاوة الامل واتزين بثبوت الوفاء ووعد يحيى بن خالد رجلا بحاجة سأله ايها  
فقيل له تعد وانت قادر فقال ان الحاجة اذالم يتقدمها وعد ينتظر صاحبه يحبمه  
لم يجد سرورها لان الوعد طعم والانجاز طعام وليس من فاجأه الطعام كن يجد  
ريحه ويضعمه فدع الحاجة تختمر بالوعد ليكون لها طعم عند المصطنع اليه  
وقال بعض البلغاء اذا احسنت القول فاحسن الفعل ليجمع لك ثمرة اللسان وثمره  
الاحسان ولا تقل ما لا تفعل فالك لا تخلمو في ذلك من ذنب تكسبه او يحجز

تلتزمه ومنهم من ذهب الى ان تجيل البذل فعلا من غير وعد اولى وتقديمه  
من غير توقيت ولا انتظار اخرى وانما يقدم الوعد احد رجلين اما معوز  
يُنظر وجهه واما شحيح يروض نفسه توطئة وليس للوعد في غير هاتين  
الحالتين وجه يصح ولا رأى يتضح مع ما يغيره الليل والنهار وتقلب به الحال  
من يسار واعسار وقال بعض الشعراء

\* يا ايها الملك المقدّم امره شرقاً وغرباً \*  
\* امنن بنختم صحيفتي \* مادام هذا الطين رطبا \*  
\* واعلم بان جفافه \* مما يعيد السهل صعبا \*  
قالوا ولان في الرجوع عنه من الانكسار وفي توقع الوعد من مرارة الانتظار  
وفي العود اليه من بذلة الاقتضاء وذلة الاجتداء ما يكدر به ويوهن شكره  
وقال الشاعر

\* ان الحوائج ربما ازرى بها \* عند الذي تقضى له تطويلها \*  
\* فاذا ضمنت لصاحب لك حاجة \* فاعلم بان تمامها تجليلها \*  
❖ والحال الثانية ❖ ان يكون السائل غير مستوجب والمسئول غير متمكن ففي  
الرد فسحة وفي المنع عذر غير انه يلين عند الرد لينا يقيه الذم ويظهر عذرا  
يدفع عنه اللوم فليس كل مقل يعرف ولا معذور ينصف وقد قال ابو العتاهية  
يصف الناس

\* يارب ان الناس لا ينصفونني \* فكيف وان انصفتهم ظلموني \*  
\* فان كان لى شئ تصدوا لآخذه \* وان جئت ابغى شأهم منعوني \*  
\* وان نالهم بذلى فلا شكر عندهم \* وان انا لم ابذل لهم شتموني \*  
\* وان طرقتني نكبة فكهوا بها \* وان صحبتي نعمة حسدوني \*  
\* سامع قلبي ان يحسن اليهم \* وانغض عنهم ناظري وجفوني \*  
\* واقطع ايامي بيوم سهولة \* اقضى بها عمري ويوم حزون \*  
\* ألا ان اصنئ العيش ما طاب غبه \* وما نلته في لذة وسكون \*

❖ والحال الثالثة ❖ ان يكون السائل مستوجبا والمسئول غير متمكن فيأتى بالجميل  
على النفس ما امكن من يسير يسد به خلة او يدفع به مذمة او يوضح من اعدار

المعوزين وتوجع المتألمين ما يجعله في المنع معذورا وبالتوجع مشكورا وقد قال  
ابو النصر العتبي رحمه الله تعالى

\* الله يعلم انى لست ذا بخل \* ولست ملتصبا في البخل لى عللا \*  
\* لكن طساقه مثلى غير خافية \* والنمل يعذر فى القدر الذى جملا \*  
وربما تحسّر بحدوث العجز بعد تقدم القدرة على فوت الصنعة وزوال العادة  
حتى صار اضنى جسدا وازيد كندا كما قال الشاعر

\* وكنت كباز السوء قص جناحه \* يرى حسرات كلبا طار طائر \*  
\* يرى طائرات الجو تخفق حوله \* فيذكر اذ ريش الجناحين وافر \*  
\* والحال الرابعة ❖ ان يكون السائل غير مستوجب والمسئول متمكنا وعلى

البذل قادرا فينظر فان خاف بالرد قدح عرض او قبح هجاء ممض كان  
البذل مندوبا صيانة لاجودا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
ما وقى به المرء عرضه فهو له صدقة وان امن من ذلك وسلم منه فمن الناس من  
غلب المسألة وامر بالبذل لئلا يقابل الرجاء بالخيبة والامل بالاياس ثم لما فيه من  
اعتیاد الرد واستسهال المنع المفضى الى الشح وانشد الاصمعي عن الكسائي

\* كأنك فى الكتاب وجدت لاء \* محرمة عليك فلا تحل \*  
\* فما تدرى اذا اعطيت مالا \* أيكتر من سماحك ام يقل \*  
\* اذا حضر الشتاء فانت شمس \* وان حضر المصيف فانت ظل \*

ومن الناس من اعتبر الاسباب وغلب حال السائل وندب الى المنع اذا كان  
العطاء فى غير حق ليقوى على الحقوق اذا عرضت ولا يعجز عنها اذا لزم  
وتعينت وقد قال بعض الشعراء

\* لا تجد بالعطاء فى غير حق \* ليس فى منع غير ذى الحق بخل \*  
\* انما الجود ان تجود على من \* هو للجود والنسدى منك اهل \*

فاما من اجاب السؤال ووعد بالبذل والنوال فقد صار بوعده مرهونا وصار  
وقاؤه بالوعد مقرونا فلا اعتبار بحق السائل بعد الوعد ولا سبيل الى مراجعة  
نفسه فى الرد فيستوجب مع ذم المنع لؤم البخل ومقت القادر وهجنة الكذب  
ثم لا سبيل لمطله بعد الوعد لما فى المطل من تكدير الصنيع وتمحيق الشكر

والعرب تقول في امثالها المطل احد المعين واليأس احد النجحين وقال بشار  
ابن برد

\* اظلمت علينا منك يوما غمامة \* اضاءت لنا برقًا وابطار شاشها \*  
\* فلا غمها يجلي فيأبس طامع \* ولا غيشها يأتي فيروى عطاشها \*  
ثم اذا انجز وعده واوفى عهده لم يتبع نفسه ما اعطى ويسر ان كانت يده  
العليا فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليد العليا خير من اليد السفلى وقال

الشاعر

\* فأنك لا تدري اذا جاء سائل \* أنت بما تعطيه ام هو اسعد \*  
\* عسى سائل ذو حاجة ان منعه \* من اليوم سؤال ان يكون له غد \*

ولیکن من سروره اذ كانت الارزاق مقدره ان تكون على يده جارية ومن جهته  
واصله لا تنقل عنه بمنع ولا تتحول عنه بياس وحكى ان رجلا شكَا كثرة عياله  
الى بعض الزهاد فقال انظر من كان منهم ليس رزقه على الله عز وجل فحوله  
الى منزلى وقال ابن سيرين نرجل كان يأتيه على دابة ففقد الدابة ما فعل برذونك  
قال اشهدت على مؤنته فبعته قال أفتراه خلف رزقه عندك وقال ابن الرومي  
رحمه الله

\* ان لله غير مرعك مرعى \* يرتعيه وغير مالك ماء \*  
\* ان لله بالبرية لطفًا \* سبق الامهات والاباء \*  
ثم ليكن غالب عطائه لله تعالى واكثر قصده ابتغاء ما عند الله عز وجل كالذى  
حكاه ابو بكره عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان اعرابيا اتاه فقال

\* يا عمر الخير جزيت الجنة \* اكس بنياتي وامهنة \*  
\* وكن لنا من الزمان جنه \* اقسام بالله لتفعلنه \*

فقال عمر رضى الله عنه فان لم افعل يكون ماذا فقال

\* اذا ابا حفص لاهبته \*

فقال فاذا ذهبت يكون ماذا فقال

\* يكون عن حال لتسألنه \* يوم تكون الاعطيات ثنه \*

\* وموقف المسئول بينهنه \* اما الى نار واما جنه \*

فبكى عمر رضى الله عنه حتى اخضلت لحيتـه ثم قال يا غلام اعطه قيصى هذا  
لذلك اليوم لا لشعره اما والله لا املك غيره واذا كان العطاء على هذا الوجه خلا  
من طلب جزاء وشكر وعرى عن امتنان ونشر فكان ذلك اشرف للباذل واهناً  
للقابل واما المعطى اذا التمس بعطائه الجزاء وطلب به الشكر والثناء فهو خارج  
بعطائه عن حكم السخاء لانه ان طلب به الشكر والثناء كان صاحب سمعة ورياء  
وفى هذين من الذم ما ينافى السخاء وان طلب به الجزاء كان تاجراً مترجماً لا يستحق  
حدا ولا مدحا وقد قال ابن عباس رضى الله عنهما فى تأويل قوله تعالى ولا تمنن  
تستكثر انه لا يعطى عطية يلتمس بها افضل منها وكان الحسن البصرى رضى  
الله عنه يقول فى تأويل ذلك لا تمنن بعملك تستكثر على ربك وقال ابو العتاهية

\* وليست يد اوليتها بغنيمة \* اذا كنت ترجو ان تعد لها شكرا \*

\* غنى المرء ما يكفيه من سد حاجة \* فان زاد شيئاً عاد ذلك الغنى فقرا \*

واعلم ان الكرم يجتدى بالكرامة والالطف واللئيم يجتدى بالمهانة والعنف  
فلا يجوز الا خوفاً ولا يجيب الا عنفاً كما قد قال الشاعر

\* رأيتك مثل الجوز يمنع ابيه \* صخباً ويعطى خيره حين يكسر \*

فاحذر ان تكون المهانة طريقاً الى اجتهائك والخوف سبيلاً الى اعطائك فيجربى  
عليك سفه الطعام وامتهان اللثام وليكن جودك كراماً ورغبة لا أوماً ورهبة كيلا  
يكون مع الوصمة كما قال العباس بن الاحنف

\* صرت كأنى ذبالة نصبت \* تضى للناس وهى تترق \*

واما النوع الثانى من البر فهو المعروف ويتنوع ايضا نوعين قولاً وعملاً فاما  
القول فهو طيب الكلام وحسن البشر والتودد بحميل القول وهذا يعد  
عليه حسن الخلق ورقة الطبع ويجب ان يكون محدوداً كالسخاء فانه ان اسرف  
فيه كان ملتما مذموماً وان توسط واقتصد فيه كان معروفاً وبرا محموداً وقد قال  
ابن عباس رضى الله عنهما فى تأويل قوله تعالى والباقيات الصالحات خير عند ربك  
ثواباً وخيراً املاً انهما الكلام الطيب وكان سعيد بن جبير يتأول انها الصلوات  
الخمس وروى سعيد عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال انكم

ان تسعوا الناس باموالكم فليسعهم منكم بسط الوجوه وحسن الخلق و روى  
 ان النبي صلى الله عليه وسلم انشد عنده قول الاعرابي هذا  
 \* وحى ذوى الاذنان تسب قلوبهم \* تحيتك الحسنى فقد يرقع النعل \*  
 \* فان دحسوا بالمر فاعفوتك \* وان حبسوا عنك الحديث فلا تسل \*  
 \* فان الذى يؤذيك منه سماعه \* وان الذى قالوا ورائك لم يقل \*  
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر حكمة وان من البيان لسحرا وقيل  
 للعتابي انك تلقي العامة ببشر وتقريب قال دفع صنيعه بايسر مؤنة واكتساب  
 اخوان بايسر مبدول وقيل فى مشور الحكم من قل حياؤه قل احباؤه وقال بعض  
 الشعراء

\* بنى ان البر شئ هين \* وجه طليق وكلام لين  
 \* وقال بعضهم ❀

\* المرء لا يعرف مقداره \* ما لم تبين للناس افعاله  
 \* وكل من ينعنى بشره \* فتسل ما ينفعنى ماله

واما العمل فهو بذل الجاه والاسعاد بالنفس والمعونة فى النايبة وهذا يعث عليه  
 حب الخير للناس واشار الصلاح لهم وليس فى هذه الامور سرف ولا لغايتها  
 حد بخلاف النوع الاول لانها وان كثرت فهى افعال خير تعود بنفعين نفع على  
 فاعلمها فى اكتساب الاجر وجميل الذكر ونفع على المعان بها فى التخفيف عنه  
 والمساعدة له وقد روى محمد بن المنكدر عن جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال  
 كل معروف صدقة وقال النبي صلى الله عليه وسلم صنائع المعروف تقي مصارع  
 السوء وعنه عليه الصلاة والسلام انه قال المعروف كاسمه واول من يدخل الجنة  
 يوم القيامة المعروف واهله وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه لا يزهديك  
 فى المعروف كفر من كفره فقد يشكر الشاكر باضعاف جمود الكافر وقال الخطيب  
 \* من يفعل الخير لا يعدم جوائزه \* لا يذهب العرف بين الله والناس

❀ وانشد الرياشي ❀

\* يد المعروف غنم حيث كانت \* تحمّلها كفور ام شكور  
 \* ففى شكر الشكور لها جزاء \* وعند الله ما كفر الكفور

فينبغي لمن يقدر على ابتداء المعروف ان يجعله حذر فواته ويبادر به خيفة عجزه  
وليعلم انه من فرص زمانه وغنائم امكانه ولا يهمله ثقة بقدرته عليه فكم  
وائق بقدره فأت فاعقبت ندما وموعول على مكنة زالت فاورثت خجلا وقد قال  
الشاعر

\* ما زلت اسمع كم من وائق خجل \* حتى ابتليت فكنت الواثق الخجلا \*  
ولو فطن لنوائب دهره وتحفظ من عواقب مكره لكانت مغامره مذخورة  
ومغامره مخبورة فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لكل شئ  
ثمرة وثمره المعروف تعجيل السراح وقيل لانوشروان ما اعظم المصائب عندكم  
فقال ان تقدر على المعروف ولا تصطنعه حتى يفوت وقال عبد الحميد من اخر  
الفرصة عن وقتها فليكن على ثقة من فوتها وقال بعض الشعراء

\* اذا هبت رياحك فاغتمها \* فان لكل خافقة سكون \*  
\* ولا تغفل عن الاحسان فيها \* فما تدرى السكون متى يكون \*  
\* وان درت نياقك فاحتلبها \* فما تدرى الفصيل لمن يكون \*  
وروى ان بعض وزراء بني العباس مطل راغبا اليه في عمل يستكفيه اياه فكتب  
اليه بعد طول المطل به

\* أما يدعوك طول الصبر مني \* على استئناف منفعتي وشغلي \*  
\* وعلمك ان ذا اللسطان غاد \* على خطرين من موت وعزل \*  
\* وانك ان تركت قضاء حتى \* الى وقت التفرغ والتخلي \*  
\* ستصبح نادما اسفا معزى \* على فوت الصنيعة عند مثلي \*

وكتب بعض ذى الحرمت الى وال قد قصر في رعاية حرمة يقول  
\* أعلى الصراط تريد رعية حرمتي \* ام في الحساب تمن بالانعام \*  
\* للنفيع في الدنيا اردتك فانته \* لحوائجى من رقدة النوم \*  
وكتب ابو على البصير الى بعض الوزراء وقد اعتذر اليه بكثرة الاشغال يقول  
\* لنا كل يوم نوبة قد نوبها \* وليس لنا رزق ولا عندنا فضل \*  
\* فان تعتذر بالشغل عنا فلما \* تناط بك الآمال ما اتصل الشغل \*  
واعلم ان للمعروف شروطا لا يتم الا بها ولا يكمل الا معها فن ذلك ستره عن



اذا عمة يستطيل لها واخفاؤه عن اشاعة يستدل بها قال بعض الحكماء اذا  
اصطنعت المعروف فاستره واذا صنع اليك فانشره ولقد قال دعبل الخزاعي  
\* اذا انقموا اعلوا امرهم \* وان انعموا انعموا باكتسام \*  
\* يقوم القعود اذا اقبلوا \* وتقعده هيتهم بالقياس \*  
على ان ستر المعروف من اقوى اسباب ظهوره وابلغ دواعى نشره لما جبت  
عليه النفوس من اظهار ما خفي وعلان ما كتم وقال سهل بن هارون  
\* خل اذا جئته يوما لتسأله \* اعطاك ما ملكت كفاه واعتذرا \*  
\* يخفى صنائعه والله يظهرها \* ان الجميل اذا اخفيتها ظهرا \*  
ومن شروط المعروف تصغيره عن ان يراه مستكبرا وتقليله عن ان يكون مستكثرا  
لئلا يصير به مدلا بطرا ومستطيلا اشرا وقال العباس بن عبد المطلب رضى الله  
عنه لا يتم المعروف الا بثلاث خصال تجمله وتصغيره وستره فاذا مجلته هنأته واذا  
صغرت عظمته واذا سترته اتمته وقال بعض الشعراء

\* زادك المعروف عندي عظما \* انه عندك ميسور حقير \*  
\* وتناسيت كأن لم تأته \* وهو عند الناس مشهور خطير \*  
ومن شروط المعروف مجانبه الامتان به وترك الاججاب بفعله لما فيهما من اسقاط  
الشكر واحباط الاجر فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم  
والامتان بالمعروف فانه يبطل الشكر ويحقق الاجر ثم تلا ولا تبطلوا صدقاتكم  
بالمن والاذى وسمع ابن سيرين رجلا يقول لرجل فعلت اليك وفعلت فقال ابن  
سيرين اسكت فلا خير في المعروف اذا احصى وقال بعض الحكماء المن مفسدة  
الصنيعة وقال بعض الادباء كدر معروفا امتنان وضع حسب امتهان  
وقال بعض البلغاء من من بمعروفه اسقط شكره ومن اعجب بعمله احبط  
اجره وقال بعض الفصحاء قوة المن من ضعف المن وقال بعض الشعراء

\* افسدت بالمن ما اسديت من حسن \* ليس الكريم اذا اسدى بمنان \*  
❖ وقال ابو نواس ❖  
\* فامض لا تمنن على يدا \* منك المعروف من كدره \*  
❖ وانشدت عن الربيع للشافعي رضى الله عنه ❖

- \* لا تحملان لمن يمين من الانام عليك منه \*  
 \* واختر لنفسك حظها \* واصبر فان الصبر جنه \*  
 \* ممن الرجال على التلو \* ب اشد من وقع الاسنه \*

ومن شروط المعروف ان لا يحتقر منه شيئا وان كان قليلا نورا اذا كان الكثير معوزا وكنيت عنه عاجزا فان من حقر يسيره ينفع منه عجزه كثيرا فامتنع عنه وفعل قليل الخير افضل من تركه فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يمنعكم من المعروف صغيره وقال عبد الله بن جعفر لا تستحي من القليل فان المنع اقل منه ولا تجبن عن الكثير فالك اكثر منه وقال الشاعر

- \* اعمل الخير ما استطعت وان كا \* ن قليلا فلن تحيط بكفه \*  
 \* ومتى تفعل الكثير من الخير اذا كنت تاركا لا قوله \*  
 على ان من المعروف ما لا كلفة على موليه ولا مشقة على مسديه وانما هو جاه يستظل به الادنى ويرتفق به التابع وقال الشاعر

- \* ظل الفتى ينفع من دونه \* وما له في ظله حظ \*  
 واعلم انك لن تستطيع ان يسع جميع الناس معروفك ولا ان توليهم احسانك فاعتمد بذلك اهل الفضل منهم والحفاظ واقصد به ذوى الرعاية والوداد ليكون معروفك فيهم ناميا وصنيعك عندهم زاكيا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنفع الصنعة الا عند ذى حسب ودين وقال النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد الله بعبد خيرا جعل صنائعه في اهل الحفاظ وقال حسان ابن ثابت رضى الله عنه

- \* ان الصنعة لا تكون صنعة \* حتى يصاب بها طريق المصنع \*  
 \* فاذا صنعت صنعة فاعمل بها \* لله او لذوى القرابة او دع \*  
 وقيل في مشور الحكم لا خير في معروف الى غير عروف وقد ضرب الشاعر به مثلا فقال  
 \* كحمار السوء ان اشبعته \* رمح الناس وان جاع نهق \*

وقال بعض الحكماء على قدر المغارس يكون اجتناء الغارس فاخذ بعض الشعراء فقال

\* لعمرك ما المعروف في غير اهله \* وفي اهله الاك بعض الودائع \*  
 \* فستودع ضاع الذي كان عنده \* ومستودع ما عنده غير ضائع \*  
 \* وما الناس في شكر الصنعة عندهم \* وفي كفرها الاك بعض المزارع \*  
 \* فزرعة طابت واضعف نبتها \* ومزرعة اكدت على كل زارع \*  
 واما من اسدى اليه المعروف واصطنع اليه الاحسان فقد صار باسر المعروف موثوقا وفي ملك الاحسان مرقوقا ولزمه ان كان من اهل المكافأة ان يكافئ عليها وان لم يكن من اهلها ان يقابل المعروف بنشره ويقابل الفاعل بشكره فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اودع معروفا فليشره فان نشره فقد شكره وان كتمه فقد كفره وروى الزهري عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اتمثل بهذين البيتين

\* ارفع ضعيفك لا يخونك ضعفه \* يوما فتدركه العواقب قد نما \*  
 \* يجزيك او يثني عليك وان من \* اثني عليك بما فعلت فقد جزى \*  
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم ردى علي قول اليهودي قاتله الله لقد اتاني جبرائيل برسالة من ربي تعالي ايمارجل صنع الى اخيه صنعة فلم يجد لها جزاء الا الداء والشاء فقد كافاه وقيل في منشور الحكمم الشكر قيد النعم وقال عبد الحميد من لم يشكر الانعام فاعده من الانعام وقيل في منشور الحكمم قيمة كل نعمة شكرها وقال بعض الحكماء كفر النعم من امارات البطر واسباب الفسور وقال بعض الفضلاء الكريم شكور او مشكور والليمم كفور او مكفور وقال بعض البلغاء لا زوال للنعمة مع الشكر ولا بقاء لها مع الكفر وقال بعض الادياء

\* شكر الاله بطول الشاء \* وشكر الولاة بصدق الولاة \*  
 \* وشكر النظير بحسن الجزاء \* وشكرك الدون بحسن العطاء \*

❖ وقال بعض الشعراء ❖

\* فلو كان يستغنى عن الشكر ماجد \* لعة ملك او علو مكان \*  
 \* لما امر الله العباد بشكره \* فقال اشكروا الى ايها الثقلان \*  
 فان من شكر معروف من احسن اليه ونشر افضال من انعم عليه فقد  
 ادى حق النعمة وقضى موجب الصنيعة ولم يبق عليه الا استدامة ذلك اتاما  
 لشكره ليكون للمزيد مستحقا ولمتابعة الاحسان مستوجبا حتى ان الحجاج اتى اليه  
 بقوم من الخوارج وكان فيهم صديق له فامر بقتلهم الا ذلك الصديق فانه عفا  
 عنه واطلقه ووصله فرجع الرجل الى قطرى بن الفجاءة فقال له عد الى قتال  
 عدو الله فقال هيهات غل يدا مطاعتها واسترق رقبة معتقها وانشأ يقول

\* أقاتل الحجاج في سلطانه \* بيد تقرب باذهام ولاته \*  
 \* انى اذا لاخو الدناة والذى \* شهدت باقبح فعله غدراته \*  
 \* ما اذا اقول اذا وقفت ازاءه \* فى الصف واخبت له فعلاته \*  
 \* أقول جار على لا انى اذا \* لا حق من جارت عليه ولاته \*  
 \* وتحدث الاقوام ان صنائعا \* غرست لى فحفظت نخلاته \*

وقيل فى مشور الحكم المعروف رق والمكافأة عتق ومن اشكر الناس الذى يقول  
 \* لا شكرنك معروفا هممت به \* ان اهتمامك بالمعروف معروف \*  
 \* ولا الومك ان لم يمضه قدر \* فالشئ بالقدر المحتوم مصروف \*

وهذا النوع من الشكر الذى يتعجل المعروف ويتقدم البر قد يكون على وجوه  
 فيكون تارة من حسن الثقة بالشكور فى وصول بره واسداء عرفه ولا رأى  
 لمن يحسن به ظن شاكر ان يخلف حسن ظنه فيه فيكون كما قال العتابي  
 \* قد ادوقت فيك آمالى بوعدك لى \* وليس فى ورق الآمال لى ثمر \*

وقد يكون تارة من فرط شكر الراجى وحسن مكافأة الآمل فلا يرضى لنفسه الا  
 بتعجيل الحق واسلاف الشكر وليس لمن صادف لمعروفه معدنا زاكيا ومغرسا ناميا  
 ان يفوت نفسه غنما ولا يجرمها ربحا فهذا وجه ثان وقد يكون تارة ارتهاانا  
 للمأمول وحباً للمسئول وبحسب ما اسلف من الشكر يكون الذم عند اليااس وقال

بعض الادباء من حكماء المتقدمين من شكرك على معروف لم تسده اليه فعاجله بالبر  
والانعكس فصار ذما وقال ابن الرومي

\* وما الحمد الا توأم الشكر في الفتى \* وبعض السجايا ينسب الى بعض \*  
\* فحيث ترى حقدا على ذى اساءة \* فثم ترى شكرا على حسن القرض \*  
\* اذا الارض ادت ربع ما انت زراع \* من البذر فيها فهى ناهيك من ارض \*  
واما من ستر معروف المنعم ولم يشكره على ما اولاه من نعمه فقد كفر النعمة  
وجحد الصنيعة وان من اذم الخلائق واسوأ الطرائق ما يستوجب به قبح الرد  
وسوء النعم فقد روى ابو هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
قال لا يشكر الله من لا يشكر الناس وقال بعض الادباء من لم يشكر لمنعمه استحق  
قطع النعمة وقال بعض الفصحاء من كفر نعمة المفيد استوجب حرمان المزيد وقال  
بعض البلغاء من انكر الصنيعة استوجب قبح القطيعة وانشدنى بعض الادباء  
ما ذكر انه لعلى بن ابي طالب كرم الله وجهه

\* من جاوز النعمة بالشكر لم \* يخش على النعمة مغتالها \*  
\* لو شكروا النعمة زادتهم \* مقالة الله التى قالها \*  
\* لئن شكرتم لأزيدنكم \* لكنما كفرهم غالها \*  
\* والكفر بالنعمة يدعو الى \* زوالها والشكر ابقى لها \*

وهذا آخر ما يتعلق بالقاعدة الثانية من اسباب الالفة الجامعة فاما القاعدة  
الثالثة فهى المادة الكافية لان حاجة الانسان لازمة لا يعرى منها بشر قال الله تعالى  
وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين فاذا عدم المادة التى  
هى قوام نفسه لم تدم له حياة ولم تستقم له دنيا واذا تعذر شئ منها عليه  
لحقه من الوهن فى نفسه والاختلال فى دنياه بقدر ما تعذر من المادة عليه لان  
الشئ القائم بغيره يكمل بكماله ويختل باختلاله ثم لما كانت المواد مطلوبة لحاجة  
الكافة اليها اعوزت بغير طلب وهدمت لغير سبب واسباب المودة مختلفة  
وجهات المكاسب منشعبة ليكون اختلاف اسبابها علة الأتلاف بها وتشعب  
جهاتها توسعة لطلابها كيلا يجتمعوا على سبب واحد فلا يلتئمون ويشتركوا  
فى جهة واحدة فلا يكتبون ثم هداهم اليها بعقولهم وارشدهم اليها بطباعهم

حتى لا يتكلفوا اتلافهم في المعاش المختلفة فيعجزوا ولا يعاونوا بتقدير موادهم  
 بالمكاسب المتشعبة فيتحلوا بحكمة منه سبحانه وتعالى اطلع بها على عواقب الادور  
 وقد انبأ الله تعالى في كتابه العزيز اخبارا واذكارا فقال سبحانه وتعالى قال  
 ربنا الذي اعطى كل شئ خلقه ثم هدى اختلف المفسرون في تأويل ذلك فقال  
 قتادة اعطى كل شئ ما يصلحه ثم هده وقال مجاهد اعطى كل شئ صورته ثم  
 هده لمعيشته وقال ابن عباس رضى الله عنهما اعطى كل شئ زوجة ثم هده  
 لنكاحها وقال تعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا يعنى معاشهم متى يزعمون ومتى  
 يفرسون وهم عن الآخرة هم غافلون وقال تعالى وقدر فيها اقواتها في اربعة  
 ايام سواء للسائلين قال عكرمة قدر في كل بلدة منها ما لم يجعله في الاخرى ليعيش  
 بعضهم من بعض بالتجارة من بلد الى بلد وقال الحسن البصرى وعبد الرحمن  
 ابن زيد قدر ارزاق اهلها سواء للسائلين الزيادة في ارزاقهم ثم ان الله تعالى  
 جعل لهم مع ما هداهم اليه من مكاسبهم وارشدهم اليه من معاشهم دينا  
 يكون حكما وشرعا يكون قوما ليصلوا الى موادهم بتقديره ويطلبوا  
 اسباب مكاسبهم بتدبيره حتى لا ينفردوا بازادتهم فيتغالبروا وتستولى عليهم  
 اهواءهم فيتقاطعوا قال الله تعالى ولو اتبع الحق اهواءهم لفسدت السموات  
 والارض قال المفسرون الحق في هذا الموضع هو الله جل جلاله فلاجل ذلك  
 لم يجعل المواد مطلوبة بالاهاام حتى جعل العقل هاديا اليها والدين قاضيا  
 عليها لتم السعادة وتم المصلحة ثم انه جلت قدرته جعل سد حاجتهم  
 وتوصلهم الى منافعهم من وجهين بمادة وكسب فاما المادة فهي حادثة عن اقتناء  
 اصول نامية بذواتها وهي شيان نبت نام وحيوان متناسل قال الله تعالى وانه  
 هو اغنى واقنى قال ابو صالح اغنى خلقه بالمال واقنى جعل لهم قنية وهي  
 اصول الاموال واما المكسب فيكون بالافعال الموصلة الى المادة والتصرف  
 المؤدى الى الحاجة وذلك من وجهين احدهما تقلب في تجارة والثاني تصرف  
 في صناعة وهذان هما فرع لوجهي المادة فصارت اسباب المواد المألوفة وجهات  
 المكاسب المعروفة من اربعة اوجه، نماء زراعة ونتاج حيوان وربح تجارة  
 وكسب صناعة وحكى الحسن بن رجاء مثل ذلك عن المأمون قال سمعته يقول

معايش الناس على اربعة اقسام زراعة وصناعة وتجارة وامارة فمن خرج عنها كان كلا عليها واذا قد تقررت اسباب المواد بما ذكرنا، فسنصف حال كل واحد منها بقول موجز اما الاول من اسبابها وهي ﴿ الزراعة ﴾ فهي مادة اهل الحضر وسكان الامصار والمدن والاستمداد بها اعم نفعا واوفى فرعا ولذلك ضرب الله تعالى به المثل فقال مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير المال عين ساهرة لعين نائمة وقال صلى الله عليه وسلم نعمت لكم النخلة تشرب من عين خراة وتعرس في ارض خوارة وقال صلى الله عليه وسلم في النخل هي الراسخات في الوحل المطعمات في المحل وقال بعض السلف خير المال عين خراة في ارض خوارة تسهر اذا نمت وتشهد اذا غبت وتكون عتبا اذا مت وروى هشام بن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم التمسوا الرزق في خبايا الارض يعنى الزرع وحكى عن المعتضد انه قال رأيت على بن ابي طالب رضى الله عنه في المنام يناولني المسحاة وقال خذها فانها مفاتيح خزائن الارض وقال كسرى للمويد ما قيمة تاجي هذا فاطرق ساعة ثم قال ما اعرف له قيمة الا ان تكون مطرة في نيسان فانها تصلح من معايش الرعية ما تكون قيمته مثل تاج الملك ولقي عبد الله بن عبد الملك بن شهاب الزهرى فقال له اى لاني على مال اعلمه فنشأ ابن شهاب يقول

\* تتبع خبايا الارض وادع مليكها \* لعلك يوما ان يجاب فترزقا \*  
 \* فيؤتيك مالا واسعا \* اذا ما مياه الارض غارت تدفقا \*

وقد اختلف الناس في تفضيل الزرع والشجر بما ليس يتسع كتابنا هذا لبسط القول فيه غير ان من فضل الزرع فلترب مداه ووفور جداه ومن فضل الشجر فلتبوت اصله وتوالي ثمره واما الثاني من اسبابها وهو ﴿ نتاج الحيوان ﴾ فهو مادة اهل الطلوات وسكان الخيام لانهم لما لم تستقر بهم دار ولم تضمهم امصار افتقروا الى الاموال المنتملة معهم وما لا ينقطع ثماؤه بالظعن والرحلة فاقنوا الحيوان لانه يستقل في النقلة بنفسه ويستغنى عن العلوقة برعيه ثم هو مركوب

ومحلوب فكان اقتناؤه على اهل الخيام ايسر لقلة مونه وتسهيل الكلفة به وكانت جدواه عليهم اكثر لو فور نسله واقتيات رساله الهاما من الله لخلاؤه في تعديل المصالح فيهم وارشاد العباد في قسم المنافع بينهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير المال مهرة مأمورة وسكة مأبورة ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم مهرة مأمورة اي كثيرة النسل ومنه تأول الحسن وقتادة قوله تعالى امرنا مترفيها ايكثرنا عددهم واما السكة المأبورة فهي النخل المؤبرة الجمل وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال في الغنم سميتها معاش وصوفها ريش وروى عن ابي ظبيان انه قال قال لي عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما مالك يا ابا ظبيان قال قلت عطائي الفان قال اتخذ من هذا الحرث والسائبات قبل ان تليك غلثة من قريش لا تعد العطاء معهم مالا والسائبات النتاج وحكي ان امرأة اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله اني اتخذت غنما ابتغي نسلها ورسلمها وانها لا تنمي فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ما ألوانها قالت سود فقال عفرى وهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم في مناقح الادميين اغربوا ولا تضووا واما الثالث من اسبابها وهي ﴿ التجارة ﴾ فهي فرع لمادتي الزرع والنتاج فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تسعة اعشار الرزق في التجارة والحرث والباقي في السائبات وهي نوعان تقلب في الحضر من غير نقلة ولا سفر وهذا تربص واختصار وقد رغب عنه ذووا الاقتدار وزهد فيه ذووا الاخطار والثاني تقلب بالمال بالاسفار ونقله الى الامصار فهذا أليق باهل الروءة واعم جدوى ومنفعة غيره انه اكثر خطرا واعظم غررا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان المسافر وماله لعلى تلف الا ما وفق الله يعني على خطرو في التوراة يا ابن آدم احدث سفرا احدث لك رزقا واما الرابع من اسبابها وهو ﴿ الصناعة ﴾ فقد يتعلق بما مضى من الاسباب الثلاثة وتنقسم اقساما ثلاثة صناعة فـ كـ ر وصناعة عمل وصناعة مشتركة بين فكر وعمل لان الناس آلات للصناعات واشرفهم نفسا متهى لا شرفها جنسا كما ان اردلهم نفسا متهى لا رذلها جنسا لان الطبع يبعث على ما يلائمه ويدعو الى ما يجانسه وحكي ان الاسكندر لما اراد الخروج



الى اقاصى الارض قال لارسطاطاليس اخرج معى قال قد نحل جسمى وضعت  
 عن الحركة فلا ترعبنى قال فما اصنع فى عمالى خاصة قال انظر الى من كان له  
 عبيد فأحسن سياستهم فوله الجنود ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله  
 الخراج فبنا باعتبار الطباع على ما اغناه عن كلفة التجربة واشرف الصناعات  
 صناعة الفكر وهى مدبرة وارذلها صناعة العمل لان العمل نتيجة الفكر وتدبيره  
 فاما صناعة الفكر فقد تنقسم قسمين ❖ احدهما ❖ ما وقف على التدبيرات  
 الصادرة عن نتائج الآراء الصحيحة كسياسة الناس وتدير البلاد وقد  
 افردنا للسياسة كتابا لخصنا فيه من جملها ما ليس يحتمل هذا الكتاب  
 زيادة عليها ❖ والثانى ❖ ما ادت الى المعلومات الحادثة عن الافكار  
 النظرية وقد مضى فى فضل العلم من كتابنا هذا باب اغنى ما فيه عن زيادة  
 قول فيه واما صناعة العمل فقد تنقسم قسمين عمل صناعى وعمل بهيمى فالعمل  
 الصناعى اعلاها رتبة لانه يحتاج الى معاطاة فى تعلمه ومعاناة فى تصوره فصار  
 بهذه النسبة من المعلومات الفكرية والآخر انما هو صناعة كد وآلة مهنة وهى  
 الصناعة التى تقتصر عليها النفوس الرذلة وتقف عليها الطباع الخاسمة كما قال  
 اكرم به صيفى لكل ساقطة لاقطة وكما قال الملمس

\* ولا يقيم على ضيم يسام به \* الا الاذلان غير الحى والوتد \*  
 \* هذا على الحسف مربوط برمته \* وذا يشح فلا يرثى له احد \*  
 واما الصناعة المشتركة بين الفكر والعمل فقد تنقسم قسمين احدهما ان تكون  
 صناعة الفكر اغلب والعمل تبعا كالكتابة والثانى ان تكون صناعة العمل اغلب  
 والفكر تبعا كالبناء واعلاهما رتبة ما كانت صناعة الفكر اغلب عليها والعمل  
 تبعا لها فهذه احوال الخلق التى ركبهم الله عز وجل عليها فى ارتياد موادهم  
 ووكلمهم الى نظرهم فى طلب مكاسبهم وفرق بين هممهم فى التماسهم ليكون ذلك  
 سببا لاقتنهم فسبحان من تفرد فينا بلطف حكمته واطهر فطننا بعزائم قدرته  
 واذ قد وضع القول فى اسباب المواد وجهات الكسب فليس يخلو حال الانسان  
 فيها من ثلاثة امور ❖ احدها ❖ ان يطلب منها قدر كفايته ويلتمس وفق  
 حاجته من غير ان يتعدى الى زيادة عليها او يقتصر على نقصان منها فهذه اجد

احوال الطالبين واعدل مراتب المقتصدين وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اوحى الله تعالى الى كلمات فدخلن في اذني ووقرن في قلبي من اعطى فضل ماله فهو خير له ومن امسك فهو شر له ولا يلم الله على كفاف وروى حميد عن معاوية بن جندة قال قلت يا رسول الله ما يكفيني من الدنيا قال ما يسد جوعتك ويستر عورتك فان كان ذلك فذاك وان كان حرام فبئس بئح فلق من خبز وجزء من ماء وانت مسئول عما فوق الازار وقد روى عن ابن عباس ومجاهد في قوله تعالى اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا ان كل من ملك بيتا وزوجة وخانما فهو ملك وروى زيد بن اسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان له بيت وخادم فهو ملك وهو في المعنى صحيح لانه بازوجة والخادم مطاع في امره وفي الدار محبوب الا عن اذنه وليس على من طلب الكفاية ولم يجاوز تبعات الزيادة الا توخى الحلال منه واجمال الطلب فيه ومجانبة الشبهة الممازجة له وقد روى نافع عن ابن عمر رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين فدع ما يربك الى ما لا يربك فلن تجد فقد شيء تركته لله وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الزهد فقيل اما انه ليس باضاعة المال ولا تحريم الحلال ولكن ان تكون بما يد الله اوثق منك بما في يدك وان يكون ثواب المصيبة ارجح عندك من بقائها وحكي عبد الله بن المبارك قال كتب عمر بن عبد العزيز الى الجراح بن عبد الله الحكمي ان استطعت ان تدع مما احل الله لك ما يكون حاجزا بينك وبين الحرام فافعل فانه من استوعب الحلال تاققت نفسه الى الحرام وقد اختلف اهل الأويل في قوله تعالى فان له معيشة ضنكا فقال عكرمة يعني كسبا حراما وقال ابن عباس هو انفاق من لا يوقن بالخلف وقال يحيى بن معاذ الدرهم عقرب فان احسنت رقيتها والا فلا تأخذها وقيل من قل توقية كثرت مساويه وقال بعض البلغاء خير الاموال ما اخذته من الحلال وصرفته في النوال وشر الاموال ما اخذته من الحرام وصرفته في الآثام وكان الاوزاعي الفقيه كثيرا ما يتمثل بهذه الايات

\* المال ينفد حله وحرامه \* يوما ويبقى بعد ذلك اناؤه \*

- \* ليس التقي بمقتى لالهه \* حتى يطيب شرابه وطعامه \*  
 \* ويطيب مايجنى ويكسب اهله \* ويطيب من لفظ الحديث كلامه \*  
 \* نطق النبي لنا به عن ربه \* فعلى النبي صلاته وسلامه \*

وحكى عن ابن المعتمر السلمي قال الناس ثلاثة اصناف اغنياء وفقراء واوساء  
 فالفقراء موتى الامن اغناه الله بعز القناعة والاغنياء سكارى الامن عصمه  
 الله تعالى بتوقع الغير وانكثر الخير مع اكثر الاوساط واكثر الشر مع  
 اكثر الفقراء والاغنياء لسخف الفقر وبطر الغنى \* والامر الثاني \*  
 ان يقصر عن طلب كفايته ويزهد في التماس مادته وهذا التقصير قد يكون على  
 ثلاثة اوجه فيكون تارة كسلا وتارة توكلا وتارة زهدا وتقنعانا فان كان تقصيره  
 لكسل فقد حرم روة النشاط ومرح الاغتباط فلن يعدم ان يكون كلا قصيا  
 او ضائعا شقيا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كاد الحسد ان  
 يغلب القدر وكاد الفقر ان يكون كفرا وقال بزرجهر ان كان شئ فوق الحياة  
 فالصحة وان كان شئ مثلها فالغنى وان كان شئ فوق الموت فالمرض وان كان  
 شئ مثله فالفقر وقيل في مشور الحكمم القبر خير من الفقر ووجد في نيل مصر  
 مكتوب على حجر

- \* عقب الصبر نجاح وغنى \* ورداء الفقر من نسج الكسل \*  
 \* وقال بعض الشعراء \*

\* اعوذ بك اللهم من بطر الغنى \* ومن نهكة البلوى ومن ذلة الفقر \*  
 \* ومن امل يمتد في كل شارف \* يرجعني منه بحفظ يد صفر \*  
 \* اذا لم تدنسى الذنوب بعارها \* فلست ابالي ما تشعث من امرى \*  
 واذا كان تقصيره لتوكل فذلك يحجز قد اعذبه بنفسه وترك حزم قد غير اسمه  
 لان الله تعالى امرنا بالتوكل عند انقطاع الحيل والتسليم الى القضاء بعد الاعذار  
 وقد روى معمر عن ايوب عن ابى قلابة قال ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم  
 رجل فذكر فيه خير فقالوا يا رسول الله خرج معنا حاجا فاذا نزلنا منزلا لم يزل  
 يصلى حتى نرحل فاذا ارتحلنا لم يزل يذكر الله عز وجل حتى ننزل فقال صلى الله  
 عليه وسلم من كان يكفيه علف ناقته وصنع طعامه قالوا كلنا يا رسول الله قال كلكم

خير منه وقال بعض الحكماء ليس من توكل المرء اضاعته المحرم ولا من الحزم  
اضاعة نصيبه من التوكل وان كان تقصيره زهد وتفتح فهداه حال من علم بحاسبة  
نفسه بتبعات الغنى والثروة وخاف عليها بوائق الهوى والقدرة فآثر الفقر على  
الغنى وزجر النفس عن ركوب الهوى فقد روى ابو الدرداء قال قال رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلعت فيه شمس الا وعلى جنبتيها ملكان يناديان  
يسمعهما خلق الله كلهم الا الثقلين يا ايها الناس هلموا الى ربكم ان ما قل وكفى  
خير مما كثر والهوى وروى زيد بن علي بن الحسين عن ابيه عن جده رضى الله  
عنهم اجعين انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انتظار الفرج من الله  
بالصبر عبادة ومن رضى من الله عز وجل بالقليل من الرزق رضى الله عز وجل  
منه بالقليل من العمل وروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال من نبى  
الفقر منك لا تجد احدا يعصى الله ليفتقر فاخذه محمود الوراق فقال

- \* يا عائب الفقر ألا تزدرج \* عيب الغنى اكثر لو تعتبر \*
- \* من شرف الفقر ومن فضله \* على الغنى ان صح منك النظر \*
- \* انك تعصى لتسال الغنى \* ولست تعصى الله كي تفتقر \*

❖ وقال ابن المقفع ❖

- \* دليلك ان الفقر خير من الغنى \* وان قليل المال خير من المثرى \*
  - \* لقاؤك مخلوقا عصى الله بالغنى \* ولم تر مخلوقا عصى الله بالفقر \*
- وهذه الحال انما تصح لمن نصح نفسه فاطاعته وصدقها فاجابته حتى لان قيادها  
وهان عنادها وعلمت ان من لم يقنع بالقليل لم يقنع بالكثير كما كتب الحسن  
البصرى الى عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهما يا اخى من استغنى بالله اكتفى  
ومن انقطع الى غيره تعنى ومن كان من قليل الدنيا لا يشبع لم يغنه منها كثرة  
ما يجمع فعليك منها بالكفاف وأزمت نفسك العفاف واياك وجع الفضول  
فان حسابه يطول وقال بعض الحكماء هيهات منك الغنى ان لم يقنعك ما حويت  
فاما من اعرضت نفسه عن قبول نصحه وجمحت به عن قناعة زهده فليس الى  
اكرامها سبيل ولا للحمل عليها وجه الا بالرياضة والمروءة وان يستنز لها الى اليسير  
الذى لا تنفر منه فاذا استقرت عليه انزلها الى ما هو اقل منه لتنتهى بالتدريج

الى الغاية المطلوبة وتستقر بالرياضة والتمرين على الحال المحبوبة وقد تقدم قول الحكماء ان المكره يسهل بالتمرين فهذا حكم ما في الامر الثاني من التقصير عن طلب الكفاية واما ❖ الامر الثالث ❖ فهي ان لا يقنع بالكفاية ويطلب الزيادة والكثرة فقد يدعو الى ذلك اربعة اسباب • احدها منازعة الشهوات التي لا تنال الا بزيادة المال وكثرة المادة فاذا نازعته الشهوة طلب من المال ما يوصله وليس للشهوات حدمتها فيصير ذلك ذريعة الى ان ما يطلبه من الزيادة غير متناه ومن لم يتناه طلبه استدام كده وتعبه ومن استدام الكد والتعب لم يف التنازه بنيل شهواته بما يعاينه من استدامة كده واتعابه مع ما قدر له من ذم الانقياد لمغالبة الشهوات والتعرض لاكتساب التبعات حتى يصير كالبهيمة التي قد انصرف طلبها الى ما تدعو اليه شهواتها فلا تنزجر عنه بعقل ولا تكف عنه بقناعة وقد روى عن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اراد الله به خيرا حال بينه وبين شهوته وحال بينه وبين قلبه واذا اراد به شرا وكله الى نفسه وقد قال الشاعر

\* وانك ان اعطيت بطنك همهم \* وفرجك نالامتهى الذم اجعما \*  
والسبب الثاني ان يطلب الزيادة ويلتمس الكثرة ليصرفها في وجوه الخير ويتقرب بها في جهات البر ويصطنع بها المعروف ويغيث بها الملهوف فهذا اعذر وبالجمد اخرى واجدر اذا انصرفت عنه تبعات المطالب وتوفي شبهات المكاسب واحسن التقدير في حالتى فائدته وافادته على قدر الزمان وبقدر الامكان لان المال آلة للمكارم وعون على الدين ومتألف للاخوان ومن فقده من اهل الدنيا قلت الرغبة فيه والرغبة منه ومن لم يكن منهم بموضع رهبة ولا رغبة استهانوا به وقد روى عبد الله بن بريدة عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان حساب اهل الدنيا هذا المال وقال مجاهد الخير في القرآن كله المال وانه لب الخير لشديد يعنى المال واحببت حب الخير عن ذكر ربي يعنى المال فكاتبوهم ان علمتم فيهم خيرا يعنى مالا وقال شعيب النبي عليه السلام اتى اراكم بخير يعنى المال وانما سمى الله تعالى المال خيرا اذا كان في الخير مصروفا لان ما ادى الى الخير فهو

في نفسه وقد اختلف اهل التأويل في قوله تعالى ومنهم من يقول ربنا آتانا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقتنا عذاب النار فقال السدي وعبد الرحمن بن زيد الحسننة في الدنيا وفي الآخرة الجنة وقال الحسن البصرى وسفيان الثوري الحسننة في الدنيا العلم والعبادة وفي الآخرة الجنة وقال ابن عباس الدراهم والدنانير خواتم الله في الارض لا تؤكل ولا تشرب حيث قصدت بها قضيت حاجتك وقال قيس بن سعد اللهم ارزقني حدا ومجدا فانه لا حد الا بفعال ولا مجد الا بمال وقد قيل لابي الزناد لم تحب الدراهم وهي تدينك من الدنيا فقال هي وان ادنتني منها فقد صانتني عنها وقال بعض الحكماء من اصلح ماله فقد صان الاكرامين الدين والعرض وقيل في منشور الحكم من استغنى كرم على اهله ومر رجل من ارباب الاموال ببعض العلماء فقهره له واكرمه فقيل له بعد ذلك اكلت لك الى هذا حاجة قال لا ولكني رأيت ذا المال مهيبا وسأل رجل محمد بن عمير بن عطار وعتاب بن ورقاء في عشر ديات فقال محمد بن علي دية وقال عتاب الباقي علي فقال محمد نعم العون اليسار على المجد وقال الاحنف بن قيس

\* فلو كنت مثرى بمال كثير لجدت وكنت له باذلا \*  
 \* فان المروءة لا تستطعا \* ع اذا لم يكن مالها فاضلا \*  
 وكان يقال الدراهم مرهم لانها تداوى كل جرح ويطيب بها كل صلح وقال ابن الجلال

\* رزقت مالا ولم ارزق مروءته \* وما المروءة الا كثرة المال \*  
 \* اذا اردت رقي العلياء بقعدني \* عما ينوه باسمي رقة الحلال \*  
 وقيل في منشور الحكم الفتر مخذلة والغنى مجدلة والبؤس مردلة والسؤال مبذلة وقال اوس بن حجر

\* اقيم بدار الحزم مادام حزمها \* واحرى اذا حالت بان انحولا \*  
 \* فاني وجدت الناس الا اقلهم \* خفاف يكثرون الثقلا \*  
 \* بني ام ذى المال الكثير يرونه \* وان كان عبدا سيد الامر جمحلا \*  
 \* وهم لمقل المال اولاد علة \* وان كان محضا في العشيرة محولا \*

❁ وقال بشر الضرير ❁

\* كفى حزنا انى اروح واغتردى \* ومالى من مال اصون به عرضى \*  
\* واكثر ما اتى الصديق بحرجا \* وذلك لا يكتفى الصديق ولا يرضى \*

❁ وقال آخر ❁

\* اجلك قوم حين صرت الى الغنى \* وكل غنى في العيون جليل \*  
\* وليس الغنى الا غنى زين الفتى \* عشية يقرى او غداة ينيل \*  
وقد اختلف الناس في تفضيل الغنى والفقر مع اتفاقهم ان ما احوج من الفقر  
مكروه وما ابطر من الغنى مذموم فذهب قوم الى تفضيل الغنى على الفقر لان  
الغنى مقتدر والفقير عاجز والقدرة افضل من العجز وهذا مذهب من غلب عليه  
حب النباهة وذهب آخرون الى تفضيل الفقر على الغنى لان الفقير تارك والغنى  
ملايس وترك الدنيا افضل من ملابستها وهذا مذهب من غلب عليه حب السلامة  
وذهب آخرون الى تفضيل التوسط بين الامرين بان يخرج عن حد الفقر الى  
ادنى مراتب الغنى ليصل الى فضيلة الامرين ويسلم من مذمة الحالين وهذا  
مذهب من يرى تفضيل الاعتدال وان خيار الامور اوساطها وقد مضى شواهد  
كل فريق في موضعه بما اغنى عن اعادته ❁ والسبب الثالث ان يطلب  
الزيادة ويقتنى الاموال ليدخرها لولده ويخلفها على ورثته مع شدة ضنه على  
المنقلب وهذا شقى بجمعها ما اخوذ بوزرها قد استحق اللوم من وجوه لا تخفى  
على ذى لب ❁ منها ❁ سوء ظنه بخالقه انه لا يرزقهم الا من جهته وقد قيل قتل  
القنوط صاحبه وفي حسن الظن بالله راحة القلوب وقال عبد الحميد كيف تبقى  
على حالتك والدهر في اطالك ❁ ومنها ❁ النقة بدماء ذلك على ولده مع  
نواب الزمان ومصائبه وقد قيل الدهر حسود لا يأتى على شئ الا غيره وقيل  
في مشور الحكم المال ملول وقال بعض الحكماء الدنيا ان بقيت لك لا تبقى لها  
❁ ومنها ❁ ما حرم من منافع ماله وسلب من وفور حاله وقد قيل انما مالك لك  
او للوارث او للباحثة فلا تكن اشقى الثلاثة وقال عبد الحميد اطرح كواذب آمالك  
وكن وارث مالك ❁ ومنها ❁ ما لحقه من شقاء جمعه وناله من عناء اكده

حتى صار ساعيا محروما وجاهدا مذموما وقد قيل رب مغبوط بمسرة هي داؤه  
ومرحوم من سقم هو شقاؤه وقال الشاعر

\* ومن كلفته النفس فوق كفافها \* فما ينقضى حتى الممات عناؤه \*  
❖ ومنها ❖ ما يؤاخذ به من وزره واثامه ويحاسب عليه من تبعاته واجرامه  
وقد حكى ان هشام بن عبد الملك لما ثقل بكاء ولده عليه قال لهم جاد لكم هشام  
بالدنيا وجدتم عليه بالبكاء وترك لكم ما كسب وتركتم عليه ما اكتسب ما اسوأ  
حال هشام ان لم يغفر الله له فاخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال

\* تمتع بمالك قبيل الممات \* والافلا مال ان انت متا \*  
\* شقيت به ثم خلقتك \* لغيرك بعدا وسحقا ومقتا \*  
\* فجادوا عليك بزور البكا \* ووجدت عليهم بما قد جعلتا \*  
\* وارهنتمهم كل ما في يدك \* وخلوك رهنا بما قد كسبتا \*

وروى ان العباس بن عبد المطلب جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول  
الله ولني فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم  
قليل يكفيك خير من كثير يردك يا عباس يا عم النبي نفس تتجها خيرا  
من اماره لا تحصيها يا عباس يا عم النبي صلى الله عليه وسلم ان الامارة اولها  
ندامة واوسطها ملامة وآخرها خزي يوم القيامة فقال يا رسول الله الامن  
عدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تعدلون مع الاقارب وقال رجل  
للحسن البصري رحمه الله اني اخاف الموت واكرهه فقال انك خلقت مالك ولو  
قدمته لسرك اللعوق به وقيل في منشور الحكيم كثرة مال الميت تعزى ورثته عنه  
فاخذ هذا المعنى ابن الرومي فقال وزاد

\* ابقيت مالك ميراثا لسوارثه \* فليت شعري ما ابقى لك المال \*  
\* القوم بعدك في حال تسرههم \* فكيف بعدهم حال بك الحال \*  
\* ملوا البكاء فما يبكيك من احد \* واستحكمت القول في الميراث والقال \*  
\* واتهم عنك دنيا اقبلت لهم \* وادبرت عنك والايام احوال \*  
والسبب الرابع ان يجمع المال ويطلبه استخلا لا لجمعه وشغفا باحترامه  
فهذا اسوأ الناس حالا فيه واشدهم حزنا له قد توجهت اليه سائر الملاوم حتى



صار وبالا عليه ومذام وفي مثله قال الله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم فقال النبي صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة فشق ذلك على اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا اى مال نتخذ فقال عمر رضى الله عنه انا اعلم لكم ذلك فقال يا رسول الله ان اصحابك قد شق عليهم فقالوا اى مال نتخذ فقال لسانا ذاكرا وقابا شاكرا وزوجة مؤمنة تعين احدكم على دينه وروى شهر بن حوشب عن ابى امامة قال مات رجل من اهل الصفة فوجد في مئزره دينار فقال النبي صلى الله عليه وسلم كية ثم مات آخر فوجد في مئزره ديناران فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وانما ذكر ذلك فيهما وان كان قد مات على عهده من ترك اموال الوجة واحوالا ضخمة فلم يكن فيه ما كان في هذين لانهما تظاهرا بالقتاعة واحتجنا ما ليس بهما اليه حاجة فصار ما احتجناه وزرا عليهما وعقبا لهما وقد قال الشاعر

\* اذا كنت ذا مال ولم تكن ذا ندى \* فانت اذا والمقترون سواء \*  
 \* على ان فى الاموال يوما تباعة \* على اهلها والمقترون براء \*  
 ❁ وانشدت عن الربيع للشافعى رضى الله عنه ❁  
 \* ان الذى رزق اليسار ولم يصب \* جدا ولا اجرا لغير موفق \*  
 \* والجد يدنى كل شئ شاسع \* والجد يفتح كل باب معلق \*  
 \* واحق خلق الله بالهم امرؤ \* ذوهمة عليا وعيش ضيق \*  
 \* ومن الدليل على القضاء وكونه \* بؤس اللبيب وطيب عيش الاحق \*  
 \* فاذا سمعت بان مجدودا حوى \* عودا فاورق فى يديه ففقق \*  
 \* واذا سمعت بان مخذولا اتى \* ماء ليشربه نجف فصديق \*  
 اللب العقل تقول لبيب ذولب والجد فى اللغة الحظ وهو البخت والجد ايضا العظمة ومنه قوله تعالى وانه تعالى جد ربنا والجد مصدر جد الشئ اذا قطع والجد بالكسر الانكماش فى الامور اى الاجتهاد فيها وهو ايضا الحق ضد الهزل وبالحاء اذا منع الرزق ومجد مجدود لا يقال فيهما الا بالميم يسم فاعله وآفة من بلى بالجمع والاستكثار ومنى بالامساك والادخار حتى انصرف عن رشده فغوى

وأنحرف عن سنن قصده فهوى ان يستولى عليه حب المال وبعد الامل فيبعثه  
 المال على الحرص في طلبه ويدعوه بعد الامل على الشخ به والحرص والشخ  
 اصل لكل ذم وسبب لكل لؤم لان الشخ يمنع من اداء الحقوق ويبعث على القطيعة  
 والعقوق ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم شر ما اعطى العبد شخ هالع وجبن  
 خالع وقال بعض الحكماء الغنى البخيل كالتوى الجبان واما الحرص فيسلب فضائل  
 النفس لاستيلائه عليها ويمنع من التوفر على العبادة لتشاغله عنها ويبعث  
 على التورط في الشبهات لقلته محرزه منها وهذه الثلاث خصال هن  
 جامعات الرذائل سالبات الفضائل مع ان الحريص لا يستزيد بحرصه  
 زيادة على رزقه سوى اذلال نفسه واسخاط خالقه وروى عن النبي صلى  
 الله عليه وسلم انه قال الحريص الجاعد والقنوع الزائد يستوفيان اكلهما  
 غير منتهى منه شئ فعلام التهافت في النار وقال بعض الحكماء الحرص مفسدة  
 للدين والروءة والله ما عرفت من وجه رجل حرصا فرأيت ان فيه مصطنعا  
 وقال آخر الحريص اسير مهانة لا تفك اسره وقال بعض البلغاء المقادير الغالبة  
 لا تنال بالمغالبة والارزاق المكتوبة لا تنال بالشدّة والمطالبة فذل للمقادير نفسك  
 واعلم بانك غير نائل بالحرص الا حطك وقال بعض الادياء رب حظ ادره غير  
 طالبه ودر احرزه غير جالبه وانشدني بعض اهل الادب لمحمد بن حازم

- \* يا اسير الطمع الكاذب في غل الهوان \*  
 \* ان عز الياس خير \* لك من ذل الاماني \*  
 \* سابع الدهر اذا عز وخذ صفو الزمان \*  
 \* انما اعدم ذو الحرص \* واثرى ذو التواني \*

وليس للحريص غاية مقصودة يقف عندها ولا نهاية محدودة يقنع بها لانه اذا  
 وصل بالحرص الى ما امل اغراه ذلك بزيادة الحرص والامل وان لم يصل رأى  
 اضاءة الغنى أو ما والصبر عليه حزما وصار بما سلف من رجائه اقوى رجاء  
 وابسط املا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يشيب ابن آدم ويبقى  
 معه خصلتان الحرص والامل وقيل للمسيح عليه السلام ما بال المشايخ احرص  
 على الدنيا من الشباب قال لانهم ذاقوا من طعم الدنيا ما لم يذقه الشباب ولو

صدق الحريص نفسه واستنصح عقله لعلم ان من تمام السعادة وحسن التوفيق الرضاء بالقضا والقناعة بالقسم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقتصدوا في الطلب فان ما رزقتموه اشد طلبا لكم منكم وما حرمتوه فلن تنالوه ولو حرصتم وروى ان جبريل على نبينا وعليه السلام هبط على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله تبارك وتعالى يقرأ عليك السلام ويقول لك اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وابقى فامر النبي صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى من لم يتأدب بادب الله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات وقيل مكتوب في بعض الكتب ردوا ابصاركم عليكم فان لكم فيها شغلا وقال مجاهد في تأويل قوله تعالى وانحسنته حياة طيبة قال بالقناعة وقال آثم بن صيفي من باع الحرص بالقناعة ظفر بالغي والثروة وقال بعض السلف قد يخيب الجاهد الساعي ويظفر الوادع الهادي فاخذه البحترى فقال

\* لم الق مقدورا على استحقاقه \* في الحظ اما ناقصا او زائدا \*  
 \* وعجبت للمجهود يحرم ناصبا \* كلفنا وللمجدود يغنم قاعدا \*  
 \* ما خطب من حرم الارادة قاعدا \* خطب الذي حرم الارادة جاهدا \*  
 وقال بعض الحكماء ان من قنع كان غنيا وان كان مقترا ومن لم يقنع كان فقيرا وان كان كثيرا وقال بعض البلغاء اذا طلبت العز فاطلبه بالطاعة واذا طلبت الغنى فاطلبه بالقناعة فن اطاع الله عز وجل عز نصره ومن لزم القناعة زال فقره وقال بعض الادباء القناعة عز المعسر والصدقة حرز الموسر وقال بعض الادباء

\* انى ارى من له قنوع \* يدرك ما نال او تمنى \*  
 \* والرزق يأتى بلا عناء \* وربما فات من تعنى \*  
 والقناعة قد تكون على ثلاثة اوج، فالوجه الاول ان يقنع بالبلغة من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه وهذا اعلى منازل القناعة وقال الشاعر  
 \* اذا شئت ان تحي غنيا فلا تكن \* على حالة الا رضيت بدونها \*  
 وقال مالك بن دينار اهد الناس من لا يتجاوز رغبته من الدنيا بلغته وقال بعض

الحكماء الرضى بالكفاف يؤدى الى العفاف وقال بعض الادباء يارب ضيق افضل من سعة وعناء خير من دعة وانشدنى بعض اهل الادب وذكر انه لعلى بن ابي طالب كرم الله وجهه

\* افادتنا القناعة اى عز \* واى غنى اعز من القناعة \*

\* فصيرها لنفسك رأس مال \* وصير بعدها التقوى بضاعة \*

\* تخرز حين تغنى عن بحيل \* وتنعم فى الجنان بصبر ساعه \*

والوجه الثانى ان تنتهى به القناعة الى الكفاية ويحذف الفضول والزيادة وهذه اوسط حال المقنع وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من عبد الا بينه وبين رزقه حجاب فان قنع واقتصد اتاه رزقه وان هتك الحجاب لم يزد فى رزقه وقال بعض الحكماء ما فوق الكفاف اسرافى وقال بعض البلغاء من رضى بالمقدور قنع بالميسور وقال البحرى

\* نطلب الاكثر فى الدنيا وقد \* تبلغ الحاجة منها بالاقبل \*

﴿ وانشدت لابراهيم بن المدبر ﴾

\* ان القناعة والعفا \* فى ليغنيان عن الغنى \*

\* فاذا صبرت عن المني \* فاشكر فقد نلت المني \*

والوجه الثالث ان تنتهى به القناعة الى الوقوف على ما سئح فلا يكره ما اتاه وان كان كثيرا ولا يطلب ما تعذر وان كان يسيرا وهذه الحال ادنى منازل اهل القناعة لانها مشتركة بين رغبة ورهبة اما الرغبة فلانه لا يكره الزيادة على الكفاية اذا سئحت واما الرهبة فلانه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة اذا تعذرت وفى مثله قال ذو النون رحمة الله عليه من كانت قناعته سميئة طابت له كل مرقة وقد روى الحسن بن على عن ابيه عن جده رضى الله عنهم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدينار دول فما كان منها لك اناك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك ومن انقطع رجاؤه مما فات استراح بدنه ومن رضى بما رزقه الله تعالى قرت عينه وقال ابو حازم الاعرج وجدت شيئين شيئا هو لى لن اعجله قبل اجله ولو طلبته بقوة السموات والارض وشيئا هو لغيرى وذلك مما لم انله فيما مضى ولا اناله فيما بقى يمنع الذى لى من غيرى

كما يمنع الذي لغيرى منى فى اى هذين افنى عمرى واهلك نفسى وقال ابو تمام  
الطائي

- \* لا تأخذونى بالزمان وليس لى \* تبعنا ولست على الزمان كقبلا \*
- \* من كان مرعى عزمه وهمومه \* روض الامانى لم يزل مهزولا \*
- \* لوجار سلطان القنوع وحكمه \* فى الخلق ما كان القليل قليلا \*
- \* الرزق لا تكمد عليه فانه \* يأتى ولم تبعث عليه رسولا \*

﴿ وانشدنى بعض اهل الادب لابن الرومى ﴾

- \* جرى قلم القضاء بما يكون \* فسيان التحرك والسكون \*
- \* جنون منك ان تسعى لرزق \* ويرزق فى غشاوته الجنين \*

ونحن نسأل الله تعالى اكرم مسئول وافضل مأمول ان يحسن الينا التوفيق  
فيما منح ويصرف عنا الرغبة فيما منع استكفافا لتبعات الثروة ومو بقات الشهوة  
روى شريك بن ابى نمر عن ابى الجذع عن اعمامه واجداده عن النبي صلى الله  
عليه وسلم انه قال خير امتى الذين لم يعطوا حتى ينظروا ولم يقترؤا حتى يسألوا  
وقال ابو تمام الطائي

- \* عندى من الايام ما لو انه \* اضحى بشارب مرقد ما غضا \*
- \* لا تطلبن الرزق بعد شمسه \* فترومه شبا اذا ما غيضا \*
- \* ما عوض الصبر امرؤ الا رأى \* ما فاته دون الذى قد عوضا \*

### ﴿ باب ادب النفس وهو الخامس من الكتاب ﴾

اعلم ان النفس مجبولة على شيم مهملة و اخلاق مرسله لا يستغنى محمودها عن  
التأديب ولا يكتفى بالرضى منها عن التهذيب لان لمحمودها اسنادا مقابلة  
يسعدا هوى مطاع وشهوة غالبة فان اغفل تأديبها تفويضها الى العقل او توكل  
على ان تقاد الى الاحسن بالطبع اعدمه التفويض درك المجتهدين واعقبه التوكل  
ندم الخائبين فصار من الادب عاطلا وفي صورة الجهل داخلا لان الادب  
مكتسب بالتجربة او مستحسن بالعادة واكل قوم مواضعة وذلك لا ينال  
بتوقيف العقل ولا بالانقياد للطبع حتى يكتب بالتجربة والمعانة ويستفاد

بالدربة والمعاطاة ثم يكون العقل عليه قيميا وزكى الطبع اليه مسلما  
ولو كان العقل مغنيا عن الادب لكان انبياء الله تعالى عن ادبه مستغنين وبعقولهم  
مكتفين وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بعثت لاتمهم مكارم  
الاخلاق وقيل لعيسى بن مريم علي نبينا وعليه السلام من ادبك قال ما ادبني  
احد وليكني رأيت جهل الجاهل بخائبة وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه  
ان الله تعالى جعل مكارم الاخلاق ومحاسنها وصلابته وينسب الرجل  
ان يتصل من الله تعالى بخلق منها وقال ازدشير بن بابك من فضيلة الادب انه  
مدوح بكل لسان ومترين به في كل مكان وبق ذكره على ايام الزمان وقال  
مهيب وشبهه العالم الشريف القديم الادب بالبيان الخراب الذى كل ما علا سميكة  
كان اشد لوحشته وبالنهريالبايس الذى كل ما كان اعرض واعمق كان اشد  
لوعورته وبالارض الجيدة المعطلة التى كلما ظال خرابها ازدا نباتها غير  
المنتفع به التفافا وصار للهوام مسكنا وقال ابن المقفع ما نحن الى ما نتقوى به على  
حواسنا من المطعم والمشرب باحوج منا الى الادب الذى هو لتتاح عقولنا فان  
الحبة المدفونة فى الثرى لا تقدر ان تطلع زهرتها ونضارتها الا بالماء الذى  
يعود اليها من مستودعها وحكى الاصمعي رحمه الله تعالى ان اعرابيا قال  
لابنه يا بنى الادب دعاة ايد الله بها الالباب وحلية زين الله بها عواطل  
الاحساب فالعاقل لا يستغنى وان صحت غريزته عن الادب المخرج زهرته  
كما لا تستغنى الارض وان عذبت تربتها عن الماء المخرج ثمرتها وقال بعض  
الحكماء الادب صورة العقل فصور عقلك كيف شئت وقال آخر العقل  
بلا ادب كالشجر العاقر ومع الادب كالشجر المثمر وقيل الادب احد  
المنصبين وقال بعض البلغاء الفضل بالعقل والادب لا بالاصل والحسب لان من  
ساء اليه ضاع نسبه ومن قل عقله ضل اصله وقال بعض الادباء ذلك قلبك بالادب  
كما تذكى النار بالحطب واتخذ الادب غنما والحرص عليه حظا يرتجيك راغب  
ويخاف صولتك راهب ويؤمل نفعك ويرجى عدلك وقال بعض العلماء الادب  
وسيلة الى كل فضيلة وذريعة الى كل شريعة وقال بعض الفصحاء الادب يستر  
قبيح النسب وقال بعض الشعراء فيه

\* فما خلق الله مثل العقو \* ل ولا اكتسب الناس مثل الادب \*  
 \* وما كرم المرء الا التقى \* ولا حسب المرء الا النسب \*  
 \* وفي العلم زين لاهل الحجا \* وآفة ذى الحلم طيش الغضب \*  
 \* وانشد الاصمعي رحمه الله ﴿

\* وان يك العقل مولودا فلست ارى \* ذا العقل مستغنيا عن حادث الانب \*  
 \* انى رأيتهما كالماء مختلطا \* بالترب تظهر منه زهرة العشب \*  
 \* وكل من اخطأه في موالده \* غريزة العقل حاكي البهم في الحسب \*  
 \* والتأديب يلزم من وجهين احدهما ما لزم الوالد لولده في صغره والثاني ما لزم  
 الانسان في نفسه عند نشوه وكبره فاما التأديب اللازم للاب فهو ان يأخذ ولده  
 بمبادئ الآداب ليأمنس بها وينشو عليها فيسهل عليه قبولها عند الكبر لاستئناسه  
 بمبادئها في الصغر لان نشو الصغير على الشئ يجعله متطعاً به ومن اغفل في  
 الصغر كان تأديبه في الكبر عسيرا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
 قال ما نحل والد ولده نحلة افضل من ادب حسن يفيدته اياه او جهل قبيح يكفه  
 عنه ويمنع منه وقال بعض الحكماء بادروا بتأديب الاطفال قبل تراكم الاشغال  
 وتفرق البال وقال بعض الشعراء

\* ان الغصون اذا قومتها اعتدلت \* ولا يلين اذا قومته الخشب \*  
 \* قد ينفع الادب الاحداث في صغر \* وليس ينفع عند الشبهة الادب \*  
 \* وقال آخر ﴿

\* ينشو الصغير على ما كان والده \* ان الاصول عليهما تلبت الشجر \*  
 \* واما الادب اللازم للانسان عند نشوه وكبره فان اب ادب مواضعة واصطلاح  
 وادب رياضة واستصلاح فاما ادب المواضعة والاصطلاح فيؤخذ تقليدا على  
 ما استقر عليه اصطلاح العقلاء واتفق عليه استحسان الادباء وليس  
 لاصطلاحهم على وضعه تعليل مستبطن ولا لتفاهتهم على استحسانه دليل موجب  
 كاصطلاحهم على مواضعات الخطاب واتفاهتهم على هيئات اللباس حتى ان  
 الانسان الآن اذا تجاوز ما اتفقوا عليه منها صار مجانباً للادب مستوجبا للذم

لان فراق المألوف في العادة ومجانبة ما صار متفتحا عليه بالمواضعة مفض الى استحقاق الذم بالعقل ما لم يكن لمخالفته علة ظاهرة ومعنى حادث وقد كان جائزا في العقل ان يوضع ذلك على غير ما اتفقوا عليه فيرونه حسنا ويرون ما سواه قبيحا فصار هذا مشاركا لما وجب بالعقل من حيث توجه الذم على تاركة ومخالفا له من حيث انه كان جائزا في العقل ان يوضع على خلافه واما ادب الرياضة والاستصلاح فهو ما كان محمولا على حال لا يجوز في العقل ان يكون بخلافها ولا تختلف العقلاء في صلاحها وفسادها وما كان كذلك فتعليقه بالعقل مستبط ووضوح صحته بالدليل مرتبط ولا نفس على ما يأتي من ذلك شاهد ألهمها الله تعالى ارشادا لها قال الله تعالى فالهمها فجورها وتقواها قال ابن عباس رضی الله عنه بين لها ما تأتي من الخير وتذر من الشر وسنذكر تعليل كل شيء في موضعه فانه اولى به واحق فأول مقدمات ادب الرياضة والاستصلاح ان لا يسبق الى حسن الظن بنفسه فيخني عنه مذموم شبيهه ومساوي اخلاقه لان النفوس بالشهوات آمرة وعن الرشد زاجرة وقد قال الله تعالى ان النفس لامارة بالسوء وقال صلى الله عليه وسلم اعدى اعدائك نفسك التي بين جنبيك ثم اهلك ثم عيالك ودعت اعرابية لرجل فقالت كبت الله كل عدوك الانفسك فاخذ به بعض الشعراء فقال

\* قلبي الى ما ضرني داعي \* يكثر اسقامي واوجاعي \*  
 \* كيف احتراسي من عدوي اذا \* كان عدوي بين اضلاعي \*  
 فاذا كانت النفس كذلك فحسن الظن بها ذريعة الى تحكيمها وتحكيمها داع الى سلاطتها وفساد الاخلاق بها فاذا صرف حسن الظن عنها وتوسمها بما هي عليه من التسوييف والمكر فاز بطاعتها وانحاز عن معصيتها وقد قال عمر بن الخطاب رضی الله عنه العاجز من مجز عن سياسة نفسه وقال بعض الحكماء من ساس نفسه ساد ناسه فاما سوء الظن بها فقد اختلف الناس فيه فمنهم من كرهه لما فيه من اتهام طاعتها ورد مناصحتها فان النفس وان كان لها مكر يردي فلها نصيح يهدي فلما كان حسن الظن بها يعمي عن محاسنها ومن عمي عن محاسن نفسه كان كمن عمي عن



مساويها فلم ينف عنها قبيحا ولم يهد اليها حسنا وقد قال الجاحظ في كتاب البيان يجب ان يكون في التهمة لنفسه معتدلا وفي حسن الظن بها مقتصدا فانه ان تجاوز مقدار الحق في التهمة ظلمها فاودعها ذلة المظلومين وان تجاوز بها الحق في مقدار حسن الظن اودعها تهاون الآمنين ولكل ذلك مقدار من الشغل ولكل شغل مقدار من الوهن ولكل وهن مقدار من الجهل وقال الاحنف بن قيس من ظلم نفسه كان لغيره اظلم ومن هدم دينه كان لمجده اهدم وذهب قوم الى ان سوء الظن بها ابلغ في صلاحها واوفر في اجتهادها لان للنفس جورا لا ينفك الا بالسخط عليها وغرورا لا ينكشف الا بالتهمة لها لانها محبوبة تجور ادلالا وتغر مكرافا لم يسيء الظن بها غلب عليه جورها وتموء عليه غرورها فصار يمسورها قانعا وبالشبهة من افعالها راضيا وقد قالت الحكماء من رضى عن نفسه اسخط عليه الناس وقال كشاجم

- \* لم ارض عن نفسي مخافة سخطها \* ورضى الفتى عن نفسه اغضابها \*
- \* ولو انني عنها رضيت لقصرت \* عما تزيد بمثله آدابها \*
- \* وتبينت آثار ذلك فاكثرت \* عدلى عليه فطال فيه عتابها \*

❖ وقد استحسنت قول ابى تمام الطائي ❖

- \* ويسيء بالاحسان ظنا لا يكن \* هو بائنه وبشعره مقبون \*
- فلم يروا اساءة ظنه بالاحسان ذما ولا استقلال علمه لوما بل رأوا ذلك ابلغ في الفضل وابعث على الازدياد فاذا عرف من نفسه ما تجن وتصور منها ما تكن ولم يطاوعها فيما تحب اذا كان غيا ولا صرف عنها ما تكره اذا كان رشدا فقد ملكها بعد ان كان في ملكها وغلبها بعد ان كان في غلبها وقد روى ابو حازم عن ابى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشديد من غلب نفسه وقال عون بن عبد الله اذا عصتك نفسك فيما كرهت فلا تطعها فيما احبت ولا يغرنك ثناء من جهل امرك وقال بعض البلغاء من قوى على نفسه تناهى في القوة ومن صبر عن شهوته بالغ في المروءة فحينئذ يأخذ نفسه عند معرفة ما اكنت وخبرة ما اجنت بتعويم عوجها

واصلاح فاسدها وقد روى عن عائشة رضى الله عنها انها قالت يا رسول الله متى يعرف الانسان ربه قال اذا عرف نفسه ثم يراعى منها ما صلح واستقام من زبغ يحدث عن اغفال او ميل يكون عن اهمال ليم له الصلاح وتستديم له السعادة فان المغفل بعد المعاناة ضائع والمهمل بعد المراعاة زائع وسنذكر من احوال ادب الرياضة والاستصلاح فصولا تحتوى على ما يلزم مراعاته من الاخلاق ويجب معانيه من الادب وهى ستة فصول متفرعة \* الفصل الاول \* فى مجانبة الكبر والاعجاب لانهما يسلبان الفضائل ويكسبان الرذائل وليس لمن استولى عليه اصغاء لنصح ولا قبول لتأديب لان الكبر يكون بالمنزلة والمجرب يكون بالفضيلة فالتكبر يجعل نفسه عن رتبة المتعلمين والمجرب يستكثر فضله عن استراة المتأدبين فلذلك وجب تقديم القول فيهما بابانة ما يكسبانه من ذم ويوجبانه من لوم \* فتقول \* اما الكبر فيكسب المقت ويلهى عن التأف ويوغر صدور الاخوان وحسبك بذلك سواء عن استقصاء ذمه ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعنه العباس انك عن الشرك بالله والكبر فان الله يحب منهما وقال ازدشير بن بابك ما الكبر الا فضل حرق لم يدر صاحبه اين يذهب به فيصرفه الى الكبر وما اشبه ما قال بالحق وحكى ان مطرف بن عبد الله بن الشخير نظر الى المهلب بن ابي صفرة وعليه حلة يسحبها ويمشى الخيلاء فقال يا ابا عبد الله ما هذه المشية التى يبغضها الله ورسوله فقال المهلب اما تعرفنى فقال بل اعرفك اولك نطفة مذرة وآخرك جيفة قدرة وحشوك فيما بين ذلك بول وعذرة فاخذ بن عوف هذا الكلام فنظمه شعرا فقال

\* محجت من محجب بصورته \* وكان بالامس نطفة مذره \*  
 \* وفى غد بعد حسن صورته \* يصير فى اللحد جيفة قدره \*  
 \* وهو على تيهه ونخوته \* ما بين ثوبيه يحمل العذره \*

وقد كان المهلب افضل من ان يخدع نفسه بهذا الجواب الغير صواب ولكنها زلة من زلات الاسترسال وخطيئة من خطايا الادلال فاما الحق الصريح والجهل القبيح فهو ما حكى عن نافع بن جبير بن مطعم انه جلس فى حلقة العلاء بن

عبدازحن الخرق وهو يقرئ الناس فلما فرغ قال أتدرون لم جلست اليكم قالوا  
جلست لتسمع قال لا ولكني اردت ان اتواضع لله بالجلوس اليكم فهل يرجي من  
هذا فضل او ينفع فيه عدل وقد قال ابن المعتز لما عرف اهل النقص حالهم عند  
ذوى الكمال استعانوا بالكبير ليعظم صغيرا ويرفع حقيرا وليس بفاعل واما  
الاجباب فيخفي المحاسن ويظهر المساوى ويكسب المذام ويصد عن الفضائل وقد  
روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العجب لياكل الحسنات كما تأكل  
النار الحطب وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه العجباب ضد الصواب  
وأفة الالباب وقال بزرجهر النعممة التي لا يحسد صاحبها عليها التواضع  
والبلاء الذي لا يرحم صاحبه منه العجب وقال بعض الحكماء عجب المرء بنفسه  
احد حساد عقله وليس الى ما يكسبه الكبر من المقت حد ولا الى ما ينتهى اليه  
العجب من الجهل غاية حتى انه يطق من المحاسن ما انتشر ويسلب من الفضائل  
ما اشتهر وناهيك بسيئة تجب كل حسنة وبمذمة تهدم كل فضيلة مع ما يثيره من  
حقد ويكسبه من حقد حكى عمر بن حفص قال قيل للحجاج كيف وجدت منزلك  
بالعراق قال خير منزل لو كان الله بلاننى قتل اربعة فتقربت اليه بدمائهم ولما  
ولى مقاتل بن مسمع سجستان اتاه الناس فاعطاهم الاموال فلما عزل دخل  
مسجد البصرة فبسط الناس له اريدتهم فثشى عليها وقال لرجل يماشيه مثل هذا  
فلجعل العاملون وعبد الله بن زياد بن ظبيان التميمي خوف اهل البصرة امر  
فخطب خطبة او جز فيها فنادى الناس من اعراض المسجد اكثر الله فينا  
مثلك فقال لقد كاتم الله شططا ومعبد بن زراعة كان ذات يوم جالسا في طريق  
فمرت به امرأة فقالت له يا عبد الله كيف الطريق الى موضع كذا فقال ياهنأة  
مثلى يكون من عبيد الله وابو شمال الاسدى اضل راحلته فالتمسها الناس فلم  
يجدوها فقال والله ان لم يرد الى راحلتي لا صليت له صلاة ابدا فالتمسها الناس  
فوجدوها فقالوا له قدرد الله راحلتك فصل فقال ان يمين مصر فانظر  
الى هؤلاء كيف افضى بهم العجب الى حرق صاروا به نكالا في الاولين ومثلا  
في الآخرين ولو تصور العجب المتكبر ما فطر عليه من جبهة وبلى به من  
مهنة لخفض جناح نفسه واستبدل لينا من عتوه وسكوتنا من نفوره وقال

الا- نف بن قيس عجت لمن جرى في مجرى البول مرتين كيف يتكبر وقد وصف  
بعض الشعراء الانسان فقال

- \* يا مظهر الكبر اعجابا بصورته \* انظر خلاك فان التثني تثيره \*
- \* لو فكر الناس فيما في بطونهم \* ما استشعر الكبر شبان ولا شب \*
- \* هل في ابن آدم مثل الرأس مكرمة \* وهو ينجس من الاقدار مضروب \*
- \* انف يسيل واذن ريحها سهك \* والعين مرفضة والثغر ملعوب \*
- \* يا ابن التراب وما كول التراب غدا \* أقصر فانك ما كول ومشروب \*

واحق من كان للكبر مجابا وللإعجاب مباينا من جل في الدنيا قدره وعظم فيها  
خطره لانه قد يستقل بعالي همته كل كثير ويستصغر معها كل كبير وقال محمد  
ابن علي لا ينبغي للشريف ان يرى شيئا من الدنيا لنفسه خطيرا فيكون بها نابها  
وقال ابن السماك لعيسى بن موسى تواضعك في شرفك اشرف لك من شرفك  
وكان يقال اسمان متضادان بمعنى واحد التواضع والشرف • وللكبر اسباب  
فن اقوى اسبابه علو اليد ونفوذ الامر وقلة مخالطة الاكفاء وحكى ان قوما مشوا  
خلف علي بن ابي طالب رضى الله عنه فقال أبعدوا عنى خفق نعالكم فانها  
مفسدة لقلوب نوكى الرجال ومشوا خلف ابن مسعود فقال ارجعوا فانها زلة  
للتابع وفتنة للمتبع وروى قيس بن حازم ان رجلا اتى به للنبي صلى الله عليه وسلم  
فاصابته رعدة فقال له صلى الله عليه وسلم هون عليك فلما انا ابن امرأه كانت  
تأكل القديد وانما قال ذلك صلى الله عليه وسلم حسما لمواد الكبر وقطعا لذرائع  
الإعجاب وكسرا لاشر النفس وتذليلا لسطوة الاستعلاء ومثل ذلك ما روى عن  
عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه نادى الصلاة جامعة فلما اجتمع الناس صعد المنبر فحمد  
الله واثنى عليه وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ثم قال ايها الناس لقد رأيتني ارعى  
على خالات لى من بنى مخزوم فيتمبض لى القبضة من التمر والزبيب فاظلم اليوم واى  
يوم فقال له عبد الرحمن بن عوف والله يا امير المؤمنين ما زدت على ان قصرت  
بنفسك فقال عمر رضى الله عنه ويحك يا ابن عوف اتى خلوت فخذتني نفسى  
فسمعتك فقال انت امير المؤمنين فمن ذا افضل منك فاردت ان اعرفها نفسها •

واللافتح اسباب فن اقوى اسبابه كثرة مدح المتقربين واطراء المتلقين الذين جعلوا النفاق عادة وعكسها والتلق خديعة وملعبا فاذا وجدوه مقبولا في العقول الضعيفة اغروا اربابها باعتقاد كذبهم وجعلوا ذلك ذريعة الى الاستهزاء بهم وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه سمع رجلا يزكى رجلا فقال له قطعت مطاء لو سمعها ما افلح بعدها وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه المدح ذبح وقال ابن المقفع قابل المدح كادح نفسه وقال بعض الحكماء من رضى ان يمدح بما ليس فيه فقد امكن الساخر منه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اياكم والتمايح فانه الذبح ان كان احدكم مادحا اخاه لا محالة فليقل احسب ولا ازكى على الله احدا وقيل فيما انزل الله عز وجل من الكتب السالفة عجبت لمن قيل فيه الخير وليس فيركف يفرح ومجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب وقال بعض الشعراء

\* يا جاهلا غره افراط مباحه \* لا يغلبن جهل من اطراءك عملك بك \*  
 \* اثني وقال بلا علم احاط به \* وانت اعلم بالحصول من ريبك \*  
 وهذا امر ينبغي للعاقل ان يضبط نفسه عن ان يستفزها ويمنعها من تصديق المدح لها فان للنفس ميلا لحب الثناء وسماع المدح وقال الشاعر

\* يهوى الثناء مبرز ومقصر \* حب الثناء طبيعة الانسان \*  
 فاذا سامح نفسه في مدح الصبوة وتابعها على هذه الشهوة تشاغل بهما عن الفضائل الممدوحة ولها بها عن المحاسن الممنوحة فصار الظاهر من مدحه كذبا والباطن من ذمه صدقا وعند تقابلهما يكون الصدق الزم الامرين وهذه خدعة لا يرتضيها عاقل ولا يتخذع بهما ميمر وليعلم ان المتقرب بالمدح يسرف مع القبول ويكف مع الالباء فلا يغلبه حسن الظن على تصديق مدح هو اعرف بحقيقته وليكن تهمة المادح اغلب عليه فقل مدح كان جميعه صدقا وقل ثناء كان كله حقا ولذلك كره اهل الفضل ان يطلتوا الستهم بالثناء والمدح تحرزا من التجاوز فيه وتنزيها عن التلق به وقد روى مكحول قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تكونوا اعياب ولا تكونوا لعانين ولا متمادين ولا متمادين وحكى الاصمعي ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه قال اذا مدح قال اللهم انت

اعلم بي من نفسي وانا اعلم بنفسي منهم اللهم اجعلني خيرا مما يحسبون واغفر لي  
ما لا يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون وقال بعض الشعراء

\* اذا المرء لم يمدحه حسن فعاله \* فادحه يهزى وان كان مفصحا \*

وربما آل حب المدح بصاحبه الى ان يصير مادح نفسه اما لتوهمه ان الناس قد  
غفلوا عن فضله واخلووا بحقه واما ليخدعهم بتدليس نفسه بالمدح والاطراء  
فيعتقدون ان قوله حق متبع وصدق مستمع واما لتلذذه بسماع الثناء وسرور نفسه  
بالمدح والاطراء كما يتغنى بنفسه طربا اذا لم يسمع صوتا مطربا ولا غناء متمعا ولا ي  
ذلك كان فهو الجهل الصريح والنقص الفضيح وقد قال بعض الشعراء

\* وما شرف ان يمدح المرء نفسه \* واكن اعمالا تدم وتمدح \*

\* وما كل حين يصدق المرء ظنه \* ولا كل اصحاب التجارة يربح \*

\* ولا كل من ترجو لغيبك حافظ \* ولا كل من ضم الوديعه يصلح \*

وينبغي للعاقل ان يسترشد اخوان الصدق الذين هم اصفياء القلوب ومرايا  
الحماسن والعيوب على ما يبهونه عليه من مساويه التي صرفه حسن الظن عنها  
فانهم امكن نظرا واسلم فكرا ويجملون ما يبهونه عليه من مساويه عوضا عن  
تصديق المدح فيه وقد روى انس بن مالك عن النبي الله عليه وسلم انه قال  
المؤمن مرآة المؤمن اذا رأى فيه عيبا اصلحه وكان عمر بن الخطاب رضى الله  
عنه يقول رحم الله امراء اهدى النسا مساويتنا وقيل لبعض الحكماء أتجيب ان  
تهدى اليك عيوبك قال نعم من ناعح ومما يقارب معنى هذا القول ما روى عن  
عمر رضى الله عنه انه قال لابن عباس رضى الله عنهما من ترى ان نولي، حص  
فقال رجلا صحيفا منك صحيفا لك قال تكون انت ذلك الرجل قال لا تنفع بي مع  
سوء ظني بك وسوء ظنك بي وقيل في منشور الحكم من اظهر عيب نفسه فقد  
زكاها فاذا قطع اسباب الكبر وحسم مواد العجب اعتاض بالكبر تواضعا وبالعجب  
توددا وذلك من اوكد اسباب الكرامة واقوى مواد التعم وابلغ شافعا الى القلوب  
يعطفها الى المحبة ويثمنها على البغض وقال بعض الحكماء من برئ من ثلاث  
نال ثلاثا من برئ من السرف نال العز ومن برئ من البخل نال الشرف ومن برئ  
من الكبر نال الكرامة وقال مصعب بن ازيير التواضع مصاد الشرف وقيل في

دمشور الحكيم من دام تواضعه كثر صديقه وقد تحدث المنازل والولايات لقوم اخلاقاً مذمومة يظهرها سوء طباعهم ولا آخرين فضائل محمودة يبعث عليها زكاء شيمهم لان لتقلب الاحوال سكرة تظهر من الاخلاق مكنونها ومن السرائر مخزونها لا سيما اذا هجمت من غير تدريج وطرقت من غير تأهب وقد قال بعض الحكماء في تقلب الاحوال تعرف جواهر الرجال وقال الفضل بن سهل من كانت ولايته فوق قدره تكبر لها ومن كانت ولايته دون قدره تواضع لها وقال بعض البلغاء الناس في الولاية رجلان رجل يجمل العمل بفضله ومروءته ورجل يجمل بالعمل لتقصه ودناءته فمن جل عن عمله ازداد به تواضعاً وبشرافاً ومن جل عنه عمله ازداد به تجبراً وتكبراً ❖ الفصل الثاني في حسن الخلق ❖ روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى اختار لكم الاسلام ديناً فأكرموا به بحسن الخلق والسخاء فإنه لا يكمل الا بهما وقال الاخنف بن قيس الا اخبركم بانوا الداء قالوا بلى قال الخلق الدني واللسان البذي وقال بعض الحكماء من ساء خلقه ضاق رزقه وعلته هذا القول ظاهرة وقال بعض البلغاء الحسن الخلق من نفسه في راحة والناس منه في سلامة والسئ الخلق الناس منه في بلاء وهو من نفسه في عناء وقال بعض الحكماء عاشر اهلك باحسن اخلاقك فان الثواء فيهم قليل وقال بعض الشعراء

- \* اذا لم تدسع اخلاق قوم \* تضيق بهم فسيحات البلاد \*
- \* اذا ما المرء لم يملق ليبيسا \* فليس اللب عن قدم الولاد \*

فاذا حسنت اخلاق الانسان كثر مصافوه وقل معادوه فتسهلت عليه الامور الصعاب ولانت له القلوب الغضاب وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الاعمار وقال بعض الحكماء من سعة الاخلاق كتوز الارزاق وسبب ذلك ما ذكرنا من كثرة الاصفياء المسعدين وقلة الاعداء المحققين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم احببكم الى احسنكم اخلاقاً الموطنون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون وحسن الخلق ان يكون سهل العريكة لين الجانب طليق الوجه قليل النفور طيب الكلمة وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاوصاف فقال اهل الجنة كل هين لين سهل

طليق ولما ذكرنا هذه الاوصاف من حدود مقدرة ومواقع مستحقة كما قال الشاعر  
 \* اصفو واكدر احيانا مختبرى \* وليس مستحسنا صفو بلا كدر \*  
 وليس يريد بالكدر الذي هو البذاء وشراسة الخلق فان ذلك ذم لا يستحسن  
 وعيب لا يرتضى وانما يريد الكف والانتقباض في موضع يلام فيه المساعد ويذم  
 فيه الموافق فاذا كانت لمحاسن الاخلاق حدود مقدرة ومواقع مستحقة فان  
 تجاوز بها الحد صارت ملقا وان عدل بها عن مواضعها صارت نفاقا والملق  
 ذل والنفاق لؤم وليس لمن وسم بهما ود مبرور ولا اثر مشكور وقد روى حكيم  
 عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتر الناس  
 ذو الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه وروى مكحول عن ابي هريرة  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يندخى لذى الوجهين ان يكون وجهها  
 عند الله تعالى وقال سعيد بن عروة لان يكون لى نصف وجه ونصف لسان على  
 ما فيهما من قبح المنظر وعجز الخبر احب الى من ان يكون ذا وجهين وذا  
 لسانين وذا قولين مختلفين وقال الشاعر

\* خل النفاق لاهله \* وعليك فالتس الطريقة \*  
 \* وارغب بنفسك ان ترى \* الا عدوا او صديقا \*

❖ وقال ابراهيم بن محمد ❖

\* وكم من صديق وده بلسانه \* خُون بظهر الغيب لا يتذم \*  
 \* يضاحكنى عجباً اذا ما لقيته \* ويصدقني منه اذا غبت اسهم \*  
 \* كذلك ذو الوجهين يرضيك شاهدا \* وفي غيبه ان غاب صاب وعلاتم \*

وربما تغير حسن الخلق والوطاء الى الشراسة والبذاء لاسباب عارضة وامور  
 طارئة تجعل اللين خشونة والوطاء غلظة والطلاقة عبوسا \* فن اسباب ذلك  
 الولاية التي تحدث في الاخلاق تغيرا وعلى الخلقاء تنكرا اما من لؤم طبع واما  
 من ضيق صدر وقد قيل من تاء في ولايته ذل في عزله وقيل ذل العزل يضحك  
 من تبه الولاية ومنها العزل فقد يسوء به الخلق ويضيق به الصدر اما لشدة  
 اسف او لقلّة صبر حتى حميد الطويل ان عمار بن ياسر عزل عن ولاية فاشتد  
 ذلك عليه وقال انى وجدتها حلوة الرضاع مرة الفطام \* ومنها الغنى فقد



تغير به اخلاق اللئيم بطرا وتسوء طرائقه اشرا وقد قيل من نال استطال وانشد  
الرياشي

\* غضبان يعلم ان المال ساق له \* مالم يسقه له دين ولا خلق \*  
\* فمن يكن عن كرام الناس يسألني \* فأكرم الناس من كانت له ورق \*  
\* وقال بعض الشعراء \*

\* فان تكن الدنيا انالك ثروة \* فاصبحت ذا يسر وقد كنت ذا عسر \*  
\* لقد كشف الاثراء منك خلائقا \* من الاؤم كانت تحت ثوب من الفقر \*  
وبحسب ما افسده الغنى كذلك يصلحه الفقر وكتب قتيبة بن مسلم الى الحجاج  
ان اهل الشام قد التاثوا عليه فكتب اليه ان اقطع عنهم الارزاق ففعل فسأت  
حالهم فاجتمعوا اليه فمالوا أفلنا فكتب الى الحجاج فيهم فكتب اليه ان كنت  
انست منهم رشدا فأجر عليهم ما كنت تجرى واعلم ان الفقر جنس الله الاكبر  
يذل به كل جبار عنيد يتكبر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لولا  
ان الله تعالى اذل ابن آدم بثلاث ما طأ رأسه لشيء الفقر والمرض والموت \*  
ومنها الفقر فقد تغير به الخلق اما انفة من ذل الاستكانة او اسفا على فائت  
الغنى ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم كاد الفقر ان يكون كفرا وكاد الحسد  
ان يغلب القدر وقال ابو تمام الطائي

\* واسب حالات ابن آدم خلقه \* يضل اذا فكرت في كنهه الفكر \*  
\* فيفرح بالشيء القليل بقاؤه \* ويحزن مما صار وهو له زخر \*  
وربما تسلى من هذه الحالة بالاماني وان قل صدقها فقد قيل قل ما تصدق  
الامنية ولكن قد يعناض بها سلوة من هم او مسرة برجاء وقد قال ابو العتاهية  
\* حرك منك اذا اغتمت فانهن مراوح \*

﴿ وقال آخر ﴾

\* اذا تميت بت الليل مغتبطا \* ان المنى راس اموال المغاليس \*  
ومنها الهموم التي تذهل اللب وتشغل القلب فلا تتبع الاحتمال ولا تقوى على  
صبر وقد قيل الهم كالمسم وقال بعض الادباء الحزن كالداء المخزون في قواد  
المخزون وقال بعض الشعراء

\* همومك بالعيش مقرونة \* لما تقطع العيش الابهيم \*

- \* اذا تم امر بدا نقصه \* ترقب زوالا اذا قيل تم \*
- \* اذا كنت في نعمة فارعها \* فان المعاصي تزيل النعم \*
- \* وحام عليها بشكر الاله فان الاله سريع النعم \*
- \* حلاوة ذبيك مسمومة \* فمأكل الشهد الالبس \*
- \* فكلم قدر دب في مهلة \* فلم يعلم الناس حتى هجم \*

ومنها الامراض التي يتغير بها الطابع كما يتغير بها الجسم فلا تبقى الاخلاق على اعتدال ولا يقدر معها على احتمال وقد قال المتنبي

- \* آلة العيش صحة وشباب \* فاذا وليا عن المرء ولى \*
- \* واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا \*
- \* واذا لم تجد من الناس كفؤا \* ذات خدر ارادت الموت بعلا \*
- \* ابدا تسترد ما تهب الدنيا فيا ليت جودها كان بخلا \*

❖ ومنها ❖ علو السن وحدوث الهرم لتأثيره في آلة الجسد كذلك يكون تأثيره في اخلاق النفس فكما يضعف الجسد عن احتمال ما كان يطيقه من اثقال فكذلك تعجز النفس عن اثقال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الوفاق ومضيق الشقاق وكذلك ما ضاهاه وقال منصور النمرى

- \* ما كنت اوفى شبابي كنه عزته \* حتى مضى فاذا الدنيا له تبع \*
- \* اصبت لم تطعمي ثكل الشباب ولم \* تشجى لغصته فلعذر لا يقع \*
- \* ما كان اقصر ايام الشباب وما \* ابقي حلاوة ذكراه التي تدع \*
- \* ما واجه الشيب من عين وان رمت \* الالهسا نبوة عنه ومردع \*
- \* قدكدت تقضي على فوت الشباب اسي \* لولا يعزيك ان العمر منقطع \*

فهذه سبعة اسباب احدثت سوء خلق كان عاما وههنا سبب خاص يحدث سوء خلق خاص وهو البغض الذي تنفر منه النفس فحدث نفورا على البغض فيؤول الى سوء خلق يخصه دون غيره فاذا كان سوء الخلق حائثا بسبب كان زواله مقرونا بزوال ذلك السبب ثم بالضد ❖ الفصل الثالث في الحياء ❖ اعلم

ان الخير والشر معال كاملة تعرف بسمات دالة كما قالت العرب في امثالها تخبر عن  
مجهولة مرآتها وكما قال عمر بن سلم الشاعر

\* لا تسأل المرء عن خلأته \* في وجهه شاهد من الخير \*

فسمة الخير الدعة والحياء وسمة الشر القحة والبذاء وكفى بالحياء خيرا ان يكون  
على الخير دليلا وكفى بالقحة والبذاء شرا ان يكونا الى الشر سبيلا وقد روى  
حسان بن عطية عن ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء  
والعقوبة شعبتان من الايمان والبذاء والبيان شعبتان من النفاق ويشبه ان يكون  
العقوبة في معنى السمات والبيان في معنى التشاؤم كما جاء في الحديث الآخر  
ان ابغضكم الى الثرثارون المتفيهكون المتشققون وروى ابو سلمة عن  
ابي هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الحياء من الايمان  
والايمان في الجنة والبذاء من الجفاء والجفاء في النار وقال بعض الحكماء من كساه  
الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه وقال بعض البنائ حياة الوجه بحياة كما ان حياة  
الفرس بماه وقال بعض البلغاء العلماء يا مجبا كيف لا تستحي من كثرة ما لا  
تستحي وتبقي من طول ما لا تبتقي وقال بعض الشعراء وهو صالح بن عبد القدوس

\* اذا قل ماء الوجه قل حياؤه \* ولا خير في وجهه اذا قل ماؤه \*

\* حياؤك فاحفظه عليك وانما \* يدل على فعل الكريم حياؤه \*

وليس لمن سلب الحياء صاد عن قبيح ولا زاجر عن محذور فهو يقدم على ما  
يشاء وبأتى ما يهوى وبذلك جاء الخبر روى شعبة عن منصور بن ربيعي عن  
ابي منصور البدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من  
كلام النبوة الاولى يا ابن آدم اذا لم استحي فاصنع ما شئت وليس هذا القول  
اغراء بفعل المعاصي عند قلبه الحياء كما توهمه بعض من جهل معاني الكلام  
ومواضع الخطب وفي مثل هذا الخبر قول الشاعر

\* اذا لم تخش عاقبة الاليالى \* ولم تستحي فاصنع ما تشاء \*

\* فلا والله ما في العيش خير \* ولا الدنيا اذا ذهب الحياء \*

\* يعيش المرء ما استحي بخير \* ويبقى العود ما بقي للحاء \*

واختلف اهل العلم في معنى هذا الخبر فقال ابو بكر بن محمد الشاشي في اصول

الفقه معنى هذا الحديث ان من لم يستحي دعاه ترك الحياء الى ان يعمل ما يشاء لا يردعه عنه رادع فليستحي المرء فان الحياء يردعه وسمعت من يحيى عن ابى بكر الرازى من اصحاب ابى حنيفة ان المعنى فيه اذا عرضت عليك افعالك التى هممت بفعلها فلم تستحي منها لحسنها وجمالها فاصنع ما شئت منها فجعل الحياء حكما على افعاله وكلا القولين حسن والاول اشبه لان الكلام خرج من النبى صلى الله عليه وسلم مخرج الذم لا مخرج المدح لكن قد جاء الحديث بما يضاهاى القول الثانى وهو قوله صلى الله عليه وسلم ما احببت ان تسمعه اذ نك فأتته وما كرهت ان تسمعه اذ نك فاجتنبه ويجوز ان يحمل هذا الحديث على المعنى الصريح فيه ويكون التأويل الاول فى الحديث المتقدم اصح اذ ليس يلزم ان تكون احاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها متفقة المعانى بل اختلاف معانيها ادخل فى الحكمة وابلغ فى الفصاحة اذ لم يصاد بعضها بعضا واعلم ان الحياء فى الانسان قد يكون من ثلاثة اوجه احدها حياؤه من الله تعالى والثانى حياؤه من الناس والثالث حياؤه من نفسه فاما حياؤه من الله تعالى فيكون بامثال اوامره والكف عن زواجره وروى ابن مسعود ان النبى صلى الله عليه وسلم قال استحيوا من الله عز وجل حق الحياء فقيل يا رسول الله فكيف نستحي من الله عز وجل حق الحياء قال من حفظ الرأس وما حوى والبطن وما وعى وترك زينة الحياة الدنيا وذكر الموت والبلى فقد استحيى من الله عز وجل حق الحياء وهذا الحديث من ابلغ الوصايا وقال ابو الحسن الماوردى مصنف الكتاب رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام ذات ليلة فقلت يا رسول الله اوصنى فقال استحيى من الله عز وجل حق الحياء ثم قال تغير الناس قلت وكيف ذلك يا رسول الله قال كنت انظر الى الصبي فارسى من وجهه البشر والحياء وانا انظر اليه اليوم فلا ارى ذلك فى وجهه ثم تكلم بعد ذلك بوصايا وعظات تصورتها واذهلنى السرور عن حفظها ووددت انى لو حفظتها فلم يبدأ بشئ صلى الله عليه وسلم قبل الوصية بالحياء من الله عز وجل وجعل ما سلبه الصبي من البشر والحياء سببا لتغير الناس وخص الصبي لان ما يأتيه بالطبع من غير تكلف فصلى الله وسلم على من هدى امته وتابع انذارها وقطع اعذارها واصل تأديبها

وحفظ تهذيبها وجعل لكل عصر حظا من زواجه ونصيبا من اوامره اعانا الله على قبولها بالعمل وعلى استدامتها بالتوفيق وقد روى ان علقمة بن علانة قال يا رسول الله عظني فقال النبي صلى الله عليه وسلم استحي من الله تعالى استحياءك من ذوى الهيبة من قومك وهذا الحياء يكون من قوة الدين وصحة اليقين ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم قلة الحياء كفر يعنى من الله لما فيه من مخالفة اوامره وقال صلى الله عليه وسلم الحياء نظام الايمان فاذا انحل نظام الشئ تبدد ما فيه وتفرق واما حياؤه من الناس فيكون بكف الاذى وترك المجاهرة بالقبیح وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اتقى الله اتقى الناس وروى ان حذيفة بن اليمان اتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا فتكذب الطريق عن الناس وقال لا خير فيمن لا يستحي من الناس وقال بشار ابن برد

- \* ولقد اصرف الفؤاد عن الشئ حياء وحبسه في السواد \*
  - \* امسك النفس بالعفاف وامسى \* ذاكرا في غد حديث الاعادى \*
- وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من ألقى جلباب الحياء فلا رغبة له يعنى والله اعلم لقلة مروءته وظهور شهوته وروى الحسن عن ابى هريرة قال قال صلى الله عليه وسلم ان مروءة الرجل ممشاه ومدخله ومخرجه ومجلسه والفه وجلسه وقال بعض الشعراء
- \* ورب قبيحة ما حال بيني \* وبين ركوبها الاحياء \*
  - \* اذا رزق الفتى وجها وقاما \* تقلب في الامور كما يشاء \*

❖ وقال آخر ❖

- \* اذالم تصن عرضا ولم تخش خالقا \* وتستحي مخلوقا فما شئت فاصنع \*
- واما حياؤه من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات وقال بعض الحكماء ليكن استحيائك من نفسك اكثر من استحيائك من غيرك وقال بعض الادباء من عمل في السر عملا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر ودعا قوم رجلا كان يألف عشرتهم فلم يجبههم وقال انى دخلت البارحة في الاربعين وانا استحي من سنى وقال بعض الشعراء

\* فسرى واعلاني وتلك خليقتي \* وظلمة ليلي مثل ضوء نهارى \*

وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس وحسن السريرة متى كمل  
حياء الانسان من وجوهه الثلاثة فقد كملت فيه اسباب الخير وانتفت عنه اسباب  
الشر وصار بالفضل مشهورا وبالجميل مذكورا وقال بعض الشعراء

\* وانى ليثيني عن الجهل والحياء \* وعن شتم ذى القربى خلأثق اربع \*

\* حياء واسلام وتقوى وطاعة \* لربى ومثلى من يضر وينفع \*

وان اخل باحد وجوه الحياء لحقه من النقص باخلاله بقدر ما كان يلحقه من  
الفضل بكماله وقد قال الرياشي يقال ان ابا بكر الصديق رضى الله عنه كان  
يتمثل بهذا الشعر

\* وحاجة دون اخرى فد سحت لها \* جعلتها للتي اخفيت عنوانا \*

\* انى كأتى ارى من لا حياء له \* ولا امانة وسط القوم عريانا \*

❖ الفصل الرابع فى الحلم والغضب ❖ روى محمد بن حارث الهلالى ان جبريل  
نزل على النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد انى اتيتك بمكارم الاخلاق فى  
الدنيا والآخرة خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين وروى سفيان  
ابن عيينة ان النبي صلى الله عليه وسلم حين نزلت هذه الآية قال يا جبريل ما هذا  
قال لا ادرى حتى اسأل العالم ثم عاد جبريل وقال يا محمد ان ربك يأمرك ان تصل  
من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وروى هشام عن الحسن ان  
النبي صلى الله عليه وسلم قال أىعجز احدكم ان يكون كاذبا ضمضم كان اذا خرج  
من منزله قال اللهم انى تصدقت بعرضى على عبادك وروى عن النبي صلى الله  
عليه وسلم انه قال ان الله يحب الخليم الحى ويبغض الفاحش البذى وقال عليه  
الصلاة والسلام من حلم ساد ومن تفهم اذنا وقال بعض الادباء من غرس شجرة  
الحلم اجتنى ثمرة السلم وقال بعض البلغاء ما ذب عن الاعراض كالصفح والاعراض  
وقال بعض الشعراء

\* احب مكارم الاخلاق جهدى \* واسكره ان اعيب وان اعابا \*

\* واصفح عن سباب الناس حلما \* وشر الناس من يهوى السبابا \*

\* ومن هاب الرجال تهيبوه \* ومن حقر الرجال فلن يهابا \*

فالحلم من اشرف الاخلاق واحقها بذوى الالباب لما فيه من سلامة العرض وراحة الجسد واجتلاب الحمد وقد قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اول عوض الحليم عن حبه ان الناس انصاره وخذ الحلم ضبط النفس عن هيجان الغضب وهذا يكون عن باعث وسبب واسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس عشرة ❖ احدها ❖ الرحمة للجهال وذلك من خير يوافق رقة وقد قيل في مشور الحكم من اوكد الحلم رجة الجهال وقال ابو الدرداء رضى الله عنه لرجل اسمعه كلاما يا هذا لا تغرقن في سبنا ودع للصالح موضعا فاننا لا نكافئ من عصى الله فينا باكثر من ان نطيع الله عز وجل فيه وشتم رجل الشعي فقال ان كنت كما قلت فغفر الله لي وان لم اكن كما قلت فغفر الله لك واغتاضت عائشة رضى الله عنها على خادم لها ثم رجعت الى نفسها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء وقسم معاوية رضى الله عنه قطافا فاعطى شيخا من اهل دمشق قطبقة فلم تجعبه فحلف ان يضرب بها رأس معاوية فاتاه فاخبره فقال له معاوية اوف بذكرك ويرفق الشيخ بالشيخ ❖ والثاني ❖ من اسبابه القدرة على الانتصار وذلك من سعة الصدر وحسن الثقة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو شكرا للقدرة عليه وقال بعض الحكماء ليس من الكرم عقوبة من لا يجد امتناعا من السطوة وقال بعض البلغاء احسن المكارم عفو المقدر وجود المقنقر ❖ والثالث ❖ من اسبابه الترفع عن السباب وذلك من شرف النفس وعلو الهمة كما قالت الحكماء شرف النفس ان تحمل المكاره كما تحمل المنكرم وقد قيل ان الله تعالى سمي يحيى عليه السلام سيدا الخيمة وقد قال الشاعر

\* لا يبلغ المجد اقوام وان كرموا \* حتى بذلوا وان عزوا لاقوام \*  
 \* ويشتموا فترى الالوان مسفرة \* لا صفتح ذل ولكن صفتح احلام \*  
 ❖ والرابع ❖ من اسبابه الاستهانة بالمسئ وذلك عن ضرب من الكبر والاعجاب كما حكى عن مصعب بن الزبير انه لما ولى العراق جلس يوما لعطاء الجند وامر مناديه فنادى ابن عمرو بن جرموز وهو الذى قتل اباة الزبير فقيل له ايها الامير انه قد تباعد في الارض فقال أو ينظن الجاهل انى اقيده بابى عبد الله فليظهر

آمناً ليأخذ عطائه موفراً فعد الناس ذلك من مستحسن الكبر ومثل ذلك قول بعض الزعماء في شعره

\* أوكلهما طن الذباب طردته \* ان الذباب اذا على كريم \*  
 وأكثر رجل من سب الاحنف وهو لا يجيبه فقال والله ما منعه من جوابي الا هوانى عليه وفي مثله يقول الشاعر

\* نجا بك لؤمك منجى الذبا \* ب حتمه مفاذيره ان ينالا \*  
 واسمع رجل ابن هبيرة فأعرض عنه فقال له الرجل اياك اعنى فقال له وعنك اعرض وفي مثله يقول الشاعر

\* فاذهب فانك طليق عرضك انه \* عرض عززت به وانت ذليل \*  
 ❀ وقال عمرو بن على ❀

\* اذا نطق السفية فلا تجبه \* فخير من اجابته السكوت \*  
 \* سكت عن السفية فظن انى \* عيت عن الجواب وما عيت \*

❀ والحادس ❀ من اسبابه الاستحياء من جزاء الجواب وهذا يكون من صيانة النفس وكال المروءة وقد قال بعض الحكماء احتمال السفية خير من التحلى بصورته والاعضياء عن الجاهل خير من مشاكلته وقال بعض الادباء ما الحش حلیم ولا او حش كريم وقال لقيط بن زرارۃ

\* وقل لبني سعد فالى وما لكم \* ترقون منى ما استطعتم واعتسق \*  
 \* أغركم انى باحسـن شيمـة \* بصير وانى بالفواحش اخرج \*  
 \* وان تك قد فاحشـتى فقهرتـنى \* هنيئاً مريئاً انت بالفحش احذق \*

❀ والسادس ❀ من اسبابه التفضل على السباب فهذا يكون من الكرم وحب التألف كما قيل للاسكندر ان فلانا وفلانا يتقصانك ويثلبانك فلو عاقبتهمما فقال هما بعد العقوبة اعذر فى تقصى وثلبى فكان هذا تفضلا منه وتألفا وقد حكى عن الاحنف بن قيس انه قال ما عادانى احد قط الا اخذت فى امره باحدى ثلاث خصال ان كان اعلى منى عرفت له قدره وان كان دونى رفعت قدرى عنه وان كان نظيرى تفضلت عليه فاخذة الخليل فنظمه شعرا فقال

\* سأزيم نفسى الصفح عن كل مذنب \* وان كثرت منه الى الجرائم \*



- \* فما الناس الا واحد من ثلاثة \* شريف ومشروف ومثل مقاوم \*
- \* فاما الذى فوق فأعرف قدره \* واتبع فيه الحق والحق لازم \*
- \* واما الذى دونى فأحلم دائماً \* اصون به عرضى وان لام لأثم \*
- \* واما الذى مثلى فان زل او هفا \* تفضلت ان الفضل بالفخر حاكم \*

﴿ والسابع ﴾ من اسبابه استنكاف السباب وقطع السباب وهذا يكون من الحزم كما حكى ان رجلاً قال لضرار بن القعقاع والله لو قلت واحدة لسمعت عشرة فقال له ضرار والله لو قلت عشرة لم تسمع واحدة وحكى ان على ابن ابي طالب كرم الله وجهه قال لعامر بن مرة الزهرى من احق الناس قال من ظن انه اعقل الناس قال صدقت فمن اعقل الناس قال من لم يتجاوز الصمت فى عقوبة الجهال وقال الشعبي ما ادركت امى فابرها ولكن لاسب احدافيسبها وقال بعض الحكماء فى اعراضك صون اعراضك وقال بعض الشعراء

- \* وفى الحلم ردع للسفيه عن الاذى \* وفى الخرق اغراء فلاتك اخرقا \*
- \* فتدم اذلا تفغفك ندامة \* كما ندم المغبون لما تفرقا \*

﴿ وقال آخر ﴾

- \* قل ما بدالك من زور ومن كذب \* حلمى اصم واذنى غير صماء \*
- ﴿ والثامن ﴾ من اسبابه الخوف من العقوبة على الجواب وهذا يكون من ضعف النفس وربما اوجبه الرأى واقتضاه الحزم وقد قيل فى منشور الحكم الخلم حجاب الآفات وقال الشاعر

- \* ارفق اذا خفت من ذى هفوة خرقا \* ليس الحليم كمن فى امره خرق \*
- ﴿ والتاسع ﴾ من اسبابه الرعاية ليد سالفه وحرمة لازمة وهذا يكون من الوفاء وحسن العهد وقد قيل فى منشور الحكم اكرم الشيم ارعاها للذم وقال الشاعر
- \* ان الوفاء على الكريم فريضة \* واللؤم مقرون بنى الاخلاف \*
- \* وترى الكريم لمن يعاشر منصفا \* وترى الثيم بجانب الانصاف \*
- ﴿ والعاشر ﴾ من اسبابه المكر وتوقع الفرص الخفية وهذا يكون من الدهاء وقد قيل فى منشور الحكم من ظهر غضبه قل كيده وقال بعض الادباء غضب

الجاهل في قوله وغضب العاقل في فعله وقال بعض الحكماء اذا سكنت عن الجاهل فقد اوسعته جوابا واوجعته عتابا وقال اياس بن قتادة

\* تعاقب ايدينا ويحلم رأينا \* ونشتم بالافعال لا بالتكلم \*  
\* وقال بعض الشعراء \*

\* ولكف عن شتم اللئيم تكرما \* اضر له من شتمه حين يشتم \*  
فهذه عشرة اسباب تدعو الى الحلم وبعض الاسباب افضل من بعض وليس اذا كان بعض اسبابه مفضولا ما يقتضى ان تكون نتيجته من الحلم مذمومة وانما الاولى بالاذن ان يدعو للحلم افضل اسبابه وان كان الحلم كله فضلا وان عرى عن احد هذه الاسباب كان ذللا ولم يكن حلالنا قد ذكرنا في حد الحلم انه ضبط النفس عن هيجان الغضب فاذا فقد الغضب لجماع ما يغضب كان ذلك من ذل النفس وقلة الحمية وقد قالت الحكماء ثلاثة لا يعرفون الا في ثلاثة مواطن لا يعرف الجواد الا في العسرة والشجاع الا في الحرب والحليم الا في الغضب وقال الشاعر  
\* ليست الاحلام في حال الرضى \* انما الاحلام في حال الغضب \*

\* وقال آخر \*

\* من يدعى الحلم أغضبه لتعرفه \* لا يعرف الحلم الاساعة الغضب \*  
وانشد النابغة الجعدي بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم  
\* ولا خير في حلم اذا لم يكن له \* بوادر تحمي صفوه ان يكدر \*  
\* ولا خير في جهل اذا لم يكن له \* حلیم اذا ما اورد الامر اصدرا \*  
فلم ينكر صلى الله عليه وسلم قوله عليه ومن فقد الغضب في الاشياء المغضبة حتى استوت حالته قبل الاغضب وبعده فقد عدم من فضائل النفس الشجاعة والانفة والحمية والغيرة والدفاع والاخذ بالثار لانها خصال مركبة من الغضب فاذا عدمها الانسان هان بها ولم يكن لباقي فضائله في النفوس موضع ولا لوفور حلمه في القلوب موقع وقد قال المنصور اذا كان الحلم مفسدة كان العفو معجزة وقال بعض الحكماء العفو يفسد من اللئيم بقدر اصلاحه من الكريم وقال عمرو بن العاص اكرموا سفهاءكم فانهم يقونكم العار والشنار وقال مصعب بن الزبير ما قل سفهاء قوم الا ذلوا وقال ابو تمام الطائي

\* والحرب تركب رأسها في مشهد \* عدل السفية به بالف حلیم \*  
 وليس هذا القول اغراء بتحكم الغضب والانتقياد اليه عند حدوث ما يغضب  
 فيكسب بالانتقياد للغضب من الرذائل اكثر مما يسلبه عدم الغضب من الفضائل  
 ولكن اذا ثار به الغضب عند هجوم ما يغضبه كف سورته بحزمه واطفاً نأثرته  
 بحلمه ووكل من استحق المقابلة الي غيره ولم يعدم مسيئاً مكافياً كما لم يعدم محسناً  
 مجازياً والعرب تقول دخل بيتا ما اخرج منه اي ان اخرج منه خير دخله خير وان  
 اخرج منه شر دخله شر وانشد ابن دريد عن ابي حاتم

\* اذا امن الجهال جهلك مرة \* فعرضك للجهال غم من الغم \*  
 \* فعم عليه الحلم والجهل والقه \* بمنزلة بين العداوة والسلم \*  
 \* اذا انت جازيت السفية كما جرى \* فانت سفية مثله غير ذى حلم \*  
 \* ولا تغضبن عرض السفية وداره \* بحلم فان اعيا عليك فبالصرم \*  
 \* فيرجوك تارات ويخشاك تارة \* ويأخذ فيما بين ذلك بالحزم \*  
 \* فان لم تجد بدا من الجهل فاستعن \* عليه بجهال فذاك من العزم \*

وهذه من احكم آيات وجدتها في تدبير الحلم والغضب وهذا التدبير انما يستعمل  
 فيما لا يجد الانسان بدا من مقارنته ولا سبيل الى اطراحه ومنازكته اما لخوف  
 شره او للزوم امره فاما من امكن اطراحه ولم يضرب ابعاده فالهوان به اولى  
 والاعراض عنه اصوب فاذا كان على ما وصفت استفاد بتحرك الغضب فضائله  
 وامن بكف نفسه عن الانتقياد له رذائله وصار الحلم مدبراً للامور المغضبة بقدر  
 لا يعتره نقص بعدم الغضب ولا يلحقه زيادة بفقد الحلم ولو عذب عنه الحلم حتى  
 انقاد لغضبه ضل عنه وجه الصواب فيه وضعف رأيه عن خيرة اسبابه ودواعيه  
 حتى يصير بليد الرأي مغمور الزوية مقطوع الحجة مسلوب العزاء قليل الخيلة  
 مع ما يناله من اثر ذلك في نفسه وجسده حتى يصير اضر عليه مما غضب له  
 وقد قال بعض الحكماء من كثر شططه كثر غلطه وروى ان سلمان قال لعلي  
 رضى الله عنه ما الذى يساعدنى عن غضب الله عز وجل قال لا تغضب وقال  
 بعض السلف اقرب ما يكون العبد من غضب الله عز وجل اذا غضب وقال  
 بعض البلغاء من رد غضبه هد من اغضبه وقال بعض الادباء ما هيج جاشك

كعظ اجاشك وقال رجل لبعض الحكماء عظمى قال لا تغضب فينبغي  
لذى اللب السوى والحزم القوى ان يتلقى قوة الغضب بحمله فيصدها ويقابل  
دواعى شرته بحزمه فيردها ليحظى باجل الخبرة ويسعد بحميد العاقبة وقال بعض  
الادباء فى اغضابك راحة اعصابك وسبب الغضب هجوم ما تكرهه النفس ممن  
دونها وسبب الحزن هجوم ما تكرهه النفس ممن فوقها والغضب يتحرك  
من داخل الجسد الى خارجه والحزن يتحرك من خارج الجسد الى داخله  
فلذلك قتل الحزن ولم يقتل الغضب لبروز الغضب وكون الحزن وصار  
الحادث عن الغضب السطوة والانتقام لبروزه والحادث عن الحزن المرض  
والاستقام لكونه ولذلك افضى الحزن الى الموت ولم يفض اليه الغضب فهذا  
فرق ما بين الحزن والغضب • واعلم ان لتسكين الغضب اذا هجم اسبابا  
يستعان بها على الحلم \* منها \* ان يذكر الله عز وجل فيدعو، ذلك الى الخوف  
منه ويبعثه الخوف منه على الطاعة له فيرجع الى ابيه ويأخذ بنديه فعند ذلك  
يزول الغضب قال الله تعالى واذكر ربك اذا نسيت قال عكرمة يعنى اذا غضبت  
وقال الله تعالى واما ينزغتك من الشيطان نزغ فاستعد بالله ومعنى قوله ينزغتك  
اى يغضبك فاستعد بالله انه هو السميع العليم يعنى انه سميع بجهل من جهل  
عليم بما يذهب عنك الغضب وذكر ان فى التوراة مكتوبا يا ابن آدم اذكرنى  
حين تغضب اذكرك حين اغضب فلا امحك فيمن امحك وحكى ان بعض ملوك  
الفرس كتب كتابا ودفعه الى وزير له وقال اذا غضبت فتاولنيه وكان فيه مالك  
والغضب انما انت بشر ارحم من فى الارض يرحك من فى السماء وقال بعض  
الحكماء من ذكر قدرة الله لم يستعمل قدرته فى ظلم عباد الله وقال عبد الله بن  
مسلم بن محارب لهارون الرشيد يا امير المؤمنين اسألك بالذى انت بين يديه اذل  
منى بين يديك وبالذى هو اقدر على عقابك منك على عقابى لسا عفوت عنى فعفى  
عنه لما ذكره قدرة الله تعالى وروى ان رجلا شكوا الى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم القسوة فقال اطلع فى القبور واعتبر بالنشور وكان بعض ملوك الطوائف  
اذا غضب التى عنده مفايح ترب الملوك فيزول غضبه ولذلك قال عمر رضى الله  
عنه من اكثر من ذكر الموت رضى من الدنيا باليسير \* ومنها \* ان ينتقل عن

الحالة التي هو فيها الى حالة غيرها فيزول عنه الغضب بتغير الاحوال والتنقل من حال الى حال وكان هذا مذهب المأمون اذا غضب او شتم وكانت انفس تقول اذا غضب القائم فليجلس واذا غضب الجالس فليقم ﴿ ومنها ﴾ ان يذكر ما يؤول اليه الغضب من الندم ومذمة الانتقام وكتب ابرويز الى ابنه شيرويه ان كلمة منك تسفك دما واخرى منك تحقن دما وان نفاذ امرك مع كلامك فاحترس في غضبك من قولك ان تحطى ومن لوتك ان يتغير ومن جسدك ان يخف فان الملوك تعاقب قدرة وتعفو حملا وقال بعض الحكماء الغضب على من لا تملك عجز وعلى من تملك لؤم وقال بعض الادباء اياك وعزة الغضب فانها تفضى الى ذل العذر وقال بعض الشعراء

\* واذا ما اعتراك في الغضب العزة فاذكر تذلل الاعذار \*  
 ﴿ ومنها ﴾ ان يذكر ثواب العفو وجزاء الصفيح فيقهر نفسه على الغضب رغبة في الجزاء والثواب واذرا من استحقاق الذم والعقاب روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ينادى مناد يوم القيامة من له اجر على الله عز وجل فليقم فيقوم العافون عن الناس ثم تلا في عفا واصلح فاجره على الله وقال رجاء بن حية لعبد الملك بن مروان في اسارى ابن الاشعث ان الله قد اعطاك ما تحب من الظفر فأعط الله ما يحب من العفو وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخير ثلاث خصال فمن كن فيه فقد استكمل الايمان من اذا رضى لم يدخله رضاه في باطل واذا غضب لم يخرج غضبه من حق واذا قدر عني واسمع رجل عمر بن عبد العزيز كلاما فقال عمر اردت ان يستغزني الشيطان لعزة السلطان فانال منك اليوم ما تناله مني غدا انصرف رجلك الله ﴿ ومنها ﴾ ان يذكر انعطاف القلوب عليه وميل النفوس اليه فلا يرى اضعاف ذلك بتغير الناس عنه فيرغب في التألف وجعل الشاء وروى ابن ابي ليلى عن عطية عن ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ازداد احد بعفو الا عزا فاعفوا يعزكم الله وقال بعض البلغاء ليس من عادة الكرام سرعة الانتقام ولا من شروط الكرم ازالة النعم وقال المأمون لابراهيم بن المهدي اني شاورت في امرك فاشاروا علي بقتلك الا اني وجدت قدرك فوق ذنبك فكبرهت القتل

للأزم حرمتك فقال يا امير المؤمنين ان المشير اشار بما جرت به العادة في السياسة  
الا انك ابيت ان تطلب النصر الا من حيث عودته من العفو فان عاقبت فلك  
نظير وان عفوت فلا نظير لك وانثأ يقول

- \* البر بي منك وطأ العذر عندك لى \* فيما فعلت فلم تعذل ولم تلم \*
- \* وقام علمك بي فاحجج عندك لى \* مقام شاهد عدل خير منهم \*
- \* لئن جحدتك معروفا مننت به \* انى لنى اللؤم احظى منك بالكرم \*
- \* تعفو بعدل وتسطو ان سطوت به \* فلا عدمتك من عاف ومتمم \*

❖ الفصل الخامس في الصدق والكذب ❖ قال الله تعالى وهو اصدق القائلين  
ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وقال تعالى انما يفتري الكذب الذين لا  
يؤمنون بأيات الله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال للحسن بن علي  
رضي الله عنهما دع ما يريك الى ما لا يريك فان الكذب رية والصدق طمأنينة  
وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله امرءا اصالح من لسانه واقصر من  
عنانه والزم طريق الحق مقوله ولم يعود الخطل مفضله وروى صفوان بن سليم  
قال قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ايه يكون المؤمن جبانا قال نعم قيل افيكون بخيلا  
قال نعم قيل افيكون كذابا قال لا وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى ولا  
تبسوا الحق بالباطل اى لا تخلطوا الصدق بالكذب وقيل في مشور الحكم  
الكذاب لص لان اللص يسرق مالك والكذاب يسرق عقلك وقال بعض الحكماء  
الحرس خير من الكذب وصدق اللسان اول السعادة وقال بعض البلغاء الصادق  
مصان خليل والكاذب مهان ذليل وقال بعض الادباء لا سيف كالحق ولا عون  
كالصدق وقال بعض الشعراء

- \* وما شئ اذا فكرت فيه \* باذهب للمروءة والجمال \*
- \* من الكذب الذى لا خير فيه \* وابعد بالبهاء من الرجال \*

والكذب جماع كل شر واصل كل ذم لسوء عواقبه وخبث نتائجه لانه ينتج  
النيمة والنيمة تنتج البغضاء والبغضاء تؤول الى العداوة وليس مع العداوة امن  
ولا راحة ولذلك قيل من قل صدقه قل صديقه والصدق والكذب يدخلان

الاخبار الماضية كما ان الوفاء والخلف يدخلان المواعيد المستقبلة فالصدق هو الاخبار عن الشيء على ما هو عليه والكذب هو الاخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه ولكل واحد منها دواعي فدواعي الصدق لازمة ودواعي الكذب عارضة لان الصدق يدعو اليه عقل موجب وشرع مؤكد فالكذب يمنع منه العقل ويصد عنه الشرع ولذلك جاز ان تستفيض الاخبار الصادقة حتى تصير متواترة ولم يجوز ان تستفيض الاخبار الكاذبة لان اتفاق الناس في الصدق والكذب انما هو لاتفاق الدواعي فدواعي الصدق يجوز ان يتفق الجميع الكثير عليها حتى اذا تلقوا خبرا وكانوا عددا يفتني عن مثلهم المواطأة وقع في النفس صدقه لان الدواعي اليه نافعة واتفاق الناس في الدواعي النافعة ممكن ولا يجوز ان يتفق العدد الكثير الذي لا يمكن مواطأة مثلهم على نقل خبر يكون كذبا لان الدواعي اليه غير نافعة وربما كانت ضارة وليس في جاري العادة ان يتفق الجميع الكثير على دواعي غير نافعة ولذلك جاز اتفاق الناس على الصدق لجواز اتفاق دواعيهم ولم يجوز ان يتفقوا على الكذب لامتناع اتفاق دواعيهم واذا كان للصدق والكذب دواعي فلا بد من ذكر ما سنبه الحاسط من دواعيها \* اما دواعي الصدق \* فتبها \* العتل لانه موجب لقبح الكذب لاسيما اذا لم يجب نفعها ولم يدفع ضررا والعتل يدعو الى فعل ما كان مستحسنا ويمنع من اتيان ما كان مستهجا وليس ما استحسنته من مبالغات الشعراء حتى صار كذبا صراحا استحسانا للكذب في العقل كالذي انشدنيه الازدي لبعض الشعراء

\* توهمه فكري فاصبح خده \* وفيه مكان الوهم من فكري اثر \*  
 \* وصاغه كني فآلم كفه \* فن لمس كفي في انامله عقر \*  
 \* ومر يقبلي خاطرا فجرحتـه \* ولم ار شيئا قط يجرحه الفكر \*  
 \* وكقول العباس بن الاحنف وان كان دون هذه المبالغة ❖

\* تقول وقد كتبت دقيق خطي \* اليها لم تجنبت الجليلا \*  
 \* قتلت لها نخلت فصار خطي \* مساعدة لكتابه نحلا \*

لانه خرج مخرج المبالغة في التشبيه والاقتدار على صنعة الشعر وان شواهد الحال تخرجه عن تلبس الكذب وكذلك ما استحسنته في الصنعة ولم يستقيم

في العقل وان كان الكذب مستقبها فيه ❖ ومنها ❖ الدين الوارد باتباع الصدق وحظر الكذب لان الشرع لا يجوز ان يرد بارخاص ما حظره العقل بل قد جاء الشرع زائدا على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب لان الشرع ورد بحظر الكذب وان جر نفعاً او دفع ضرراً والعقل انما حظر ما لا يجلب نفعاً ولا يدفع ضرراً ❖ ومنها ❖ المروءة فانها مانعة من الكذب باعثة على الصدق لانها قد تمتع من فعل ما كان مستكرها فاولى من فعل ما كان مستقبها ❖ ومنها ❖ حب الثناء والاشتهار بالصدق حتى لا يرد عليه قول ولا يلحقه ندم وقد قال بعض البلاغاء ليكن مرجعك الى الحق ومزنعك الى الصدق فالحق اقوى معين والصدق افضل قرين وقال بعض الشعراء

\* عود لسائك قول الصدق تحظ به \* ان اللسان لما عودت معتاد \*  
 \* موكل بتقاضى ما سنت له \* في الخير والشرف انظر كيف تتراد \*  
 واما دواعى الكذب ❖ منها ❖ اجتلاب النفع واستدفاع الضر فيرى ان الكذب اسلم واغتم فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفافاً للطعم وربما كان الكذب ابعد لما يؤمل واقرب لما يخاف لان التبجح لا يكون حسناً والشر لا يصير خيراً وليس يجنى من الشوك العنب ولا من الكرم الخنظل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحمروا الصدق وان رأيتم فيه الهلكة فان فيه النجاة وتجنبوا الكذب وان رأيتم ان فيه النجاة فان فيه الهلكة وقال عمر ابن الخطاب رضى الله عنه لان يضعنى الصدق وقلما يفعل احب الى من ان يرفعنى الكذب وقلما يفعل وقال بعض الحكماء الصدق منجيك وان خفتسه والكذب مرديك وان امنته وقال الجاحظ الصدق والوفاء توأمان والصبر والحلم توأمان فيهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا واضدادهن سبب كل فرقة واصل كل فساد ❖ ومنها ❖ ان يؤثر ان يكون حديثه مستعذبا وكلامه مستظرفا فلا يجد صدقاً يعذب ولا حديثاً يستظرف فيستحلى الكذب الذى ليست غرائبه معوزة ولا ظرائفه مجزة وهذا النوع اسوأ حالا مما قبل لانه يصدر عن مهانة النفس ودناءة الهمة وقد قال الجاحظ لم يكذب احد قط الا لصغر قدر نفسه عنده وقال ابن المقفع لا تهاون بارسال الكذبة من الهزل فانها تسرع الى ابطال



الحق ﴿ ومنها ﴾ ان يقصد بالكذب التشفي من عدوه فيسمه بقبايح يخترعها عليه ويصفه بفضائح ينسبها اليه ويرى ان معرفة الكذب غنم وان ارسالها في العدو سهيم وسم وهذا اسوأ حالا من النوعين الاولين لانه قد جمع بين الكذب المعر والشر المضر ولذلك ورد الشرع برد شهادة العدو على عدوه ﴿ ومنها ﴾ ان تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى الفها فصار الكذب له عادة ونفسه اليه منقاد حتى لو رام مجانبته الكذب عسر عليه لان العادة طبع ان وقد قالت الحكماء من استحلى رضاع الكذب عسر فطامه وقيل في منشور الحكم لا يلزم الكذاب شيء الا غلب عليه ♦ واعلم ان للكذاب قبل خبرته امارات دالة عليه ﴿ فمنها ﴾ انك اذا لقته الحديث تلتفه ولم يكن بين ما لقته وبين ما اورده فرق عنده ﴿ ومنها ﴾ انك اذا شككته فيه تشكك حتى يكاد يرجع فيه ولولاك ما تخالجه الشك فيه ﴿ ومنها ﴾ انك اذا رددت عليه قوله حصر وارتيك ولم يكن عنده نصره المحتمين ولا برهان الصادقين ولذلك قال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الكذاب كالسراب ﴿ ومنها ﴾ ما يظهر عليه من ريبة الكذابين وينم عليه من ذلة المتوهمين لان هذه امور لا يمكن الانسان دفعها عن نفسه لما في الطبع من آثارها ولذلك قالت الحكماء العينان اتم من اللسان وقال بعض البلغاء الوجوه مر ايا تريك اسرار البرايا وقال بعض الشعراء

\* تريك اعينهم ما في صدورهم \* ان العيون يؤدي سرها النظر \*  
 واذ اتم بالكذب نسبت اليه شوارد الكذب الجهولة واضيفت الي الكاذبيه زيادات مفصلة حتى يصير الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين معرفة الكذب منه ومضرة الكذب عليه وقد قال الشاعر

\* حسب الكذوب من البلية بعض ما يحكى عليه \*  
 \* فاذا سمعت بكذبة \* من غيره نسبت اليه \*  
 ثم انه ان تحرى الصدق اتهم وان جانب الكذب كذب حتى لا يعتقد له حديث يصدق ولا كذب مستنكر وقد قال الشاعر  
 \* اذا عرف الكذاب بالكذب لم يكذب \* يصدق في شيء وان كان صادقا \*

\* ومن آفة الكذاب نسيان كذبه \* وتلتماه اذا حفظ اذا كان صادقا \*  
وقد وردت السنة بارخاص الكذب في الحرب واصلاح ذات اليمين على وجه  
التورية والتأويل دون التصريح به فان السنة لا يجوز ان ترد بباحة الكذب  
لما فيه من التنفير وانما ذلك على طريق التورية والتعريض كما سئل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وقد تطرف برداء وانفرد عن اصحابه فقال له رجل ممن انت  
قال من ماء فورى عن الاخبار بنسبه بامر يحتمل فظن السائل انه عن التبيلة  
المنسوبة الى ذلك وانما اراد رسول الله صلى الله عليه وسلم انه من الماء الذي  
يخلق منه الانسان فبلغ ما احب من اخفاء نفسه وصدق في خبره وكالذى حكى  
عن ابي بكر الصديق رضى الله عنه ان كان يسير خلف رسول الله صلى الله  
عليه وسلم حين هاجر معه فلما قام العرب وهم يعرفون ابا بكر ولا يعرفون رسول الله  
صلى الله عليه وسلم فيقولون يا ابا بكر من هذا فيقول هاد يهديني السبيل فيخفون  
انه يعنى هداية الطريق وهو انما يريد هداية سبيل الخير فيصدق في قوله ويورى  
عن مرانه وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان في المعارض ما  
لمندوحة عن الكذب وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان في المعارض ما  
يكفى ان يعف الرجل عن الكذب وقال بعض اهل التأويل في قوله تعالى لا  
تواخذني بما نسيت انه لم ينس ولكنه معارض الكلام وقال ابن سيرين الكلام  
اوسع من ان يصرح فيه بالكذب واعلم ان من الصدق ما يقوم مقام الكذب في  
القبح والمعرة ويزيد عليه في الاذى والمضرة وهى النبية والنميمة والسعاية فاما  
الغيبة فانها خيانة وهتك ستر يحدثان عن حسد وغدر قال الله تعالى ولا يغتب  
بعضكم بعضا يحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا يعنى انه كما لا يحل لحم ميتا  
لا يحل غيبته حيا وروى ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله  
عليه وسلم وجعلتا تغتابان الناس فاخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال صامتا  
عما احل لهما وافطرتا على ما حرم عليهما وروت اسماء بنت يزيد قالت قال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذب عن لحم اخيه بظهر الغيب كان حتما على  
الله عز وجل ان يحرم لحمه على النار وقال عدى بن حاتم الغيبة رعى اللثام وكان  
الحسن البصرى رحمه الله تعالى يقول الغيبة فاكهة النساء وقال رجل لابن

سيرين رجا: الله انى اغتبتك فاجعلنى فى حل فقال ما احب ان احل لك ما حرم  
الله عليك وقال ابن السماك لا تعن الناس على عيبك بسوء غيبك وقال الشاعر  
\* لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا \* فيهتك الله سترا من مساويك \*  
\* وادكر محاسن ما فيهم اذا ذكروا \* ولا تعب احدا منهم بما فيك \*  
وربما عذر المعتاب نفسه بانه يقول حقا ويعلم فسقا ويستشهد بما روى عن النبي  
صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة ليست غيبتهم بغيبة الامام الجائر وشارب الخمر  
والمعلم بفسقه فيبعد من الصواب ويجانب الادب لانه وان كان بالغيبة صادقا  
فقد هتك سترا كان بصونه اولى وجاهر من اسر واخفى وربما دعى المعتاب  
ذلك الى اظهار ما كان يستره والمجاهرة بما كان يضمره فلم يقد ذلك  
الافساد اخلاقه من غير ان يكون فيه صلاح غيره وقد قيل لانوشروان  
ما الذى لا خير فيه قال ما ضررتى ولم ينفع غيرى او ضر غيرى ولم ينفعنى فلا  
اعلم فيه خيرا وقيل فى مشور الحكم لا تبد من العيوب ما ستره علام الغيوب  
وقد روى العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابى هريرة قال سئل رسول الله  
صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال هى ان تقول لاختك ما فيه فان كنت  
صادقا فقد اغتبه وان كنت كاذبا فقد بهته وقال عبد الرحمن بن زيد فى قوله  
تعالى يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم انه  
استهزاء المسلم بن اعلن بفسقه ودخلت امرأة على النبي صلى الله عليه وسلم  
مستفتية فلما خرجت قالت عائشة رضى الله عنها يا رسول الله ما اقصرها فقال  
مهلا اياك والغيبة فقالت يا رسول الله انما قلت ما فيها قال اجل ولولا ذلك لكان  
بهتاننا وسئل بعض الادباء عن صفة اللئيم فقال اللئيم اذا غاب غاب عاب واذا حضر  
اغتاب فاما الخبر فمحمول على الانكار لافعال هؤلاء ولا يكون الانكار غيبة  
لانه نهى عن دنكر وفرق بين انكار المباحر وغيبة المسائر واما النخيمة فهى  
ان تجمع الى مذمة الغيبة رداءة وشرا وتضم الى اومها دناءة وغدرا ثم تؤول  
الى تقاطع المتواصلين وتباغض المتحابين ورى شهر بن حوشب عن اسماء  
بنت يزيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ألا اخبركم بشراركم قالوا بلى  
يا رسول الله قال من شراركم المشاؤون بالنخيمة المفسدون بين الاحبة الباغون

العيوب وروى محمد بن عمرو عن ابي سلة عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ملعون ذو الوجهين ملعون ذو اللسانين ملعون كل شتمار ملعون كل قتات ملعون كل مئان الشقار المحرش بين الناس يلقى بينهم العداوة والقتات المئام وقيل المئام الذي يكون مع القوم يتحدثون فيهم حديثهم والقتات هو الذي يستمع عليهم وهم لا يعلمون فيهم حديثهم والمئان هو الذي يصنع الخير وعين به وقيل في منشور الحكم النميمة سيف قاتل وقال بعض الادباء لم يمش ماش شر من واش فاما السعاية فهي شر الثلاثة لانها تجمع الى مذمة الغيبة ولثوم النميمة التغرير بالنفوس والاموال والقدح في المنازل والاحوال وروى ابن قتيبة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الجنة لا يدخلها ديوث ولا قلاع الديوث هو الذي يجمع بين الرجال والنساء سمي بذلك لانه يدب بينهم والقلاع هو الساعي الذي يقع في الناس عند الامراء سمي بذلك لانه يأتي الرجل المتمكن عند الامير فلا يزال يقع فيه حتى يقلعه وقال بعض الحكماء الساعي بين منزلتين قبيحتين اما ان يكون صدق فقد خان الامانة واما ان يكون قد كذب فخالف المروءة وقال بعض الحكماء الصدق يزين كل احد الا السعاة فان الساعي اذم وانم ما يكون اذا صدق وقال بعض البلغاء النميمة دناءة والسعاية رداءة وهما رأس الفدر واساس البشر فقبح سبلهما واجتنب اهلها ووقع الفضل بن سهل على قصة ساع سعي اليه نحن نرى قبول السعاية شرا منها لان السعاية دلالة والقبول اجازة فاتقوا الساعي فانه ان كان في سعاية صادقاً كان في صدقه آثماً اذ لم يحفظ الحرمه وبستر العورة وقال الاسكندر لرجل سعي اليه برجل أتعب ان تقبل منك ما تقول فيه على ان تقبل منه ما يقول فيك قال لا قال فكف عن الشر يكف عنك الشر وروى ان الله اوحى الى موسى على نبينا وعليه السلام ان في بلدك ساعيا ولست اخبرك وهو في ارضك فقال يا رب دلني عليه حتى اخرجه فقال يا موسى اكره النميمة وانم **الفصل السادس في الحسد والمنافسة** اعلم ان الحسد خلق ذميم مع اضراؤه بالبدن وفساده للدين حتى لقد امر الله بالاستعاذة من شره فقال تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وناهيك بحال ذلك شرا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال دب اليكم داء الامم قبلكم البغضاء

والحسد هي الحاققة حالقة الدين لا حالقة الشعور الذي نفس محمد بيده لا تؤمنوا حتى تحابوا ألا ابئسكم بما رم اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم فاخبر صلى الله عليه وسلم بحال الحسد وان التحابب ينفيه وان السلام يبعث على التحابب فصار السلام اذا نافيا للحسد وقد جاء كتاب الله تعالى بما يوافق هذا القول وقال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم قال مجاهد معناه ادفع بالسلام اساءة السيء وقال الشاعر

\* قد يلبث الناس حيناً ليس بينهم \* ود فيزرعه التسليم واللف \*  
وقال بعض السلف الحسد اول ذنب عصى الله به في السماء يعنى حسد ابليس لآدم عليه السلام واول ذنب عصى الله به في الارض يعنى حسد ابن آدم لآخيه حتى قتله وقال بعض الحكماء من رضى بقضاء الله تعالى لم يستخطه احد ومن قتع بعطائه لم يدخله حسد وقال بعض البلغاء الناس حاسد ومحسود ولسكل نعمة حسود وقال بعض الادياء ما رأيت ظالماً اشبه بمظلوم من الحسود نفس دائم وهم لازم وقلب هائم فاخذ بعض الشعراء فقال

\* ان الحسود الظلوم في كرب \* يخاله من يراه مظلوما \*  
\* ذا نفس دائم على نفس \* يظهر منها ما كان مكتوما \*  
ولولم يكن من ذم الحسد الا انه خلق ذنى يتوجه نحو الاكفاء والاقارب ويختص بالمخالط والمصاحب لكانت النزاهة عنه كراما والسلامة منه مغنما فكيف وهو بالنفس مضر وعلى الهم مصر حتى ربما افضى بصاحبه الى التلف من غير نكابة في عدو ولا اضرار بحسود وقد قال معاوية رضى الله عنه ليس في خصال الشر اعدل من الحسد يقتل الحاسد قبل ان يصل الى المحسود وقال بعض الحكماء يكفك من الحاسد انه يغتم في وقت سرورك وقيل في منشور الحكم عقوبة الحاسد من نفسه وقال الاصمعي قلت لاعرابي ما اطول عمرك قال تركت الحسد فبقيت وقال رجل لشريح القاضى اتى لاحسدك على ما ارى من صبرك على المحسوم ووقوفك على غاض الحكم فقال ما نفعك الله بذلك ولا ضرني وقال عبد الله بن المعتز رحمه الله تعالى

\* اصبر على كيد الحسو \* د فان صبرك قاتله \*

\* فالنار تأكل بعضها \* ان لم تجد ما تاكل \*

وحقيقة الحسد شدة الاسبى على الخيرات تكون للناس الافاضل وهو غير المنافسة وربما غلط قوم فظنوا ان المنافسة في الخير هي الحسد وليس الامر على ما ظنوا لان المنافسة طلب التشبه بالافاضل من غير ادخال ضرر عليهم والحسد مصروف الى الضرر لان غايته ان يعدم الافاضل فضلهم من غير ان يصير الفضل له فهذا الفرق بين المنافسة والحسد فالمنافسة اذا فضيلة لانها داعية الى اكتساب الفضائل والافتداء باختيار الافاضل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المؤمن يعبط والمنافق يحسد وقال الشاعر

\* نافس على الخيرات اهل العلا \* فانما الدنيا احاديث \*

\* كل امرئ في شأنه كادح \* فوارث منهم وموروث \*

واعلم ان دواعى الحسد ثلاثة ❖ احدها ❖ بغض المحسود فيأسى عليه بفضيلة تظهر او متبقة تشكر فيثير حسدا قد خامر بغضا وهذا النوع لا يكون عاما وان كان اضرها لانه ليس يبغض كل الناس ❖ والثاني ❖ ان يظهر من المحسود فضل يعجز عنه فيكره تقدمه فيه واختصاصه به فيثير ذلك حسدا لولاه لكف عنه وهذا اوسطها لانه لا يحسد الاكفاء من دنا وانما يختص بحسد من علا وقد يمتزج بهذا النوع ضرب من المنافسة ولكنها مع يحجز فذلك صارت حسدا ❖ والثالث ❖ ان يكون في الحاسد شح بالفضائل وبخل بالنعم وليست اليه فيمنع منها ولا يبده فيدفع عنها لانها مواهب قد منحها الله من شاء فيسخط على الله عز وجل في قضائه ويحسد على ما منح من عطائه وان كانت نعم الله عز وجل عنده اكثر ومنحه عليه اظهر وهذا النوع من الحسد اعلمها واخبثها اذ ليس لصاحبه راحة ولا لرضاه غاية فان اقترن بشر وقدرة كان بورا وانتقاما وان صادف عجزا ومهانة كان كيدا وسقاما وقد قال عبد الحميد الحسود من الهم كساقى السم فان سرى سمه زال عنه همه واعلم ان بحسب فضل الانسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له فان كثرت فضله كثرت حساده وان قل قلوا لان ظهور الفضل يثير الحسد وحدوث النعمة

يضاعف الكمد ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم استعينوا على قضاء الحوائج  
بسترها فان كل ذى نعمة محسود وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما كانت  
نعمة الله على احد ان وجد لها حاسدا فلو كان الرجل اقوم من القمح لما  
عدم غامزا وقد قال الشاعر

\* ان يحسدوني فاني غير لأثمهم \* قلبى من الناس اهل الفضل قد حسدوا \*  
\* فدام لى ولهم ما بى وما بهم \* ومات اكثرنا غيظا بما يجد \*  
وربما كان الحسد منبها على فضل المحسود ونقص المحسود كما قال ابو تمام الطائي  
\* واذا اراد الله نشر فضيلة \* طويت اتاح لى بالسان حسود \*  
\* لولا اشتعال النار فيما جاورت \* ما كان يعرف طيب عرف العود \*  
\* لولا التخوف للعواقب لم يزل \* للحاسد النعمى على المحسود \*  
فاما ما يستعمله من كان غالبا عليه الحسد وكان طبعه اليه مائلا ليتقى عنه ويكفاه  
ويسلم من ضرره وعدارته فأمور هي له حسم ان سادفها عزم \* فمنها \*  
اتباع الدين فى اجتنابه والرجوع الى الله عز وجل فى آذابه فيقهر نفسه على  
مذموم خلقها وينقلها عن لئيم طبعها وان كان نقل الطباع عسرا لكن  
بالرياضة والتدرج يسهل منها ما استصعب ويحجب منها ما اتعب وان تقدم قول  
القائل من ربه خلقه كيف يخلق خلقه غير انه اذا عانى تهذيب نفسه تظاهر  
بالتخلق دون الخلق ثم بالعادة يصير كالخلق قال ابو تمام الطائي

\* فلم اجد الاخلاق الا تخلقا \* ولم اجد الافضال الا تفضلا \*  
\* ومنها \* العقل الذى يستقبح به من نتأج الحسد ما لا يرضيه ويستنكف  
من هجئة مساويه فيذلل نفسه انفة ويقهرها حمية فتذعن لرشدها وتجب الى  
صلاحها وهذا انما يصح لذى النفس الايبة والهمة العلية وان كان ذو الهمة  
يجل عن دناءة الحسد وقد قال الشاعر

\* ابى له نفسان نفس زكية \* ونفس اذا ما خافت الظلم تشمس \*  
\* ومنها \* ان يستدفع ضرره ويتوقى اثره ويعلم ان مكائته فى نفسه ابلغ ومن  
الحسد ابعد فيستعمل الحزم فى دفع ما كده واكده ليكون اطيب نفسا واهنا  
عيشا وقد قيل العجب لغفلة الحساد عن سلامة الاجساد وقد قال الشاعر

\* بصير باعقاب الامور كأنما \* يرى بصواب الرأى ما هو واقع \*  
 ❖ ومنها ❖ ما يرى من نفور الناس عنه وبعدهم منه فيخافهم اما على نفسه من  
 عداوة او على عرضه من ملامة فيألفهم بمعالجة نفسه ويراهم ان صلحوا اجدى  
 نفعا واخلص ودا وقال ابن العميد رحمه الله تعالى

\* داوى جوى بجوى وایس بحازم \* من يستكف النار بالخلفاء \*  
 ❖ وقال المؤمل بن اميل ❖

\* لا تحسبوني غنيا عن مودتكم \* انى اليكم وان ايسرت مفتقر \*  
 ❖ ومنها ❖ ان يساعد القضاء ويستسلم للمقدور ولا يرى ان يغالب قضاء الله  
 فيرجع مغلوبا ولا ان يعارضه فى امره فيرد محروما مسلوبا وقد قال ازديشير  
 ابن بابك اذا لم يساعدنا القضاء ساعدناه وقال محمود الوراق

\* قدر الله كائن \* حين يقضى وروده \*  
 \* قدمضى فيك علمه \* وانتهى ما يريده \*  
 \* فأرد ما يكون ان \* لم يكن ما تريده \*

فان اظفرته السعادة باحد هذه الاسباب وهدته المرشد الى استعمال الصواب سلم  
 من سقامه وخلص من غرامه واستبدل بالنقص فضلا واعتاض من الذم حدا  
 ولئن استنزله نفسه عن مذمة فصر فها عن لائمة هو اظهر حزما واقوى  
 عزما ممن كفته النفس جهادها واعطته قيادها ولذلك قال على بن ابي طالب  
 رضى الله عنه خياركم كل مغتن تواب وان صدته الشهوة عن مر اشده  
 واصنله الحرمان عن مقاصده فانقاد للطبع اللئيم وغلب عليه الخلق الذميم  
 حتى ظهر حسده واشتد كده فقد باء باربع مدام ❖ احداهن ❖ حسرات  
 الحسد وسقام الجسد ثم لا يجد لحسرتة انتهاء ولا يؤمل لسقامه شفاء وقال ابن  
 المعتز الحسد داء الجسد ❖ والثانية ❖ انخفاض المنزلة وانحطاط المرتبة لانحراف  
 الناس عنه ونفورهم منه وقد قيل فى منشور الحكم الحسود لا يسود ❖ والثالثة ❖  
 مقت الناس له حتى لا يجد فيهم محبا وعداوتهم له حتى لا يرى فيهم وليا فيصير  
 بالعداوة مأثورا وبالمقت مزجورا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم شر الناس



من يبغيض الناس ويغضونه ﴿ والرابعة ﴾ استخاط الله تعالى في معارضته واجتناب الاوزار في مخالفته اذ ليس يرى قضاء الله عدلا ولا لئمه من الناس اهلا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الحسد يأكل الحسنة كما تأكل النار الحطب وقال عبد الله بن المعتز الحاسد معتاط على من لا ذنب له بخيل بما لا يملكه طالب ما لا يجده واذا بلى الانسان بمن هذه حاله من حساد النعم واعداء الفضل استعاذ بالله من شره وتوقى مصارع كيده وتحرز من غوائل حسده وابتعد عن ملابسته وادناؤه لعضل دائه واعواز دوائه فقد قيل حاسد النعمة لا يرضيه الا زوالها وقال بعض الحكماء من ضر بطبعه فلا تأنس بقربه فان قلب الاعيان صعب المرام وقال عبد الحميد اسد تقاربه خير من حسود تراقبه وقال محمود الوراق

\* اعطيت كل الناس من نفسى الرضى \* الا الحسود فانه اعيانى \*  
 \* ما ان لى ذنبا اليه علمته \* الا تظاهر نعمة الرحمن \*  
 \* وابى فما يرضيه الا ذلتى \* وذهب اموالى وقطع لسانى \*  
 وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاثة لا يسلم احد منهن الطيرة وسوء الظن والحسد فاذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تتحقق واذا حسدت فلا تبغ

﴿ فصل ﴾ واما آداب المواضعة والاصطلاح فضربان احدهما ما تكون المواضعة في فروء، والعقل موجب لاصوله والثاني ما تكون المواضعة في فروعه واصوله وذلك متضح في الفصول التي نذكرها اذا سبرت وهى ثمانية ﴿ الفصل الاول في الكلام والصمت ﴾ اعلم ان الكلام ترجان يعبر عن مستودعات الضمائر ويخبر بمكنونات السرائر لا يمكن استرجاع بوارده ولا يقدر على رد شوارده فحق على العاقل ان يحترز من زلله بالامسك عنه او بالاقبال منه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رحم الله من قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ يا معاذ انت سالم ما سكتت فاذا تكلمت فعليك اولك وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه اللسان معيار افاضه الجهل وارجعه العقل وقال بعض الحكماء الزم الصمت تعد حكيميا جاهلا كنت او عالما وقال بعض الادباء

سعد من لسانه صموت وكلامه قوت وقال بعض العلماء من اعوز ما يتكلم به العاقل ان لا يتكلم الا لحاجته او محبته ولا يفكر الا في عاقبته او في آخرته وقال بعض البلغاء الزم الصمت فانه يكسبك صفو المحبة ويؤمنك سوء المغبة ويلبسك ثوب الوقار ويكفيك مونة الاعتذار وقال بعض النحباء اعقل لسانك الا عن حق تو ضحه او باطل ندحضه او حكمة تنشرها او نعمة تذكرها وقال الشاعر

- \* رأيت العز في ادب وعقل \* وفي الجهل المزلة والهوان \*  
 \* وما حسن الرجال لهم بحسن \* اذا لم يسعد الحسن البيان \*  
 \* كفى بالمرء عيبا ان تراه \* له وجهه وليس له لسان \*

واعلم ان للكلام شروطا لا يسلم المتكلم من الزلل الا بها ولا يعرى من النقص الا بعد ان يستوفيها وهي اربعة فالشرط الاول ان يكون الكلام لداع يدعو اليه اما في اجتلاب نفع او دفع ضرر والشرط الثاني ان يأتي به في موضعه ويتوخى به اصابة فرصته والشرط الثالث ان يقتصر منه على قدر حاجته والشرط الرابع ان يتخير اللفظ الذي يتكلم به فهذه اربعة شروط متى اخل المتكلم بشرط منها فقد اوهن فضيلة باقياها وسنذكر تعليل كل شرط منها بما ينبغي عن لزومه \* فاما الشرط الاول \* وهو الداعي الى الكلام فلان ما لا داعي له هذيان وما لا سبب له هجر ومن سماح نفسه في الكلام اذا عن ولم يراع صحة دواعيه واصابة معانيه كان قوله مردولا ورأيه معلولا كالذي حكى ابن عائشة ان شابا كان يجالس الاحنف ويطيل الصمت فاعجب ذلك الاحنف فخلت الحلقة يوما فقال له الاحنف تكلم يا ابن اخي فقال يا عم لو ان رجلا سقط من شرف هذا المسجد هل كان يضره شيء فقال يا ابن اخي ليتنا تركناك مستورا ثم تمثل الاحنف بقول الاعور الشني

- \* وكأئن ترى من صاحب لك معجب \* زيادته او نقصه في التكلم \*  
 \* لسان الفتى نصف ونصف فؤاده \* فلم يبق الا صورة اللحم والدم \*  
 \* وكالذي حكى عن ابي يوسف الفقيه ان رجلا كان يجلس اليه فيطيل الصمت فقال له ابو يوسف ألا تسأل قال بلى متى يفطر الصائم قال اذا غربت الشمس

قال فان لم تغرب الى نصف الليل قال فتبسم ابو يوسف رحمه الله وتمثل ببيتى  
الخطفى جد جرير

\* عجبت لازراء العبي بنفسه \* وصمت الذى قد كان بالعلم اعلماء \*  
\* وفى الصمت ستر للغبى وانما \* صحيفة لب المرء ان يتكلمها \*

ومما اطرفك به عنى انى كنت يوما فى مجاسى بالبصرة وانا مقبل على تدريس  
اصحابى اذ دخل على رجل مسن قد ناهز الثمانين او جاوزها فقال لى قد قصدتك  
بمسألة اخترتك لها فقلت اسأل عافك الله وظننته يسأل عن حادث نزل به فقال  
اخبرنى عن نجيم ابليس ونجيم آدم ما هو فان هذين لعظم شأنهما لا يسأل عنهما  
الا علماء الدين فعجبت وعجب من فى مجلسى من سؤاله وبدر اليه قوم منهم بالانكار  
والاستخفاف فكشفتهم وقلت هذا لا يقنع مع ما ظهر من حاله الاجواب مثله  
فقبلت عليه وقلت يا هذا ان المنجمين يزعمون ان نجوم الناس لا تعرف الا  
بمعرفة مواليدهم فان ظفرت بمن يعرف ذلك فاسأله لحينئذ اقبل على وقال جزاك  
الله خيرا ثم انصرف مسرورا فلما كان بعد ايام عاد وقال ما وجدت الى وقتى هذا  
من يعرف موالد هذين فانظر الى هؤلاء كيف ابانوا بالكلام عن جهلهم  
واعربوا بالسؤال عن نقصهم اذ لم يكن لهم داع اليه ولا روية فيما تكلموا به  
ولو صدر عن روية ودعا اليه داع لسماوا من شينه وبرئوا من عيبه ولذلك قال  
النبي صلى الله عليه وسلم لسان العاقل من وراء قلبه فاذا اراد الكلام رجع الى  
قلبه فان كان له تكلم وان كان عليه امسك وقلب الجاهل من وراء لسانه يتكلم  
بكل ما عرض له وقال عمر بن عبد العزيز من لم يعد كلامه من عمله كثرت  
خطايه وقال بعض الحكماء عقل المرء مخبوء تحت لسانه وقال بعض البلغاء احبس  
لسانك قبل ان يطيل حبسك او يتلف نفسك فلا شئ اولى بطول حبس من لسان  
يقصر عن الصواب ويسرع الى الجواب وقال ابو تمام الطائي

\* ومما كانت الحكماء قالت \* لسان المرء من تبع الفؤاد \*  
وكان بعض الحكماء يحسم الرخصة فى الكلام ويقول اذا جالست الجهال فأنصت  
لهم واذا جالست العلماء فأنصت لهم فان فى انصاتك للجهال زيادة فى الحلم وفى  
انصاتك للعلماء زيادة فى العلم واما ﴿ الشرط الثانى ﴾ فهو ان يأتي بالكلام فى

موضع لان الكلام في غير حينه لا يقع موقع الانتفاع به وما لا ينفع من الكلام فقد تقدم القول بانه هذيان وهجر فان قدم ما يقتضى التأخير كان مجلة وخرقا وان اخر ما يقتضى التقديم كان توانيا ومجزا لان لكل مقام قولا وفي كل زمان عملا وقد قال الشاعر

\* تضع الحديث على مواضعه \* وكلامها من بعدها نزر \*  
 واما ❖ الشرط الثالث ❖ وهو ان يقتصر منه على قدر حاجته فان الكلام ان لم ينحصر بالحاجة ولم يقدر بالكفاية لم يكن لحده غاية ولا اقدره نهاية وما لم يكن من الكلام محصورا كان حصرا ان قصر وهذرا ان كثر وروى ان اعرابيا تكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول فقال النبي صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب قال شقناى واستانى قال فان الله عز وجل يكره الانبعاث في الكلام فتضر الله وجه امرئ اوجز في كلامه فاقصر على حاجته وحكي ان بعض الحكماء رأى رجلا يكثر الكلام ويقول السكوت فقال ان الله تعالى انما خلق لك اذنين ولسانا واحدا ليكون ما تسمعه ضعف ما تتكلم به وقال بعض الحكماء من كثر كلامه كثرت آثامه وقال ابن مسعود انذركم فضول المنطق وقال بعض البلغاء كلام المرء بيان فضله وترجان عقله فاقصره على الجميل واقصر منه على التليل واياك ما يستخط سلطانك ويوحش اخوانك فن استخط سلطانه تعرض للمنية ومن اوحش اخوانه تبرأ من الحرية وقال بعض الشعراء

\* وزن الكلام اذا نطقت فانما \* يبدى عيوب ذوى العيوب المنطق \*  
 ومخالفة قدر الحاجة من الكلام حالتان تقصير يكون حصرا وتكثير يكون هذرا وكلامها شين وشين الهذر اشنع وربما كان في الغالب اخوف قال النبي صلى الله عليه وسلم وهل يكب الناس على مناخرهم في نار جهنم الا حصائد السنتهم وقال بعض الحكماء مقتل الرجل بين فكليه وقال بعض البلغاء الحصر خير من الهذر لان الحصر يضعف الحججة والهذر ي تلف الحججة وقد قال الشاعر  
 \* رأيت اللسان على اهله \* اذا ساسه الجهل لثامغيرا \*  
 وقال بعض الادباء يارب السنة كالسيوف تقطع اعناق اصحابها وما يتقص من

هيأت الرجال يزيد في بهائها وأبابها وقد ذهب بعضهم الى ان الكلام اذا  
 كثر عن قدر الحاجة وزاد على حد الكفاية وكان صوابا لا يشوبه خطل وسليما  
 لا يتعوده زلل فهو البيان والسر الحلال وقال سليمان بن عبد الملك وقد ذم  
 الكلام في مجلسه كلا ان من تكلم فاحسن قدر على ان يسكت فيحسن وليس  
 من سكت فاحسن قدر على ان يتكلم فيحسن ووصف بعضهم الكاتب فقال  
 الكاتب من اذا اخذ شبرا ككفاه واذا وجد طومارا املاه وانشد بعضهم  
 في خطباء اباد

\* يرمون بالخطب الطوال وتارة \* وحى الملاحظ خيفة الرقباء \*

وقال الهيثم بن صالح لابنه يا بني اذا اقلت من الكلام اكثر من الصواب  
 فقال يا ابي فان انا اكثرت واكثرت يعني كلاما وصوابا فقال يا بني ما رأيت  
 موعوظا احق بان يكون واعظا منك وانشدت لابي الفتح البستي

\* تكلم وسد ما استطعت فانما \* كلامك حى والسكرت جاد \*

\* فان لم تجد قولاً سديداً تقوله \* فصمتك عن غير السداد سداد \*

وقيل لاياس بن معاوية ما فيك عيب الاكثره الكلام فقال افتسمعون صوابا  
 او خطأ قالوا لا بل صوابا قال فالزيادة من الخير خير وقال ابو عثمان الجاحظ  
 للكلام غاية ولنشاط السامعين نهاية وما فضل عن مقدار الاحتمال ودعا الى  
 الاستقلال والملا فذلك الفاضل هو الهذر وصدق ابو عثمان لان الاكثر  
 منه وان كان صوابا يمل السامع ويكل الخاطر وهو صادر عن اعجاب به  
 لولاه قصر عنه ومن اعجب بكلامه استرسل فيه والمسترسل في الكلام كثير  
 الزلل دائم العثار وقال بعض الحكماء من اعجب بقوله اصيب بعقله وليس لكثرة  
 الهذر رجاء يقابل خوفه ولا نفع يوازي ضره لانه يخاف من نفسه الزلل ومن  
 سامعيه الملل وليس في مقابلة هذين حاجة داعية ولا نفع مرجو وقد روى  
 عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ابغضكم الى المتفهب المكثر والملح المهذار  
 وسأل رجل حكيماً فقال متى اتكلم قال اذا اشتهيت الصمت فقال متى اصمت قال  
 اذا اشتهيت الكلام وقال جعفر بن يحيى اذا كان الايجاز كافياً كان الإسكثار  
 عيباً وان كان الاكثر واجباً كان التقصير عجزاً وقيل في منشور الحكم اذا تم العقل

نقص الكلام وقال بعض الادباء من اعال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه  
ومن الوحشة ما لا يضره وقال بعض البلغاء عى تسل منه خير من منطوق تندم  
عليه فاقصر من الكلام على ما يقيم جنتك ويبلغ حاجتك واياك وفضوله  
فانه يزل التدم ويورث التدم وقال بعض الفصحاء فم العاقل مجلم اذا هم  
بالكلام اجهم وفم الجاهل مطلق كلما شاء اطلق وقال بعض الشعراء

\* ان الكلام يعد القوم جلوته \* حتى يلج به عى واكثر \*  
واما \* الشرط الرابع \* وهو اختيار اللفظ الذى يتكلم به فلأن اللسان  
عنوان الانسان يترجم عن مجهوله ويبرهن عن محصوله فيلزم ان يكون بهتذيب  
الفاظه حريا وتقوم لسانه مليا روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لعنه  
العباس يعجبني جالك قال وما جالك ارجل يا رسول الله قال لسانه وقال خالد  
ابن صفوان ما الانسان لولا اللسان هل الابهيمة مهملة او صورة ممثلة وقال  
بعض الحكماء اللسان وزير الانسان وقال بعض الادباء كلام المرید وافد اديه  
وقال بعض البلغاء يستدل على عقل الرجل بقوله وعلى اصله بفعله وقال  
بعض الشعراء

\* وان لسان المرء ما لم تكن له \* حصاة على عوراته لدليل \*  
وليس يصح اختيار الكلام لا لمن اخذ نفسه بالبلاغة وكلفها لزوم الفصاحة  
حتى يصير متدربا بها معتادا لها فلا يأتى بكلام مستكره اللفظ ولا محتل المعنى  
لان البلاغة ليست على معان مفردة ولا لالفاظها غاية وانما البلاغة ان تكون  
بالمعاني الصحيحة مستودعة فى الفاظ فصيحة فتكون فصاحة الالفاظ مع صحة  
المعاني هى البلاغة وقد قيل لليوناني ما البلاغة قال اختيار الكلام وتصحيح  
الاقسام وقيل ذلك للرومى فقال حسن الاختصار عند البديهة والعرارة يوم  
الاطالة وقيل للهندي فقال معرفة الفصل من الوصل وقيل للعربى فقال  
ما حسن ايجازه وقل مجازه وقيل للبدوي فقال ما دون السحر وفوق الشعر  
يفت الخردل ومحط الجنيد وقيل للحضري فقال ما كثر اعجازه وتناست صدوره  
واعجازه وقال ابن المقفع البلاغة قلة الحصر والجراءة على البشر وسأل الحجاج  
ابن القرية عن الايجاز قال ان تقول فلا تبطي وان تصيب فلا تخطى وقال الشاعر

- \* خير الكلام قليل \* على كثير دليل \*
- \* والمعنى معنى قصير \* يحويه لفظ طويل \*
- \* وفي الكلام فضول \* وفيه قال وقيل \*

واما صحة المعاني فتكون من ثلاثة اوجه، احدها ايضاح تفسيرها حتى لا تكون مشكلة ولا مجملة والثاني استيفاء تقسييمها حتى لا يدخل فيها ما ليس منها ولا يخرج عنها ما هو فيها والثالث صحة مقابلاتها والمقابلة تكون من وجهين احدهما مقابلة المعنى بما يوافقه وحيثية هذه المقاربة لان المعاني تصير متشاكلة والثاني مقابله بما يضاده وهو حقيقة المقابلة وليس للمقابلة الا احدهذين الوجهين الموافقة في الائلاف والمضادة مع الاختلاف فاما فصاحة الالفاظ فتكون بثلاثة اوجه \* احدها \* مجانبة الغريب الوحشى حتى لا يجه سمع ولا ينفر منه طبع \* والثاني \* تنكب اللفظ المستبذل والعدول عن الكلام المسترذل حتى لا يستسقطه خاصى ولا ينبو عن فهم عامى كما قال الجاحظ في كتاب البيان اما انا فلم ار قوما امثل طريقة في البلاغة من الكتاب وذلك انهم قد التمسوا من الالفاظ ما لم يكن متوعرا وحشيا ولا ساقطا عاميا \* والثالث \* ان يكون بين الالفاظ ومعانيها مناسبة ومطابقة اما المطابقة فهي ان تكون الالفاظ كالقوالب لمعانيها فلا تزيد عليها ولا تنقص عنها وقال بشر بن المعتمر في وصيته في البلاغة اذا لم تجد اللفظة واقعة موقعها ولا صائرة الى مستقرها ولا حالة في مركزها بل وجدتها قلقنة في مكانها نافرة عن موضعها فلا تكسرهما على القرار في غير موضعها فانك ان لم تتعاط قريض الشعر الموزون ولم تتكلف اختيار الكلام المنشور لم يعبك بترك ذلك احد واذا انت تكلفتهما ولم تكن حازقا فيهما عابك من انت اقل عيبا منه وازرا عليك من انت فوقه واما المناسبة فهي ان يكون المعنى يليق ببعض الالفاظ اما لعرف مستعمل او لاتفاق مستحسن حتى اذا ذكرت تلك المعاني بعد تلك الالفاظ كانت نافرة عنها وان كانت افصح واوضح لاعتياد ما سواها وقال بعض البلغاء لا يكون البليغ بليغا حتى يكون معنى كلامه اسبق الى فهمك من لفظه الى سمعك واما معاطاة الاعراب وتجنب اللحن فاللحن هو من صفات الصواب والبلاغة اعلى منه رتبة واشرف منزلة وليس لمن لحن في كلامه مدخل

في الادباء فضلا عن ان يكون في عداد البلغاء • واعلم ان للكلام آدابا ان اغفلها المتكلم اذهب رونق كلامه وطمس بهجة بيانه ولها الناس عن محاسن فضله بمساوي اذبه فعدلوا عن مناقبه بذكر مثالبه ❖ فن آدابه ❖ ان لا يتجاوز في مدح ولا يسرف في ذم وان كانت النزاهة عن الذم كرما والتجاوز في المدح ملقا يصدر عن مهانة والسرف في الذم انتقام يصدر عن شر وكلاهما شين وان سلم من الكذب يروى انه لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد تميم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن الاثم عن قيس بن عاصم فمدحه فقال قيس والله يا رسول الله لقد علم اني خير مما وصف ولكن حسدني فذمه عمرو وقال والله يا رسول الله لقد صدقت في الاولى وما كذبت في الاخرى لاني رضيت في الاولى فقلت احسن ما علمت وسخطت في الاخرى فقلت اقبح ما علمت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا علي ان السلامة من الكذب في المدح والذم متعذرة لا سيما اذا مدح تقريبا وذم تخفقا وحكى عن الاحنف بن قيس انه قال سهرت ليلتي افكر في كلمة ارضى بها سلطاني ولا اسخط بها ربي فاوجدتها وقال عبد الله بن مسعود ان الرجل ليدخل على السلطان ومعه دينه فيخرج وما معه دينه قيل وكيف ذلك قال يرضيه بما يسخط الله عز وجل وسمع ابن الرومي رجلا يصف رجلا ويبالغ في مدحه فانشأ يقول

❖ اذا ما وصفت امرءا لمرئى ❖ فلا تغل في وصفه واقصد ❖  
❖ فالك ان تغل تغل الظنن ❖ ن فيه الى الامد الابعد ❖  
❖ فيضال من حيث عظمته ❖ لفضل المغيب على المشهد ❖

❖ ومن آدابه ❖ ان لا تبعثه الرغبة والرغبة على الاسترسال في وعد او وعيد يعجز عنهما ولا يقدر على الوفاء بهما فان من اطلق بهما لسانه وارسل فيهما عنانه ولم يستقل من القول ما يستقله من العمل صار وعده نكثا ووعيده مجزا وحكى ان سليمان بن داود عليهما السلام مر بعصفور يدور حول عصفورة فقال لاصحابه هل تدرن ما يقول لها قالوا لا يا بني الله قال انه يخطبها لنفسه ويقول لها زوجيني نفسك اسكنك اى غرف دمشق شئتى وقال سليمان ككذب العصفور فان غرف دمشق مبنية بالصخور لا يقدر ان يسكنها هناك ولكن كل



خاطب كاذب ﴿ ومن آدابه ﴾ ان قال قولا حقه بفعله واذا تكلم بكلام صدقه بعمله فان ارسال القول اختيار والعمل به اضطرار ولئن يفعل ما لم يقل اجل من ان يقول ما لم يفعل وقال بعض الحكماء احسن الكلام ما لا يحتاج فيه الى الكلام اي يكتفى بالفعل من القول وقال محمود الوراق

\* القول ما صدقه الفعل \* والفعل ما وكده العقل \*

\* لا يثبت القول اذا لم يكن \* يقله من تحته الاصل \*

﴿ ومن آدابه ﴾ ان يراعى مخارج كلامه بحسب مقاصده واغراضه فان كان ترغيبا قرنه باللين والالطف وان كان ترهيبا خلطه بالخشونة والعنف فان لين اللفظ في الترهيب وخشونته في الترغيب خروج عن موضعهما وتعطيل للمقصود بهما فيصير الكلام لغوا والغرض المتصود لهما وقد قال ابو الاسود الدبلي لابنه يا بني ان كنت في قوم فلا تتكلم بكلام من هو فوقك فيمقتوك ولا بكلام من هو دونك فيزدروك ﴿ ومن آدابه ﴾ ان لا يرفع بكلامه صوتا مستكبرا ولا ينزعج له انزعاجا مستهجننا وليكف عن حركة تكون طيشا وعن حركة تكون عيا فان نقص الطيش اكثر من فضل البلاغة وقد حكى ان الحجاج قال لاعرابي اخطيب انا قال نعم لولا انك تكثر الرد وتشير باليد وتقول اما بعد ﴿ ومن آدابه ﴾ ان يتجافى هجر القول ومستقيم الكلام وليعدل الى السكناية عما يستقيم صريحه ويستهجن فصيح له ليلغ الغرض ولسانه نزه وادبه مصون وقد قال محمد بن علي في قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما قال كانوا اذا ذكروا الفروج كنوا عنها وكما انه يصون لسانه عن ذلك فهكذا يصون عنه سمعه فلا يسمع خفاء ولا يصغى الى فحش فان سماع الفحش داع الى اظهاره وذريعة الى انكاره واذا وجد عن الفحش معرضا كف قائله وكان اعراضه احد التكبيرين كما ان سماعه احد الباعثين وانشدني ابو الحسن بن الحارث الهاشمي

\* تحرم الطرق اوساطها \* وعدت عن الموضع المشبه \*

\* وسمعك صن عن قبيح الكلام \* م كصون اللسان عن النطق به \*

\* فانك عند استماع التبيح شريك لقائله فاتبه \*

ومما يجرى مجرى فحش القول وهجره في وجوب اجتنابه ولزوم تنكبه ما كان شنيع  
البدية مستنكر الظاهر وان كان عقب التأمل سليما وبعد الكشف والروية  
مستقيما كالذي رواه الازدى عن الصولى لبعض المتكلمين من الشعراء

\* انى شيخ كبير \* كافر بالله سىرى \*

\* انت ربي والهى \* رازق الطفل الصغير \*

يريد بقوله كافر اى لايس لان الكفر التغطية ولذلك سمي الكافر بالله كافرا  
لانه قد غطى نعمة الله بمعصيته وقوله بالله سىرى يقسم عليهما ان تسير وقوله  
انت ربي يعنى ربي ولدك من التربية والهى رازق الطفل الصغير كما انه رازق  
الولد الكبير فانظر الى هذا التكلف الشنيع والتعمق البشيع ما اعتاض من حيث  
البدية اذا سلم بعد الفكر والروية الا لو ما ان حسن فيه الغن او ذمان قوى  
فيه الارتياب وقلما يكون ذلك الامن خليع بعر او مرتاب اشرف فاما الحديث  
المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تصلوا على النبي فخرج من هذا  
النوع من التلبس وفي تأويله وجهان احدهما انه اراد النبي عن الصلاة  
في المكان المرتفع المحدود مأخوذ من النية والثاني انه اراد الطريق ومنه  
سمى رسل الله انبياء لانهم الطرق اليه وانما زال عنه التلبس اذ قاله رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وان كان من قول غيره تلبسا شنيعا لان موضوع خطابه  
وشواهد احواله يصرفان كلامه عن التجوز والاسترسال في امر او نهى الى ما  
يجوز ان يرد به شرع وينهى عنه نبي وليس يمتنع ذلك في غيره ولذلك افترق  
وجوده منه ومن غيره ومن آدابه ان يجتنب امثال العامة الغوغاء ويتخصص  
بامثال العلماء الادباء فان لكل صنف من الناس امثالا تشاكلهم فلا تجد اسقاط  
الا مثلا ساقطا وتشبيها مستقبجا وللسقاط امثال فتنها تمثلهم للشئ المريب كما قال  
الصنوبرى

\* اذا ما كنت ذا بول صحيح \* ألا فاضرب به وجه الطيب \*

ولذلك علتان احدهما ان الامثال من هواجس الهمم وخطرات النفوس  
ولم يكن لذي الهممة الساقطة الامثل مرذول وتشبيه معلول والثانية ان الامثال  
مستخرجة من احوال الممثلين بها فبحسب ما هم عليه تكون امثالهم فلهاتين

العلتين وقع الفرق بين امثال الخاصة وامثال العامة وربما الف التخصيص مثلا  
 عاميا او تشبيها ركيكا لكثرة ما يطرق سمعه من مخالطة الاراذل فيسترسل في  
 ضربه مثلا فيصير به مثلا كالذي حكى عن الاصمعي ان الرشيد سأله يوما عن  
 انساب بعض العرب فقال علي الخبير سقطت يا امير المؤمنين فقال له الفضل بن  
 الربيع استقط الله جنيتك أ تخاطب امير المؤمنين بمثل هذا الخطاب فكان الفضل بن  
 الربيع مع قلة علمه اعلم بما يستعمل من الكلام في محاوراة الخلفاء من الاصمعي الذي  
 هو واحد عصره وقرع دهره وللأمثال من الكلام موقع في الاسماع وتأثير في القلوب  
 لا يكاد الكلام المرسل يبلغ مبلغها ولا يؤثر تأثيرها لان المعاني بها لأمتحة والشواهد  
 بها واضحة والنفوس بها وامقة والقلوب بها واثقة والعقول لها موافقة  
 فلذلك ضرب الله الامثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله واضح بها  
 الحجة على خلقه لانها في العقول معتمولة وفي القلوب مقبولة ولها اربعة شروط  
 احدها صحة التشبيه والثاني ان يكون العلم بها سابقا والكل عليها موافقا  
 والثالث ان يسرع وصولها للفهم ويجعل تصورها في الوهم من غير ارتياء  
 في استخراجها ولا كد في استنباطها والرابع ان تناسب حال السامع لتكون ابلغ  
 تأثيرا واحسن موقعا فاذا اجتمعت في الامثال المضروبة هذه الشروط الاربعة  
 كانت زينة للكلام وجلاء للمعاني وتدبرا للافهام \* الفصل الثاني في الصبر  
 والجزع \* اعلم ان من حسن التوفيق وامازات السعادة الصبر على الملمات  
 والرفق عند النوازل وبه نزل الكتاب وجاءت السنة قال الله تعالى يا ايها الذين  
 آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون يعني اصبروا على ما  
 افترض الله عليكم وصابروا عدوكم ورابطوا فيه تأويلان احدهما على الجهاد  
 والثاني على انتظار الصلوات وعن ابى هريرة قال قال رسول الله صلى عليه وسلم  
 ألا ادلكم على ما يحبط الله به الخطايا ويرفع به الدرجات قالوا بلى يا رسول الله  
 قال اسباغ الوضوء عند المكاره وكثرة الخطا الى المسجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة  
 فذلكم الرباط فزى الكتاب بتأكيد الصبر فيما امر به وندب اليه وجعله من  
 عزائم التقوى فيما افترضه وحث عليه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
 قال الصبر ستر من الكرب وعون على الخطوب وقال علي بن ابى طالب كرم

الله وجهه الصبر مطية لا تكبو والقناعة سيف لا يذبو وقال عبد الحميد لم اسمع اعجب من قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه لو ان الصبر والشكر بعيران ما باليت ايتهما ركبت وقال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما افضل العبد الصبر على الشدة وقال بعض البلغاء من خير خللك الصبر على اختلافك وقيل في منشور الحكم من احب البقاء فليعد للمصائب قلبا صبورا وقال بعض الحكماء بالصبر على مواقع الكره تدرك الحظوظ وقال بعض الشعراء وهو عبيد بن الارص

- \* صبر النفس عند كل مله \* ان في الصبر حيلة المحتال \*
- \* لا تضيقن في الامور فقد تكشف غماؤها بغير احتيال \*
- \* ربما تجزع النفوس من الامر له فرجة كحل العقال \*

وقال ابن المقفع في كتاب التيمية الصبر صبران فاللئام اصبر اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر الممدوح صاحبه ان يكون الرجل قوى الجسد على الكد والعمل لان هذا من صفات الحمير ولكن ان يكون للنفس غلوبا وللأمور متحملا ولجاشه عند الحفاظ مرتبطا واعلم ان الصبر على ستة اقسام وهو في كل قسم منها محمود ❖ فالاول اقسام ❖ واولها الصبر على امثال ما امر الله تعالى به والانتهاه عما نهى الله عنه لان به تخلص الطاعة وبها يصح الدين وتؤدي الفروض ويستحق الثواب كما قال في محكم الكتاب انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد وليس لمن قل صبره على طاعة حظ من بر ولا نصيب من صلاح ومن لم ير لنفسه صبورا يكسبها ثوابا ويدفع عنها عقابا كان من سوء الاختيار بعيدا من الرشاد حقيقا بالضلال وقد قال الحسن البصرى رحمه الله تعالى يا من يطلب من الدنيا ما لا يلحقه أرجو ان تلحق من الآخرة ما لا تطلبه وقال ابو العاتية رحمه الله تعالى

- \* اراك امرءا ترجو من الله عفو \* وانت على ما لا يجب مقيم \*
  - \* تدل على التقوى وانت مقصد \* فيا من يداوى الناس وهو سقيم \*
- وهذا النوع من الصبر انما يكون لفرط الجزع وشدة الخوف فان من خاف الله

عن وجل صبر على طاعته ومن جزع من عقابه وقف عند امره \* والقسم الثاني \* الصبر على ما تقتضيه اوقاته من رزية قد اجهده الحزن عليها او حادثة قد اكده اللهم بها فان الصبر عليها يعقبه الراحة منها ويكسبه المثوبة عنها فان صبر طائعا والا احتمال هما لازما وصبر كارها آثما وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله تعالى من لم يرض بقضائي ويصبر على بلائي فليختر ربا سواي وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه للاشعث بن قيس انك ان صبرت جرى عليك القلم وانت مأجور وان جرت عليك القلم وانت مأزور وقد ذكر ذلك ابو تمام في شعره فقال

\* وقال علي في التعازي لاشعث \* وخاف عليه بعض تلك المآثم \*  
 \* أنصبر للبلوى عزاء وخشية \* فتؤجر او تسلو سلو البهائم \*  
 وقال شبيب بن شيبة للمهدى ان احق ما تصبر عليه ما لم تجد الى دفعه سبيلا وانشد  
 \* ولئن تصبكت مصيبة فاصبر لها \* عظمت مصيبة مبتل لا يصبر \*  
 ﴿ وقال آخر ﴾

\* تصبرت مغلوبا وانى لموجع \* كما صبر الظمان في البلد القفر \*  
 \* وليس اصطباري عنك صبر استطاعة \* ولا كنه صبر امر من الصبر \*  
 ﴿ والقسم الثالث ﴾ الصبر على ما فات ادراكه من رغبة مرجوة واعوز نيته من مسرة مأمولة فان الصبر عنها يعقب السلو منها والاسف بعد اليأس خرق وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اعطى فشكر ومنع فصبر وظلم فغفر وظلم فاستغفر فاولئك لهم الامن وهم مهتمدون وقال بعض الحكماء اجعل ما طلبته من الدنيا فلم تنله مثل ما لا يخطر ببالك فلم تقله وقال بعض الشعراء

\* اذا ملك القضاء عليك امرا \* فليس يحمله غير القضاء \*  
 \* فمالك والمقام بدار ذل \* ودار العز واسعة القضاء \*  
 وقال بعض الحكماء ان كنت تجزع على ما فات من يدك فأجزع على ما لا يصل اليك فاخذه بعض الشعراء فقال  
 \* لا تطل الحزن على فأت \* فقلما يجدى عليك الحزن \*

\* سيان محزون على فائت \* ومضمر حزنا لما لم يكن \*  
 \* والقسم الرابع \* الصبر فيما يخشى - حدوته من رهبة يخافها او يحذر - ملوله  
 من نكبة يشاها فلا يتجمل هم ما لم يأت فان اكثر الهموم كاذبة وان الاغلب  
 من الخوف مدفوع وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال بالصبر  
 يتوقع الفرج ومن يدمن قرع باب يلج وقال الحسن البصرى رحمه الله لا تحملن  
 على يومك هم غدك فحسب كل يوم هممه وانشد الجاحظ لخرارثة بن زيد

\* اذا الهم امسى وهو داء فأمضه \* ولست بمضيه وانت تعادله \*  
 \* ولا تنزلن امر الشديدة بامرئ \* اذا هم امر اعوقته عواذله \*  
 \* وقل للفؤاد ان تجد بك ثروة \* من الروع فافرح اكثر الهم باطله \*  
 \* والقسم الخامس \* الصبر فيما يتوقعه من رغبة يرجوها وينتظر من نعمة  
 يأملها فانه ان ادهشه التوقع لها واذهله التطلع اليها انسدت عليه سبل المطالب  
 واستفرزه تسويل المطامع فيكأن ابعيد لرجائه واعظم لبلائه واذا كان مع الرغبة  
 وقورا وعند الطلب صبورا انجبت عنه عمارة الدهش وانجابت عنه حيرة  
 الوله فابصر رشده وعرف قصده وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
 الصبر ضياء يعنى والله اعلم انه يكشف ظلم الحيرة ويوضح حقائق الامور وقال  
 اكرم بن صيفى من صبر ظفر وقال ابن المنفع كان مكتوبا فى قصر ازدشير  
 الصبر مفتاح الدرك وقال بعض الحكماء بحسن التأتى تسهيل المغالب  
 وقال بعض البلغاء من صبر نال المنى ومن شكر حصن النعمى وقال محمد  
 ابن بشير

\* ان الامور اذا سدت مطالبها \* فالصبر يفتق منها كل ما ارتبجا \*  
 \* لا تأسن وان طالت مطالبه \* اذا استعنت بصبر ان ترى فرجا \*  
 \* اخلق بنى الصبر ان يحظى بحاجته \* ومدمن القرع للابواب ان يلجا \*  
 \* والقسم السادس \* الصبر على ما نزل من مكروه او حل من امر مخوف  
 فبالصبر فى هذا تنفتح وجوه الآراء وتستدفع مكائد الاعداء فان من قبل صبره  
 عزب رأيه واشتد جزعه فصار صريع همومه وفريسة غمومه وقد قال الله تعالى  
 واصبر على ما اصابك ان ذلك من عزم الامور وروى عن ابن عباس رضى الله

عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان استطعت ان تعمل لله بارضى  
 في اليقين فافعل وان لم تستطع فاصبر فان في الصبر على ما تكره خيرا  
 كثيرا ♦ واعلم ان النصر مع الصبر والفرج مع الكرب واليسر مع  
 العسر وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه الصبر مستأصل الحدثن والجزع  
 من اعوان الزمان وقال بعض الحكماء بمفتاح عزيمة الصبر تعالج مغاليق  
 الامور وقال بعض البلغاء عند انسداد الفرج تبدو مطالع الفرج وروى ابن  
 عباس رضى الله عنهما ان سليمان بن داود عليهما السلام لما استكد شياطينه في  
 البناء شكوا ذلك الى ايليس لعنه الله فقال أستم تذهبون فرغا وترجعون مشاغيل  
 قالوا بلى قال ففى ذلك راحة فبلغ ذلك سليمان على نبينا وعليه السلام فشغلهم  
 ذاهبين وراجعين فشكوا ذلك الى ايليس لعنه الله فقال أستم تستريحون  
 بالليل قالوا بلى قال ففى هذا راحة لكم نصف دهركم فبلغ ذلك سليمان عليه  
 السلام فشغلهم بالليل والنهار فشكوا ذلك الى ايليس لعنه الله فقال الآن جاءكم  
 الفرج فما لبث ان اصاب سليمان عليه السلام ميتا على عصاه فاذا كان هذا فى  
 نبي من انبياء الله يعمل بامرہ ويقف على حده فكيف بما جرت به الاقدار من  
 ايد عادية وساقه القضاء من حوادث نازلة هل تكون مع التهاوى الا منقرضة  
 وعند بلوغ الغاية الامحسرة وانشد بعض الادباء لعثمان بن عفان رضى  
 الله عنه

- \* خليلي لا والله ما من ملة \* تدوم على حى وان هى جلت \*  
 \* فان نزلت يوما فلا تخضع لها \* ولا تكثر الشكوى اذا النعل زلت \*  
 \* فكم من كريم قد بلى بنائب \* فصايرها حتى مضت واضمحل \*  
 \* وكم غمرة هاجت باه واج غمرة \* تلتقيها بالصبر حتى تجلت \*  
 \* وكانت على الايام نفسى عزيزة \* فلما رأت صبرى على الذل ذلت \*  
 \* فقلت لها يا نفس موتى كريمة \* فقد كانت الدنيا لنا ثموات \*

ولتسهل المصائب وتخفيف الشدائد اسباب اذا قارنت حزما وصادفت عزما  
 هان وقعها وقل تأثيرها وضررها \* فمنها \* اشعار النفس بما تعلمه  
 من نزول القضاء وتقضى المسار وان لها آجالا منصومة ومددا منقضية اذ ليس

للدنيا حال تدوم ولا لمخلوق فيها بقاء وروى ابن مسعود رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما مثلى ومثل الدنيا الا كمثل راكب مال الى ظل شجرة في يوم صائف ثم راح وتركها وسئل على بن ابي طالب رضى الله عنه عن الدنيا فقال تغر وتضر وتمر وسأل بعض خلفاء بني العباس جليسا له عن الدنيا فقال اذا اقبلت ادبرت وقال عمرو بن عبيد الدنيا امد والآخرة ابد وقال انوشروان ان احببت ان لا تعتم فلا تقتم ما به تهتم فاخذ به بعض الشعراء فقال

\* ألم تر ان الدهر من سوء فعله \* يكدر ما اعطى ويسلب ما اسدى \*  
 \* فن سره ان لا يرى ما يسوءه \* فلا يتخذ شيئا يخاف له فقدا \*  
 ❖ وانشد بعض الحكماء ❖

\* الحكيمنا بقراط خير قضية \* ووصية تنفي الهموم الركداء \*  
 \* قال الهموم تكون من طبع الورى \* في لبث ما في طبعه ان ينفدا \*  
 \* فاذا اقيمت من الزجاجة قابلا \* للكسر فانكسرت فلا تك مكهدا \*  
 ❖ وانشدني بعض اهل العلم لسعيد بن مسلم ❖

\* انما الدنيا هبات \* وعوار مسترده \*  
 \* شدة بعد رخاء \* ورخاء بعد شدة \*

ولما قتل بزرجهر وجد في جيب قميصه رقعة فيها مكتوب اذا لم يكن جد فقيم الكد وان لم يكن للامر دوام فقيم السرور واذا لم يرد الله دوام ملك فقيم الحيلة وقال ابن الرومي

\* رأيت حياة المرء رهنا بموته \* وصحته رهنا كذلك بالسقم \*  
 \* اذا طاب لي عيش تنقص دايته \* بصدق يقيني ان سيذهب كالخلم \*  
 \* ومن كان في عيش يراعى زواله \* فذلك في بؤس وان كان في نعم \*

❖ ومنها ❖ ان يتصور انجلاء الشدائد وانكشاف الهموم وانها تتقدر باوقات لا تنصرم قبلها ولا تستديم بعدها فلا تقصر بجزع ولا تطول بصبر وان كل يوم يمر بهما يذهب منها بشطر ويأخذ منها بنصيب حتى تنجلي وهو عنها غافل وحكى ان الرشيد حبس رجلا ثم سأل عنه بعد زمان فقال للموكل به قل له



كل يوم يمضي من نعمه يمضي من بؤسى مثله والامر قريب والحكم لله تعالى فاخذ هذا المعنى بعض الشعراء فقال

\* لو ان ما انتمو فيه يدوم لكم \* ظننت ما انا فيه دائماً ابدا \*  
\* لكنني عالم اني وانكم \* سنسجد خلاف الخاليتين غدا \*  
﴿ وانشدت لبعض الشعراء ﴾

\* عواقب مكروه الامور خيـار \* وايام ضر لا تدوم قصار \*  
\* وليس بباق بؤسها ونعيمها \* اذا كر ليل ثم كر نهار \*  
﴿ وانشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين حضرته الوفاة ﴾

\* ألم تر ان ربك ليس تحصي \* اياديه الحديدية والقدية \*  
\* تسئل عن الهموم فليس شئ \* يقوم ولا همومك بالمقيه \*  
\* لعل الله ينظر بعد هذا \* اليك بنظرة منه رحيمه \*

﴿ ومنها ﴾ ان يعلم ان في ما وفقى من الرزايا وكفى من الحوادث ما هو اعظم من رزيتة واشد من حادثته ليعلم انه ممنوح بحسن الدفاع ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان لله تعالى في اثناء كل محنة منحة وقيل للشعبي في نأبة كيف اصبحت قال بين نعمتين خير منشور وشمر مستور وقال بعض الشعراء

\* لا تكره المكروه عند حلوله \* ان العواقب لم تزل متباينه \*  
\* كم نعمة لا تستقل بشكرها \* لله في طي المنكاره ككامله \*

﴿ ومنها ﴾ ان يتأسي بذوى الغير ويتسلى باولى العبر ويعلم انهم الاكثرون عددا والاسرعون مددا فيستجد من سلوة الاسبى وحسن العزا ما يخفف شجوهه ويقل هلعه وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ألتصتوا بذوى الغير تتسع قلوبكم وعلى مثل ذلك كانت مرثي الشعراء قال البحترى

\* فلا حجب للاسد ان ظفرت بها \* كلاب الاطايى من فصيح واعجمي \*  
\* فخرية وحشى سقت حزمة الردى \* وموت على من حسام ابن ملجم \*  
﴿ وقال ابو نواس ﴾

\* المرء بين مصائب لا تقضى \* حتى يوارى جسمه فى رمسه \*  
\* فؤجـل يلقى الردى فى اهله \* ومجـل يلقى الردى فى نفسه \*

﴿ومنها﴾ ان يعلم ان النعم زائرة وانها لا محالة زائلة وان السرور بها اذا اقبلت مشوب بالحزن من فراقها اذا ادبرت وانها لا تفرح باقبالها فرحا حتى تعقب بفراقها ترحا فعلى قدر السرور يكون الحزن وقد قيل في منشور الحكم المفروح به هو المحزون عليه وقيل من بلغ غاية ما يحب فليتوقع غاية ما يبكره وقال بعض الحكماء من علم ان كل نائبة الى التقضاء حسن عزاؤه عند نزول البلاء وقيل للحسن البصرى رحمه الله كيف ترى الدنيا قال شغلنى توقع بلائها عن الفرح برحائها فاخذ ابو العتاهية فقال

\* تزيد الايام ان اقبلت \* شدة خوف لتصاريفها \*  
\* كأذها في حال اسعافها \* تسمعه وقعة تخويفها \*

﴿ومنها﴾ ان يعلم ان سروره مقرون بمساةة غيره وكذلك حزنه مقرون بسرور غيره اذ كانت الدنيا تنقل من صاحب الى صاحب وتصل صاحبها بفراق صاحب فتكون سرورا لمن وصلته وحزنا لمن فارقته وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ما قرعت عصى على عصى الا فرح لها قوم وحزن آخرون وقال البحترى

\* متى ارت الدنيا نياهة خامل \* فلا ترتقب الا خول نبيه \*

﴿وقال المتنبى﴾

\* بدأ قضت الايام ما بين اهلها \* مصائب قوم عند قوم فوائد \*  
﴿وانشد بعض اهل الادب﴾

\* ألا انما الدنيا غضارة ابركة \* اذا اخضر منها جانب جف جانب \*  
\* فلا تفرحن منها لشيء تفيد \* سيذهب يوما مثل ما انت ذاهب \*  
\* وما هذه الايام الا فجائع \* وما العيش واللذات الا مصائب \*

﴿ومنها﴾ ان يعلم ان طوارق الانسان من دلائل فضله ومحنته من شواهد نبله ولذلك احدى علمتين اما لان الكمال معوز والنقص لازم فاذا تواتر الفضل عليه صار النقص فيما سواه وقد قيل من زاد في عقله نقص من رزقه وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما انتقصت جارحة من انسان الا كانت ذكاء في عقله وقال ابو العتاهية

\* ما جاوز المرء من اطرافه طرفا \* الا تخونه النقصان من طرف \*

❖ وانشدني بعض اهل الادب لابراهيم بن هلال الكاتب ❖

\* اذا جمعت بين امرئين صناعة \* فاحببت ان تدرى الذى هو احذق \*  
 \* فلا تفتقد منهما غير ما جرت \* به لهما الارزاق حين تفرق \*  
 \* فحيث يكون النقص فالرزق واسع \* وحيث يكون الفضل فالرزق ضيق \*  
 واما لان ذا الفضل محسود وبلاذى مقصود فلا يسلم في بره من معاد واشتطاط  
 مناو وقال الصنوبرى

\* محن الفتى يخبرن عن فضل الفتى \* كالنار مخبرة بفضل العنبر \*  
 وقل ما تكون محنة فاضل الامن جهة ناقص وبلوى عالم الاعلى يد جاهل  
 وذلك لاستحكام العداوة بينهما بالبينة وحدث الانتقام لاجل التقدم وقد قال  
 الشاعر

\* فلا غرو ان يبنى عدو بجاهل \* فن ذنب التنين تكسف الشمس \*  
 ❖ ومنها ❖ ما يعتاضه من الارتياض بنوائب عصره ويستفيده من الحنكة ببلاء  
 دهره فيصلب عوده ويستقيم عموده ويكمل بادنى شدته ورخائه ويتعظ بحالتي  
 عفوه وبلاءه حكى عن ثعلب قال دخلت على عبيد الله بن سليمان بن وهب وعليه  
 خلع الرضى بعد النكبة فلما مثلت بين يديه قال لي يا ابا العباس اسمع ما اقول

\* نوائب الدهر ادبتنى \* وانما يوعظ الاديب \*  
 \* قد ذقت حاوا وذقت مرا \* كذاك عيش الفتى ضروب \*  
 \* لم يمض بؤس ولا نعيم \* الا ولى فيهما نصيب \*  
 \* كذاك من صاحب الايبالى \* تغذوه من درها الخطوب \*

فقلت لمن هذه الايات قال لي ❖ ومنها ❖ ان يختبر امور زمانه ويتبده على  
 صلاح شأنه فلا يغتر برخاء ولا يطعم في استواء ولا يؤمل ان تبقى الدنيا على حالة  
 او تخلو من تقلب واستحالة فان من عرف الدنيا وخبر احوالها هان عليه بؤسها  
 ونعيمها وانشد بعض الادباء

\* انى رأيت عواقب الدنيا \* فتركت ما اهوى لما اخشى \*  
 \* فكرت في الدنيا وعالمها \* فاذا جميع امورها تفنى \*  
 \* وبلوت اكثر اهلها فاذا \* كل امرئ في شأنه يسعى \*

\* اسنى منازلها وارفعها \* في العز اقربها من المهوى \*  
 \* تعفو مساويها محاسنها \* لافرق بين النعي والبشرى \*  
 \* ولقد مررت على القبور فما \* ميرت بين العبد والمولى \*  
 \* أراك تدرى كم رأيت من الاحياء \* ثم رأيتهم موتى \*  
 فاذا ظفر المصاب باحد هذه الاسباب تخففت عنه احزانه وتسهلت عليه اشجانها  
 فصار وشيك السلوة قليل الجزع حسن العزاء وقال بعض الحكماء من حاذر لم يهلع  
 ومن راقب لم يجزع ومن كان متوقعا لم يكن متوجعا وقال بعض الشعراء  
 \* ما يكون الامر سهلا كله \* انما الدنيا سرور وحزون \*  
 \* هون الامر تعش في راحة \* قل ماهونت الا سيهون \*  
 \* تطلب الراحة في دار الفنا \* ضل من يطلب شيئا لا يكون \*  
 فان اغفل نفسه عن دواعي السلوة ومنعها من اسباب الصبر تضاعف عليه  
 من شدة الاسبى وهم الجزع ما لا يطبق عليه صبورا ولا يجد عنه سلوا وقال ابن  
 ازومي

\* ان البلاء يطاق غير مضاعف \* فاذا تضاعف صار غير مطاق \*  
 فاذا ساعده جزعه بالاسباب الباعثة عليه، وامده هلعه بالذرائع الداعية اليه  
 فقد سعى في حثفه واعان على تلفه، ❖ فن اسباب ذلك ❖ تذكر المصاب حتى  
 لا يتناساه وتصوره حتى لا يعزب عنه، ولا يجد من التذكار سلوة ولا يخلط مع  
 التصور تعزية وقد قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه، لا تستفزز الدموع بالتذكر  
 وقال الشاعر

\* ولا يبعث الاحزان مثل التذكر \*

❖ ومنها ❖ الاسف وشدة الحسرة فلا يرى من مصابه خلفا ولا يجد لمفقوده  
 بدلا فيرداد بالاسف ولها وبالحسرة هلعها ولذلك قال الله تعالى لكيلا تأسوا  
 على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم وقال بعض الشعراء

\* اذا بليت فتق بالله وارض به \* ان الذى يكشف البلوى هو الله \*  
 \* اذا قضى الله فاستسلم لقدرته \* ما لامرئ حليسة فيما قضى الله \*  
 \* اليأس يقطع احيانا بصاحبه \* لا تأسن فان الصانع الله \*

❖ ومنها ❖ كثرة الشكوى وبث الجزع فقد قيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا انه الصبر الذي لا شكوى فيه ولا بث روى انس بن مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ما صبر من بث وحكى كعب الاحبار انه مكتوب في التوراة من اصابته مصيبة فشكى الى الناس فلنما يشكوره وحكى ان اعرابية دخلت من البادية فسمعت صراخا في دار فقالت ما هذا فقيل لها مات لهم انسان فقالت ما اراهم الامن ربهم يستغيثون وبقضائه يتبرمون وعن ثوابه يرغبون وقد قيل في منشور الحكم من ضاق قلبه اتسع لسانه وانشد بعض اهل العلم

\* لا تكثر الشكوى الى الصديق \* وارجع الى الخالق لا المخلوق \*

\* لا يخرج الغريق بالغريق \*

❖ وقال بعض الشعراء ❖

\* لا تشك دهرك ما صححت به \* ان الغنى هو صحة الجسم \*

\* هبك الخليفة كنت منتفعا \* بغضارة الدنيا مع السقم \*

❖ ومنها ❖ اليأس من خير مصابه ودرك طلابه فيمترن بحزن الحادثة فتووط اليااس فلا يبقى معها صبر ولا يتسع لها صدر وقد قيل المصيبة بالصبر اعظم

المصيتين وقال ابن الرومي

\* اصبري ايتها النفس فان الصبر اجي \*

\* ربما خاب رجاء \* واتى ما ليس يرجى \*

❖ وانشدني بعض اهل العلم ❖

\* أتحسب ان البؤس للحر دائم \* ولودام شئ عده الناس في العجب \*

\* لقد عرفتك الحادثات ببؤسها \* وقد ادبت ان كان ينفك الادب \*

\* ولو طلب الانسان من صرف دهره \* دوام الذي يخشى لاعيابه ما طلب \*

❖ ومنها ❖ ان يعرى بملاحظة من حيطة سلامته وحرست نعمته حتى التحف

بالامن والدعة واستمتع بالثروة والسعة ويرى انه قد خص من بينهم بالرزية بعد

ان كان مساويا وافرد بالحارثة بعد ان كان مكافيا فلا يستطيع صبرا على

بلوى ولا يلزم شكرا على نعمي ولو قابل بهذه النظرة ملاحظة من شاركه في

الرزية وسأواه في الحادثة لتكافأ الامران فهان عليه الصبر وحان منه الفرج  
وانشدت لامرأة من العرب

- \* ايها الانسان صبرا \* ان بعد العسر يسرا \*  
\* كم رأينا اليوم حرا \* لم يكن بالامس حرا \*  
\* ملك الصبر فاضحي \* مالكا خيرا وشرا \*  
\* اشرب الصبر وان كا \* ن من الصبر امرًا \*

❖ وانشدت لبعض اهل الادب ❖

- \* براع الفتى للخطب تبدو صدوره \* فبأسى وفي عقباه يأتي سروره \*  
\* ألم تر ان الليل لما تراكممت \* دجاها بدا وجه الصباح ونوره \*  
\* فلا تصحبن اليأس ان كنت عالما \* لبيبا فان الدهر شتى اموره \*

واعلم انه قل من صبر على حادثة وتماسك في نكبة الا كان انكشافها وشيكا  
وكان الفرج منه قريبا اخبرني بعض اهل الادب ان ابا ايوب الكاتب حبس  
في السجن خمس عشرة سنة حتى ضاقت حيلته وقل صبره فكتب الى بعض  
اخوانه يشكو له طول حبسه فرد عليه جواب رقعته بهذا

- \* صبرا ابا ايوب صبر مبرح \* فاذا عجزت عن الخطوب فن لها \*  
\* ان الذي عقد الذي انعقدت له \* عقد المكاره فيك يملك حلها \*  
\* صبرا فان الصبر يعقب راحة \* ولعلها ان تتجلى ولعلها \*

❖ فاجابه ابو ايوب يقول ❖

- \* صبرتي ووعظتني وانا لها \* وستجلى بل لا اقول لعلها \*  
\* ويحلها من كان صاحب عقدها \* كرمابه اذ كان يملك حلها \*  
فلم يلبث بعد ذلك في السجن الا اياما حتى اطلق مكرما وانشد ابن دريد  
عن ابي حاتم

- \* اذا اشتمت على اليأس القلوب \* وضاق لمابه الصدر الرحيب \*  
\* واوطنمت المكاره واضمأنت \* وأرست في مكائنها الخطوب \*  
\* ولم تر لانكشاف الضر وجهها \* ولا اغنى بميلته الا ريب \*

\* اتاك على فنوط منك غوث \* يمين به اللطيف المستجيب \*

\* وكل الحادثات اذا تاهت \* فوصول بها الفرج القريب \*

❖ الفصل الثالث في المشورة ❖ اعلم ان من الحزم لكل ذى لب ان لا يبرم امرًا ولا يرضى عزما الا بمشورة ذى الرأى الناصح ومطالعة ذى العقل الراجع فان الله تعالى امر بالمشورة نبيه صلى الله عليه وسلم مع ما تكفل به من ارشاده ووعده من تأييده فقال تعالى وشاورهم فى الامر قال قتاده امره بمشاورتهم تألفا لهم وتطيبا لانفسهم وقال الضحاك امره بمشاورتهم لما علم فيها من الفضل وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى امره بمشاورتهم ليستن به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون وان كان عن مشورتهم غنيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال المشورة حصن من الندامة وامان من الملامة وقال على بن ابى طالب رضى الله عنه نعم الموازنة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه الرجل ثلاثة رجل ترد عليه الامور فيسددها برأيه ورجل يشاور فيما اشكل عليه وينزل حيث يأمره اهل الرأى ورجل حائر بامره لا يأمر رشدا ولا يطيع مرشدا وقال عمر بن عبد العزيز ان المشورة والمنظرة بابا رحمة ومفتاحا ببركة لا يضل معهما رأى ولا يفقد معهما حزم وقال سيف بن ذى يزن من اعجب برأيه لم يشاور ومن استبد برأيه كان من الصواب بعيدا وقال عبد الحميد المشاور فى رأيه ناظر من ورائه وقيل فى منشور الحكم المشاورة راحة لك وتعب على غيرك وقال بعض الحكماء الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه وقال بعض الادباء ما خاب من استخار ولا ندم من استشار وقال بعض البلغاء من حق العاقل ان يضيف الى رأيه آراء العقلاء ويجمع الى عقله عقول الحكماء فالرأى الفرد ربما زل والعقل الفرد ربما ضل وقال بشار بن برد

\* اذا بلغ الرأى المشورة فاستعن \* برأى نصيح او نصيحة حازم \*

\* ولا تجعل الشورى عليك غضاضة \* فان الحوافى قوة للعوادم \*

فاذا عزم على المشاورة ارتاد لها من اهلها من قد استكملت فيه خمس خصال ❖ احداهن ❖ عقل كامل مع تجربة سالفة فان بكثرة التجارب تصح الروية وقد روى ابو الزناد عن الاعرج عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم

انه قال استرشدوا العاقل ترشدوا ولا تعصوه فتندموا وقال عبد الله بن الحسن لابنه محمد احذر مشورة الجاهل وان كان ناصحا كما تحذر عداوة العاقل اذا كان عدوا فانه يوشك ان يورطك بمشورته فيسبق اليك مكر العاقل وتوريط الجاهل وقيل لرجل من عبس ما اكثر صوابكم قال نحن الف رجل وفينا حازم ونحن نطيعه فكأننا الف حازم وكان يقال اياك ومشاورة رجلين شاب محب بنفسه قليل التجارب في غيره او كبير قد اخذ الدهر من عقله كما اخذ من جسمه وقيل في مشور الحكمم كل شئ يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب ولذلك قيل الايام تهتك لك عن الاستار الكامنة وقال بعض الحكماء التجارب ليس لها غاية والعاقل منها في زيادة وقال بعض الحكماء من استعان بذوى العقول فاز يدرك المأمول وقال ابو الاسود الدبلي

\* وما ككل ذى نصيح بمؤتيك نصحه \* ولا كل مؤت نصحه بليب \*  
 \* ولكن اذا ما استجمعا عند صاحب \* نجح له من طاعة بنصيب \*  
 ❖ والخصلة الثانية ❖ ان يكون ذا دين وتقى فان ذلك عماد كل صلاح وباب كل نجاح ومن غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة روى عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اراد امر افشاور فيه امرءا مسلما وفقه الله لارشده اموره ❖ والخصلة الثالثة ❖ ان يكون ناصحا ودودا فان النصيح والمودة يصدقان الفكرة ويمحضان الرأى وقد قال بعض الحكماء لا تشاور الا الحازم غير الحسود والليب غير الحقود وياك ومشاورة النساء فان رأيهن الى الافن وعزمهن الى الوهن وقال بعض الادياء مشورة المشفق الحازم ظفر ومشورة غير الحازم خطر وقال بعض الشعراء

\* اصف ضميرا لمن تعاشره \* واسكن الى ناصح تشاوره \*  
 \* وارض من المرء فى مودته \* بما يؤدى اليك ظاهره \*  
 \* من يكشف الناس لا يجد احدا \* تنصح منهم له سرأره \*  
 \* اوشك ان لا يدوم وصل اخ \* فى كل زلاته تنافره \*  
 ❖ والخصلة اربعة ❖ ان يكون سليم الفكر من هم قاطع ونغم شاغل فان من عارضت فكره شوائب الهموم لا يسلم له رأى ولا يستقيم له خاطر وقد قيل فى



منثور الحكم كل شيء يحتاج الى العقل والعقل يحتاج الى التجارب وكان كسرى اذا دهمه امر بعث الى مرازبه فاستشارهم فان قصروا في الرأي ضرب قهارمته وقال ابطأتم بارزاقهم فأخطوا في آرائهم وقال صالح بن عبد القدوس \* ولا مشركذي نصح ومقدرة \* في مشكل الامر فأختر ذلك متصحاً \* ❖  
 ❖ والحصلة الخامسة ❖ ان لا يكون له في الامر المستشار غرض يتابعه ولا هوى يساعده فان الاغراض جاذبة والهوى صاد والرأي اذا عارضه الهوى وجاذبته الاغراض فسد وقد قال الفضل بن العباس بن عتبة بن ابي لهب \* وقد يحكم الايام من كان جاهلاً \* ويردى الهوى ذا الرأي وهو لبيب \* ❖  
 \* ويحمد في الامر الفتى وهو مخبط \* ويعذل في الاحسان وهو مصيب \* ❖  
 فاذا استكملت هذه الخصال الخمس في رجل كان اهلاً للمشورة ومعيناً للرأي فلا تعدل عن استشارته اعتماداً على ما توهمه من فضل رأيك وثقة بما تستشعره من صحة رويتك فان رأى غير ذى الحاجة اسلم وهو من الصواب اقرب لخلوص الفكر وخلو خاطر مع عدم الهوى وارتفاع الشهوة وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال رأس العقل بعد الايمان بالله التوود الى الناس وما استغنى برأيه وما هلك احد عن مشورة فاذا اراد الله بعبد هلكة كان اول ما يهلكه رأيه وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنده الاستشارة عين الهداية وقد خاطر من استغنى برأيه وقال لقمان الحكيم لابنه شاور من جرب الامور فانه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء وانت تأخذه مجاناً وقال بعض الحكماء نصف رأيك مع اخيك فشاوره ليكمل لك الرأي وقال بعض الادباء من استغنى برأيه ضل ومن اكتفى بعقله زل وقال بعض البلغاء الخطأ مع الاسترشاد احمد من الصواب مع الاستبداد وقال اشاعر

\* خليلي ليس الرأي في صدر واحد \* اشيرا على بالذى تريان \* ❖  
 ولا ينبغي ان يتصور في نفسه انه ان شاور في امره ظهر للناس ضعف رأيه وفساد رويته حتى افترق الى رأى غيره فان هذه معاذير النوى وليس يراد الرأي للمباهاة به وانما يراد للانتفاع بنتيجته والتحرز من الخطأ عندزله وكيف يكون عاراً ما ادى الى صواب وصد عن خطأ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال

لتحوا عقولكم بالمذاكرة واستعينوا على اموركم بالمشاورة وقال بعض الحكماء من كمال عقلك استظهارك على عقلك وقال بعض البلغاء اذا اشكلت عليك الامور وتغير لك الجمهور فارجع الى رأى العقلاء وافزع الى استشارة العلماء ولا تأنف من الاسترشاد ولا تستنكف من الاستمداد فلأن تسأل وتسلم خير لك من ان تستبد وتدم وينبغي ان تكثر من استشارة ذوى الالباب لاسيما في الامر الجليل فقلما يضل عن الجماعة رأى او يذهب عنهم صواب لارسال الخواطر الثاقبة واجالة الافكار الصادقة فلا يعرب عنها ممكن ولا يخفى عليها جائز وقد قيل في مشور الحكم من أكثر المشورة لم يعدم عند الصواب مادحا وعند الخطأ عاذرا وان كان الخطأ من الجماعة بعيدا فاذا استشار الجماعة فقد اختلف اهل رأى فى اجتماعهم عليه وانفراد كل واحد منهم به فذهب الفرس ان الاول اجتماعهم على الارتياح واجالة الفكر ليدكر كل واحد منهم ما قدحه خاطره واتجه فكره حتى اذا كان فيه قدح عورض او توجه عليه رد نوقض كالجدل الذى تكون فيه المناظرة وتقع فيه المنازعة والمشاجرة فانه لا يبقى فيه مع اجتماع القرائح عليه خلل الاظهر ولا زلل الابان وذهب غيرهم من اصناف الامم الى ان الاول استمرار كل واحد بالمشورة ليحبل كل واحد منهم فكره فى رأى طمعا فى الخطوة بالصواب فان القرائح اذا انفردت استكدها الفكر واستفرغها الاجتهاد واذا اجتمعت فوضت وكان الاول من بدائنها متبوعا ولكل واحد من المذهبين وجه ووجه الثانى اظهر والذى اراه فى الاول غير هذين المذهبين على الاطلاق ولكن ينظر فى الشورى فان كانت فى حال واحدة هل هى صواب ام خطأ كان اجتماعهم عليها اولى لان ما تردد بين امرين فالمراد منه الاعتراض على فساد او ظهور الحجمة فى صلاحه وهذا مع الاجتماع ابلغ وعند المناظرة اوضح وان كانت الشورى فى خطب قد استبهم صوابه واستعجم جوابه من امور خافية واحوال غامضة لم يحصرها عدد ولم يجمعها تقسيم ولا عرف لها جواب يكشف عن خطائه وصوابه فالاولى فى مثله انفراد كل واحد بفكره وخلوه بخاطره ليجتهد فى الجواب ثم يقع الكشف عنه أخطأ هو ام صواب فيكون الاجتهاد فى الجواب منفردا والكشف عن الصواب مجتمعا لان الانفراد فى الاجتهاد اصح والاجتماع على

المنظرة ابلغ فهكذا هذا وينبغي ان يسلم اهل الشورى من حسد او تنافس فيمتنعهم من تسليم الصواب لصاحبه ثم يعرض المستشار ذلك على نفسه مع مشاركتهم في الارتياح والاجتهاد فاذا تصفح اقاويل جميعهم كشف عن اصولها واسبابها وبحث عن نتائجها وعواقبها حتى لا يكون في الامر مقلدا ولا في الرأي مفوضا فانه يستفيد بذلك مع ارتياضه بالاجتهاد ثلاث خصال احداهن معرفة عقله وصحة رويته والثانية معرفة عقل صاحبه وصواب رأيه والثالثة وضوح ما استجم من الرأي واقتراح ما اغلق من الصواب فاذا تقرر له الرأي امضاه فلم يؤاخذهم بعواقب الاكداء فيه فان ما على الناصح الاجتهاد وليس عليه ضمان النجح لا سيما والمقادير غالبية ومتى عرف منه تعقب المشير وكل الى رأيه واسلم الى نفسه فصار فردا لا يعان برأى ولا يمد بمشورة وقد قالت الفرس في حكمها اضعف الحيلة خير من اقوى الشدة واقل التأتى خير من اكثر العجلة والدولة رسول القضاء المبرم واذا استبد الملك برأيه عميت عليه المرشد واذا ظفر برأى من خامل لا يراه للرأى اهلا ولا للمشورة مستوجبا اغتمه عفوا فان الرأى كالضالة تؤخذ اين وجدت ولا يهون لمهانة صاحبه فيطرح فان الدرلة لا يضعها مهانة فائصها والضالة لا تترك لذلة واجدها وليس يراد الرأى لمكان المشير به فيراعى قدره وانما يراد لانتفاع المستشار وانشد ابو العيلاء عن الاصمعي

\* النصح اخص ما باع الرجال فلا \* تردد على ناصح نصحا ولا تلم \*  
 \* ان النصائح لا تخفى مناهجها \* على الرجال ذوى الالباب والفهم \*  
 ثم لا وجه لمن تقرر له رأى ان يبنى في امضائه فان الزمان غادر والفرص منتهزة والثقة يحجز وقيل للملك زال عنه ملكه ما الذى سلبك ملكك قال تأخيري عمل اليوم لغد وقال الشاعر

\* اذا كنت ذا رأى فكن ذا عزيمة \* ولا تك بالترداد للرأى مفسدا \*  
 \* فاني رأيت الريب في العزم هجنة \* وانفاذ ذى الرأى العزيمة ارشدا \*  
 وينبغي لمن انزل منزلة المستشار واحل محل الناصح المواد حتى صار مأمول النجح مرجو الصواب ان يؤدي حق هذه النعمة باخلاص السريرة ويكفى على الاستسلام ببذل النصح فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال ان من حق

المسلم على المسلم اذا استنصحه ان ينصحه وربما ابطرته المشاورة فاعجب برأيه فاحذره في المشاورة فليس للمعجب رأى صحيح ولا روية سليمة وربما شخ في الرأى لعداوة او حسد فورى او مكر فاحذر العدو ولا تثق بحسود ولا عذر لمن استشاره عدو او صديق ان يكتم رأيا وقد استرشد ولا ان يخون وقد ائتمن روى محمد بن المنكدر عن عائشة رضى الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المستشار والمستشار مؤتمن وقال سليمان بن دريد

\* وأجب اخاك اذا استشارك ناصحا \* وعلى اخيك نصيحة لا تردد \*  
ولا ينبغي ان يشير قبل ان يستشار الا فيما مس ولا ان يتبرع بالرأى الا فيما لم فانه لا ينفك من ان يكون رأى متهما او مطرحا وفي اى هذين كان وصمة وانما يكون الرأى مقبولا اذا كان عن رغبة وطلب او كان لباعث وسبب روى ابو بلال الجعلى عن حذيفة بن اليمان عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال قال لقمان لابنه يا بني اذا استشهدت فاشهد واذا استعنت فأعن واذا استشرت فلا تعجل حتى تنظر وقال بهيس الكلابي

\* من الناس من ان يستشرك فجتهد \* له الرأى يستغشك ما لا تبايعه \*  
\* فلا تمحن للرأى من ليس اهله \* فلا انت محمود ولا الرأى نافعه \*  
❁ الفصل الرابع في كتمان السر ❁ اعلم ان كتمان الاسرار من اقوى اسباب اسباب النجاح وادوم لاحوال الصلاح روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال استعينوا على الحاجات بالكتمان فان كل ذى نعمة محسود وقال على بن ابي طالب كرم الله وجهه سر ك اسيرك فان تكلمت به صرت اسيره وقال بعض الحكماء لابنه يا بني كن جوادا بالمال في موضع الحق ضئيلا بالاسرار عن جميع الخلق فان احمد جود المرء الانفاق في وجه البر والبخيل بمكتوم السر وقال بعض الادباء من كتم سره كان الخيار اليه ومن افشاه كان الخيار عليه وقال بعض البلغاء ما اسرك ما كتمت سر ك وقال بعض الفصحاء ما لم تغيبه الاضالع فهو مكشوف ضائع وقال بعض الشعراء وهو انس بن اسيد

\* ولا تفش سر ك الا اليك \* فان لكل نصيح نصيحا \*  
\* فان رأيت وشاة الرجا \* ل لا يتركون ادما صحيفا \*

وكم من اظهار سر اراق دم صاحبه، ومنع من نيل مطالبه ولو كتمه كان من سطوته آمنا وفي عواقبه سلبا ولنجاح حوائجه راجيا وقال انوشروان من حصن سره فله بتخصيصه خصلتان الظفر بمحاجته والسلامة من السطوات واظهار الرجل سر غيره اقبح من اظهاره سر نفسه لانه يبوء باحدى وصمتين الحيانة انه كان مؤتمنا او النيممة ان كان مستودعا فاما الضرر فرميا استويا فيه وتفاضلا وكلاهما مذموم وهو فيهما ملوم وفي الاسترسال ببدء السر دلائل على ثلاثة احوال مذمومة احداها ضيق الصدر وقلة الصبر حتى انه لم يتسع لسر ولم يقدر على صبر وقال الشاعر

\* اذا المرء افشى سره بلسانه \* ولام عليه غيره فهو احق \*  
 \* اذا ضاق صدر المرء عن سر نفسه \* فصدر الذي يستودع السرا ضيق \*  
 والثانية الغفلة عن تحذر العقلاء والسهو عن يقظة الاذكياء وقد قال بعض الحكماء انفرد بسرك ولا تودعه حازما فيرل ولا جاهلا فيخون والثالثة ما ارتكبه من الغدر واستعمله من الخطر وقد قال بعض الحكماء سر من دمك فاذا تكلمت به فقد ارقته ♦ واعلم ان من الاسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم واستشارة ناصح مسالم فليحتر العاقل لسره امينا ان لم يجد الى كتمه سبيلا وليحتر في اختيار من يأتمنه عليه ويستودعه اياه فليس كل من كان على الاموال امينا كان على الاسرار مؤتمنا والعفة عن الاموال ايسر من العفة عن اذاعة الاسرار لان الانسان قد يذيع سر نفسه بمبادرة لسانه وسقط كلامه ويشخ باليسير من ماله حفظا له وضنا به ولا يرى ما اذاع من سره كبيرا في جنب ما حفظه من يسير ماله مع عظم الضرر الداخلى عليه فن اجل ذلك كان امناء الاسرار اشد تعذرا واقل وجودا من امناء الاموال وكان حفظ المال ايسر من كتم الاسرار لان احراز الاموال صنعة واحراز الاسرار بارزة يذيعها لسان ناطق ويشيعها كلام سابق وقال عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه القلوب او عية الاسرار والشفاه اقفالها والالسن مفتاحها فليحفظ كل امرئ مفتاح سره ♦ ومن صفات امين السر ان يكون ذا عقل صاد ودين حاجز ونصح مبذول وود موفور وكتوما بالطبع فان هذه الامور تمنع من الاذاعة وتوجب

حفظ الامانة فمن كملت فيه فهو عنقاء مغرب وقيل في منشور الحكم قلوب العقلاء  
حصون الاسرار وليحذر صاحب السر ان يودع سره من يتطلع اليه ويؤثر  
الوقوف عليه فان طالب الوديعه خائن وقيل في منشور الحكم لا تنكح خاتب  
سرك وقال صالح بن عبد القدوس

\* لا تدع سرا الى طالب \* منك فالطالب للسرم مذيع \*

وليحذر كثرة المستودعين لسره فان كثرتهم سبب الاذاعة وطريق الى الاشاعة  
لامرين احدهما ان اجتماع هذه الشروط في العدد الكثير معوز ولا بد اذا  
كثروا من ان يكون فيهم من اخل ببعضها والثاني ان كل واحد منهم يجد  
سبيلا الى نفي الاذاعة عن نفسه واحالة ذلك على غيره فلا يضاف اليه ذنب  
ولا يتوجه عليه عتب وقد قال بعض الحكماء كلما كثرت خزان الاسرار ازدادت  
ضياعا وقال بعض الشعراء

\* وسرك ما كان عند امرئ \* وسر الثلاثة غير الخفي \*

﴿ وقال آخر ﴾

\* فلا تنطق بسرك كل سر \* اذا ما جاوز الاثنين فاشي \*

ثم لو سلم من اذاعتهم لم يسلم من ادلالهم واستطالتهم فان لمن ظفر بسر من  
فرط الادلال وكثرة الاستطالة ما ان لم يحجزه عنه عقل ولم يكفه عنه فضل  
كان اشد من ذل الرق وخضوع العبد وقد قال بعض الحكماء من افشى سره كثر  
عليه المتأمرون فاذا اختار وارجو ان يوفق للاختيار واضطر الى استبداع  
سره وليته كفى الاضطرار وجب على المستودع له آداء الامانة فيه بالتحفظ  
والتناسي له حتى لا يظنر له ببال ولا يدور له في خلد ثم يرى ذلك حرمة يراها  
ولا يدل ادلال اللئام وحكي ان رجلا اسر الى صديق له حديثا ثم قال افهمت  
قال بل جهلت قال احفظت قال بل نسيت وقيل لرجل كيف كتمانك للسرك قال  
اجحد الخبر واحلف للمستخير وقال بعض الشعراء

\* ولو قدرت على نسيان ما اشتمت \* من الضلوع على الاسرار والخبر \*

\* لكنت اول من ينسى سرائره \* اذ كنت من شرها يوما على خطر \*

وحكى ان عبدالله بن طاهر تذاكر الناس في مجلسه حفظ السر فقال ابنه  
 \* ومستودعي سرا تضمنت سره \* فلودعته من مستقر الحشى قبراً \*  
 \* ولكننى اخفيه عنى كأننى \* من الدهر يوماً ما احطت به خبراً \*  
 \* وما السر فى قلبى كيت بحفرة \* لانى ارى المدفون ينتظر الشمرأ \*  
 ﴿ الفصل الخامس فى المزاح والضحك ﴾ اعلم ان للمزاح ازاحة عن الحقوق  
 ومخرجا الى القطيعة والعقوق يصم المزاح ويؤذى الممازح فوصمة الممازح ان  
 يذهب عنه الهيبة والبهاء ويجرى عليه الغوغواء والسفهاء واما اذية الممازح  
 فلانه معقوق بقول كرية وفعل ممض ان امسك عنه احزن قلبه وان قابل عليه  
 جانب ابنه فحق على العاقل ان يتقيه وينزه نفسه عن وصمة مساويه وقد روى  
 عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال المزاح استدراج من الشيطان واختداع من  
 الهوى وقال عمر بن عبد العزيز اتقوا المزاح فانها حقة تورث ضعيفة وقال  
 بعض الحكماء انما المزاح سباب الا ان صاحبه يضحك وقيل انما سمي المزاح  
 مزاحا لانه يزيج عن الحق وقال ابراهيم النخعي المزاح من سخف او بطر وقيل  
 فى منشور الحكم المزاح يأكل الهيبة كما تأكل النار الحطب وقال بعض الحكماء من  
 كثر مزاحه زالت هيئته ومن كثر خلافه طابت غيبته وقال بعض البلغاء من  
 قل عقله كثر هزله وذكر خالد بن صفوان المزاح فقال يصك احدكم صاحبه  
 باشد من الجنبل وينشقه احرق من الخردل ويفرغ عليه احمر من الرجل ثم يقول  
 انما كنت امازحك وقال بعض الحكماء خير المزاح لا ينال وشره لا يقال فنظمه  
 السابورى فى قصيدته الجامعة للأدب فقال وزاد

\* شر مزاح المرء لا يقال \* وخيره يا صاح لا ينال \*  
 \* وقد يقال كثرة المزاح \* من الفتى تدعو الى التلاح \*  
 \* ان المزاح بدؤه حلاوه \* اكنما آخره عدواه \*  
 \* يتحدث منه الرجل الشريف \* ويجترى بسخفه السخيف \*

﴿ وقال ابو نواس ﴾

\* خـل جنـيـك رام \* وامض عند بسلام \*

- \* مت بدء الصمت خير \* لك من داء الكلام \*  
 \* انما السلام من ألبم فاه بلبسـام \*  
 \* ربما استفتح بالزح مغاليق الحمام \*  
 \* والمنايا آكلات \* شاربات للاثام \*

واعلم انه قلما يعرى من المزاح من كان سهلا فالعاقل يتوخى بمزاحه احدى حالتين لاثالث لهما \* احدهما \* ايناس المصاحبين والتودد الى المخالطين وهذا يكون بما انس من جميل القول وبسط من مستحسن الفعل وقد قال سعيد ابن العاص لابنه اقتصد في مزاحك فان الافراط فيه يذهب البهاء ويجرى عليك السفهاء وان التقصير فيه يفض عنك المؤانسين ويوحش منك المصاحبين \* والحالة الثانية \* ان ينفي بالمزاح ما طرأ عليه من سأم واحداث به من هم فقد قيل لا بد للمصدور ان ينفت وانشدت لابي الفتح البستي

- \* أفد طبعك المكدود بالجد راحة \* تجسم وعلاه بشئ من المزح \*  
 \* ولكن اذا اعطيته المزح فليكن \* بمقدار ما تعطى الطعام من الملح \*
- وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يمزح على هذا الوجه روى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال انى لامزح ولا اقول الا حقا • فن مزاحه صلى الله عليه وسلم ما روى ان مجوزا من الانصار اتته فقالت يا رسول الله ادع لى بالغفرة فقال أما علمت ان الجنة لا يدخلها العجائز فصرخت فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أما قرأت قول الله عز وجل انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا عربا اترابا • واتته اخرى فى حاجة لزوجها فقال لها ومن زوجك فقالت فلان فقال لها الذى فى عينه بياض فقالت لا فقال بلى فانصرفت محبلى الى زوجها وجعلت تتأمل عينه فقالت لها ما شأنك فقالت اخبرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى عينيك بياضا فقال أما ترين بياض عيني أكثر من سوادها • واتى رجل على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال انى احتلمت على امى فقال اقيموه فى الشمس واضربوا ظله الحد • وسئل الشعبي عن اكل لحم الشيطان فقال نحن نرضى منه بالكفاف وقيل له ما اسم امرأ ابليس لعنه الله فقال ذاك نكاح ما شهدناه وقال رجل لغلام بكم تعمل معى قال بطعامى فقال له احسن



قليلا قال فاصوم الاثنين والخميس وحكى عن ابي صالح بن حسان وكان محدثا انه قال يوما لاصحابه اققه الناس وضاح اليمين في قوله

\* اذا قلت هاتى نولينى تبرمت \* وقالت معاذ الله من فعل ما حرم \*  
 \* فا نولت حتى تضرعت عندها \* وانباتهنسا ما رخص الله في اللحم \*  
 فاما الخروج الى حد الخلاء فمجننة ومذمة كالذى حكى عن ابي معاوية  
 الضرير وكان محدثا انه خرج يوما الى اصحابه وهو يقول

\* واذا المعدة جاشت \* فارمها بالبخنيق \*

\* بثلاث من نبيذ \* ليس بالخلو الرقيق \*

أما ترى كيف طرق بخلاعه التهمة على نفسه بهذا المزح فيما لعله برئ منه  
 ويعيد عنه وقد كان ابو هريرة رضى الله عنه مسترسلا في مزاحه • روى  
 ابن قتبية في المعارف ان مروان ربما كان يستخلفه على المدينة فيركب حجارا  
 قد شد عليه رذعة فيسير فيلقى الرجل فيقول الطريق قد جاء الامير وربما اتى  
 الصبيان وهم يلعبون لعبة الاعراب فلا يشعرون حتى يلقى نفسه بينهم ويضرب  
 برجله فيفزع الصبيان فينفرون وهذا خروج عن القدر المستسمح به ويوشك  
 ان يكون لهذا الفعل منه تأويل سائغ وقد كان صهيب بن سنان مزاحا فقال له  
 النبي صلى الله عليه وسلم أنك أكلت اثميا وبك رمد فقال يا رسول الله انما امضغ على  
 الناحية الاخرى وانما استجاز صهيب ان يعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم  
 بالمزح في جوابه لان استخباره صلى الله عليه وسلم قد كان يتضمن المزح فاجابه عن  
 استخباره بما يوافق مساعده لغرضه وتقربا من قلبه والا فليس لاحد ان يجعل  
 جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم مزحا لان المزح هزل ومن جعل جواب  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم المبين عن الله عز وجل احكامه المؤدى الى خلقه  
 او امره هزلا ومزحا فقد عصى الله ورسوله وصهيب كان اطوع لله سبحانه  
 وتعالى من ان يكون بهذه المنزلة فقد قال صلى الله عليه وسلم انا سابق العرب  
 وصهيب سابق الروم وسلمان سابق الفرس وبلال سابق الحبش • ومن مستحسن  
 المزح ومستسمح الدعابة ما حكى الزبير بن بكار عن الكندي ان القشيري وقف  
 على شيخ من الاعراب فقال يا اعرابي ممن انت فقال من عقيل قال من اى عقيل

قال من بنى خفاجة فقال القشيري رأيت شيخنا من بنى خفاجة فقال الاعرابي ما شأنه قال له اذا جن الظلام حاجة فقال الاعرابي ما هي قال كحاجة الديك الى الدجاجة فاستعبر الاعرابي ضاحكا وقال قاتلك الله ما عرفك بسرائر القوم فانظر كيف بلغ بهذا المزح غايته ولسانه نزه وعرضه مصون وهذا غاية ما يتسامح به الفضلاء من الخلاعة وان كان مستكره الفحوى والنزاهة عن مثله اولى وليحذر ان يسترسل في مباحة عدو فيجعل له طريقا الى اعلان المساوى وهو مجد ويفسخ له في التثني مزحا وهو محق وقد قال بعض الحكماء اذا مازحت عدوك ظهرت له عيوبك ❖ واما الضحك فان اعتيانه شاعل عن النظر في الامور المهمة مذهل عن الفكر في النوائب الملمة وليس لمن اكثر منه هيبة ولا وقار ولا لمن وصم به خطر ولا مقدار روى ابو ادريس الخولاني عن ابي ذر الغفاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياك وكثرة الضحك فانه يميت القلب ويذهب بنور الوجود وروى عن ابن عباس في قوله تعالى ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ان الصغيرة الضحك وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه من اكثر ضحكك قلت هيبته وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اذا ضحك العالم ضحكة حج من العلم حجة وقيل في منشور الحكم ضحكة المؤمن غفلة من قلبه والقول في الضحك كالتقول في المزاح ان تجافاه الانسان نفر عنه واوحش منه وان الفء كانت حاله ما وصفنا فليكن بدل الضحك عند الايناس تبسما وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه التبسم دعاية وهذا ابلغ في الايناس من الضحك الذي هو قد يكون استهزاء وتجبها وليس ينكر منه المرة النادرة لطارى استغفل النفس عن دفعه هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ادلك الخلق لنفسه قد تبسم حتى بدت نواجذه وانما كان ذلك منه صلى الله عليه وسلم على الوجه الذي ذكرناه ❖ الفصل السادس في الطيرة والقال ❖ اعلم انه ليس شيء اضر بالرى ولا افسد للتدبير من اعتقاد الطيرة ومن ظن ان خوار بقرة او نعب غراب يرد قضاء او يدفع مقدورا فقد جهل وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر ❖ فالعدوى ❖ ما يظنه الناس من تعدى العمل والامراض فاخبر انها لا تعدى فقيل يا رسول الله

النازى النعطة من الجرب فى مشفر البعير فتعدى الى جميعه فقال صلى الله عليه وسلم فاحدى الاول واما ﴿ الهامة ﴾ فهو ما كانت العرب فى الجاهلية تعتقد من ان القتل اذا طل دمه فلم يدرك بثاره صاحته هامة فى القبر استوفى قال الزبرقان بن بدر يعنىها

\* يا عمرو ألا تدع شتمى ومنتهصتى \* اضربك حتى تقول الهامة استوفى \*  
 ﴿ وقال ابراهيم بن هرمة ﴾

\* وكيف وقد صاروا عظاما واقبرا \* يصيح صداها بالعشى وهامها \*  
 \* تفانوا ولم يتوا وكل قبيلة \* سريع الى ورد الفناء كرامها \*  
 واما ﴿ الصفر ﴾ فهو كالحية يكون فى الجوف يصيب الماشية والناس وهو احدى عندهم من الجرب وفيه يقول الشاعر

\* لا يسك الساق من اين ولا عصب \* ولا يعض على شرسوفه الصفر \*  
 وروى ابو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا ظنتم فلا تحمقوا واذا حسدتم فلا تبغوا واذا تطيرتم فامضوا وعلى الله فتوكلوا وقال الشاعر

\* ظيرة الناس لا ترد قضاء \* فاعذر الدهر لا تشبه بلوم \*  
 \* اى يوم تخصصه بسعود \* والنيايا ينزلن فى كل يوم \*  
 \* ليس يوم الا وفيه سعود \* ونحوس تجرى لقوم وقوم \*  
 وقد كانت الفرس اكثر الناس طيرة وكانت العرب اذا ارادت سفرا نفرت اول طائر تلقاه فان طار يمينه سارت وتيمنت واذا طار يسرة رجعت وتشأمت فنهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقال اقروا الطير على وكفانها وحكى عكرمة قال كنا جلوسا عند ابن عباس رضى الله عنهما فر طائر يصيح فقال رجل من القوم خير فقال ابن عباس لا خير ولا شر وقال لبيد

\* لعمر ك ما تدرى الضوارب بالحصى \* ولا زاجرات الطير ما الله صانع \*  
 واعلم انه قلما ينلمو من الطيرة احد لا سيما من عارضته المقادير فى ارادته وصدده القضاء عن طلبته فهو يرجو والياس عليه اغلب ويأمل والخوف اليه اقرب فذا عاقه القضاء وخانه الرجاء جعل الطيرة عذر خبيته وغفل عن قضاء الله عن

وجل ومشيئته فاذا تطير اجم عن الاقدام ويئس من الظفر وظن ان القياس فيه  
 مطرد وان العبرة فيه مستمرة ثم يصير ذلك له عادة فلا ينجح له سعي ولا يتم له قصد  
 فاما من ساعدته المقادير ووافقه القضاء فهو قليل الطيرة لاقدامه ثقة باقباله  
 وتعويلا على سعادته فلا يصده خوف ولا يكفه حزن ولا يؤوب الا ظافرا ولا  
 يعود الا منجحا لان الغنم بالاقدام والحية مع الاجسام فصارت الطيرة من سمات  
 الادبار واطراحها من امارات الاقبال فينبغي لمن منى بها وبلى ان يصرف عن  
 نفسه وساوس النوكى ودواعى الخيبة وذرائع الحرمان ولا يجعل للشيطان سلطانا  
 فى نقض عزائمه ومعارضة خالقه ويعلم ان قضاء الله تعالى عليه غالب وان  
 رزقه له طالب الا ان الحركة سبب فلا يثنيه عنها ما لا يضر مخلوقا ولا يدفع  
 مقدورا وليمض فى عزائمه واثق بالله تعالى ان اعطى وراضيا به ان منع فقد روى  
 ابو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان فى الانسان ثلاثة الطيرة  
 والظن والحسد فخرج من الطيرة ان لا يرجع ومخرجه من الظن ان لا يتحقق  
 ومخرجه من الحسد ان لا يبغي وروى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال كفارة الطيرة  
 التوكل على الله تعالى وقيل فى مشور الحكم الخير فى ترك الطيرة وليقل ان عارضه  
 فى الطيرة ريب او خامر فيها وهم ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال  
 من تطير فليقل اللهم لا يأتى بالخيرات الا انت ولا يدفع السيئات الا انت ولا حول  
 ولا قوة الا بالله وقد روى ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول  
 الله انا نزلنا دارا فكثر فيها عددنا وكثرت فيها اموالنا ثم تحولنا عنها الى اخرى  
 فقلت فيها اموالنا وقل فيها عددنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذروها فهى ذميمة  
 وليس هذا القول منه صلى الله عليه وسلم على وجه الطيرة ولكن على طريق  
 التبرك بما فارق وترك ما استوحش منه الى ما انس به • واما الفال ففيه تقوية  
 للعزم وبعث على الجد ومعونة على الظفر فقد تفاءل رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم فى غزواته وحروبه وروى ابو هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 سمع كلمة فاعجبته فقال اخذنا فالك من فيك فينبغي لمن تفاءل ان يتأول الفال  
 باحسن تأويلاته ولا يجعل لسوء الظن على نفسه سبيلا فقد قال النبي صلى الله  
 عليه وسلم ان البلاء موكل بالنطق روى ان يوسف عليه السلام شك الى الله

تعالى طول الحبس فأوحى الله تعالى اليه يا يوسف انت حبست نفسك حيث قلت  
رب السجن احب اليّ ولو قلت العافية احب اليّ لعوفيت وحي ان المؤمل بن  
اميل الشاعر لما قال يوم الحرة

\* شف المؤمل يوم الحرة النظر \* ليت المؤمل لم يخلق له بصر \*  
عمى فاتاه آت في منامه فقال له هذا ما طلبت وحي ان الوليد بن يزيد بن  
عبد الملك تفاعل يوما في المصحف فخرج له قوله تعالى واستفتحوا وخاب كل جبار  
عند فرق المصحف وانشأ يقول

\* أتوعد ككل جبار عنيد \* فهذا انا ذلك جبار عنيد \*  
\* اذا ما جئت ربك يوم حشر \* فقل يا رب مزقني الوليد \*  
فلم يلبث الا اياما حتى قتل شر قتلة وصلب رأسه على قصره ثم على سور بلده  
فنعوذ بالله من البغي ومصارعه والشيطان ومكائده وهو حسنا وعليه  
توكلنا ﴿ الفصل السابع في المروءة ﴾ اعلم ان من شواهد الفضل ودلائل  
الكرم المروءة التي هي حلية النفوس وزينة الهمم فالمروءة مراعاة الاحوال التي  
تكون على افضلها حتى لا يظهر منها قبيح عن قصد ولا يتوجه اليها ذم  
باستحقاق روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عامل الناس فلم يظلمهم  
وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم فهو ممن كملت مروءته وظهرت عدالته  
ووجبت اخوته وقال بعض البلغاء من شرائط المروءة ان يتعفف عن الحرام  
ويتصلف عن الآثام وينصف في الحكم ويكف عن الظلم ولا يطمع فيما  
لا يستحق ولا يستطيل على من لا يسترق ولا يعين قويا على ضعيف ولا يؤثر  
دينا على شريف ولا يسر ما يعقبه الوزر والاثم ولا يفعل ما يقبح الذكر والاسم  
وسئل بعض الحكماء عن الفرق بين العقل والمروءة فقال العقل يأمرك بان نفع  
والمروءة تأمرك بالاجل ولن تجد الاخلاق على ما وصفنا من حد المروءة من فضائل  
ولا عن المراعاة مستغنية وانما المراعاة هي المروءة لا ما انطبعت عليه من فضائل  
الاخلاق لان غرور الهوى ونازع الشهوة يصرفان النفس ان تترك الفضل  
من خلائقها والاجل من طرائقها وان سلمت منها وبعيد ان تسلم الا لمن استكمل  
شرف الاخلاق طبعها واستغنى عن تهذيبها تكلفا وتطبعها وقال الشاعر

- \* من لك بالحض وليس محض \* ينجث بعض ويطيب بعض \*
- ثم لو استكمل الفضل طبعاً وفي المعوز ان يكون مستكملاً لكان في المستحسن من عادات دهره والموضوع من اصطلاح عصره من حقوق المروءة وشروطها ما لا يتوصل اليه الا بالمعاناة ولا يوقف عليه الا بالتفقد والمراعاة فثبت ان مراعاة النفس على افضل ا- والها هي المروءة واذا كانت كذلك فليس يتعاد لها مع ثقل كلفها الا من تسهلت عليه المشاق رغبة في الحمد وهانت عليه الملاذ حذرا من الذم ولذلك قيل سيد القوم اشقاهم وقال ابو تمام الطائي
- \* والحمد شهد لا يرى مشاره \* ينجيه الا من نقيع الخنظل \*
- \* غل لحامله ويحبه الذي \* لم يوه عاتقه خفيف المحمل \*
- ❖ وقد لحظ النبي ذلك في قوله ❖
- \* لولا المشقة ساد الناس كلهم \* الجود يقرر والاقدام قتال \*
- ❖ وله ايضا ❖
- \* واذا كانت النفوس كبارا \* تبعت في مرادها الاجسام \*
- والداعي الى استسهال ذلك شيان احدهما علو الهمة والثاني شرف النفس اما ❖ علو الهمة ❖ فلانه باعث على التقدم وداع الى التخصيص انفة من نخول الضعة واستنكار المهانة النقص ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يحب معالي الامور واشرافها ويكره دنيها وسفاسفها وروى عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه انه قال لا تصغرن همتكم فاني لم ارا قعد عن المكرامات من صغر الهمة وقال بعض الحكماء الهمة راية الجند وقال بعض البلغاء علو الهمة بذر النعم وقال بعض العلماء اذا طلب رجلان امرًا ظفر به اعظمهما مروءة وقال بعض الادباء من ترك التماس المعالي بسوء الرجاء لم ينل جسيما واما ❖ شرف النفس ❖ فان به يكون قبول التأديب واستقرار التقويم والتهديب لان النفس ربما جمعت عن الافضل وهي به عارفة ونفرت عن التأديب وهي له مستحسنة لانها عليه غير مطبوعة وله غير ملائمة فتصير منه انفر ولضده الملائم أكثر وقد قيل ما اكثر من يعرف الحق ولا يطيعه واذا شرفت النفس كانت للأداب طالبة وفي الفضائل رغبة فاذا ما زجها صادف طبعاً ملائماً فمني واستقر

فأما من منى بعلو الهممة وسلب شرف النفس فقد صار عرضة لامر اعوزته  
آلته وافسده جهالته فصار كضريح يروم تعلم الكتابة واخرس يريد الخطبة فلا  
يزيده الاجتهاد ان تجزا والطلب الا عوزا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم  
ما هلك امرؤ عرف قدره وقيل لبعض الحكماء من اسوأ الناس حالا قال من  
بعثت همته واتسعت امنيته وقصرت آلته وقتت مقدرته وقال افنون الثعلبي

\* ولا خير فيما يكذب المرء نفسه \* وتقواله للشئ يا ليت ذالبا  
\* لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقى \* اذا هو لم يجعل له الله واقيا \*

وقال بعض الحكماء تجنبوا المنى فانها تذهب ببهجة ما خولتم وتستصغرون بها  
نعمة الله عليكم وقيل في منشور الحكم المنى من بضائع النوكى فان صادف بهمتته  
حظا نال به املا كان فيما ناله كالمغتصب وفيما وصل اليه كالتغلب اذ ليس في  
الخطووظ تقدير لحق ولا تمير استحق وانما هي كالسحاب الذى يمىك عن منابت  
الاشجار الى مغايص البحار ويترك حيث صادف من خيىث وطيب فان صادف  
ارضا طيبة نفع وان صادف ارضا خيىثة ضرر ذلك الخط ان صادف نفسا  
شريفة نفع وكان نعمة عامة وان صادف نفسا دنية ضرر وكان نقمة طامة  
وحكى ان موسى بن عمران عليه السلام دعا على قوم بالعداب فاوحى اليه قد  
ملكتم سقلها على اعلاها فقال يا رب كنت احب لهم عذابا عاجلا فاوحى الله تعالى  
اليه أو اس هذا كل العذاب العاجل الاليم فاما مرف النفس اذا تجرد عن علو  
الهممة فالفضل به عاقل والتدرب به خامل وهو كالتوتى الذى الجلد الكدل والجبان  
العشل تضيع قوته بكسله وجلده بفشله وقد قيل في منشور الحكم من دام كسله  
خاب املة وقال بعض الحكماء نكح العجز الزواني فخرج منها الندامة ونكح  
الشؤم الكسل فخرج منهما الحرمان وقال بعض الشعراء

\* اذا انت لم تعرف لنفسك حقهما \* هو انا بها كانت على الناس اهونا \*  
\* فنفسك اكرمها وان ضاق مسكن \* عليك لها فاطلب لنفسك مسكنا \*  
\* واياك والسكنى بمنزل ذلة \* يعدد مسيئا فيه من كان محسنا \*  
وشرف النفس مع صغر الهممة اولى من علو الهممة مع دناءة النفس لان من علت همته  
مع دناءة نفسه كان متعديا الى طلب ما لا يستحقه ومتخطيا الى التماس ما لا يستوجبه

ومن شرفت نفسه مع صغرهمته فهو تارك لما يستحق ومتصر عما يجب له وفضل ما بين الامرين ظاهر وان كان لكل واحد منهما من الذم نصيب وقد قيل لبعض الحكماء ما اصعب شئ على الانسان قال ان يعرف نفسه ويكتم الاسرار فاذا اجتمع الامران واقترن بشرف النفس علو الهممة كان الفضل بهما ظاهرا والادب بهما وافرا ومشاق الحمد بينهما مسهلة وشروط المروءة بينهما متبينة وقد قال الحصين ابن المنذر الرقاشي

- \* ان المروءة ليس يدركها امرؤ \* ورث المكارم عن اب فاضاعها \*
- \* امرته نفس بالدناءة والخنا \* ونهته عن سبل العلا فاطاعها \*
- \* فاذا اصاب من المكارم خلعة \* يبني الكرم بها المكارم باعها \*

واعلم ان حقوق المروءة اكثر من ان تحصى واخفى من ان تظهر لان منها ما يقوم في الوهم حسا ومنها ما يقتضيه شاهد الحال حدسا ومنها ما يظهر بالفعل ويخفى بالتعاقل فالدلك اعوز استيفاء شروطها الا جلا يتنبه الفاضل عليها يقطه ويستدل العاقل عليها بفطرته وان كان جميع ما تضمنه كتابنا هذا من حقوق المروءة وشروطها وانما نذكر في هذا الفصل الاشهر من قواعدها واصولها والاظهر من شروطها وحقوقها محصورا في تقسيم جامع وهو ينقسم قسمين احدهما شروط المروءة في نفسه والثاني شروطها في غيره • فاما شروطها في نفسه بعد التزام ما اوجبه الشرع من احكامه فيكون بثلاثة امور وهي العفة والزاهة والصيانة فاما العفة فنوعان احدهما العفة عن المحارم والثاني العفة عن المآثم فاما العفة عن المحارم فنوعان احدهما ضبط الفرج عن الحرام والثاني كف اللسان عن الاعراض فاما ضبط الفرج عن الحرام فلانته مع وعيد الشرع وزاجر العقل معرفة فضيحة وهتكه داحضة ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من وثى شر ذنبه ولقلقه وقبجه فقد وثى يريد بذنبه الفرج وبلقلقه اللسان وبقبجه البطن وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال احب العفاف الى الله تعالى عفاف الفرج والبطن وحكى ان معاوية رضى الله عنه سأل عمر عن المروءة فقال تقوى الله تعالى وصلة الزحم وسأل المغيرة فقال هي العفة عما حرم الله تعالى والحرفة فيما احل الله تعالى وسأل يزيد فقال



هي الصبر على البلوى والشكر على النعمى والعفو عند القدرة فقال معاوية  
انت منى حقا وقال انوشروان لابنه هرمز من الكامل المروءة فقال من حصن  
دينه ووصل رحمه واكرم اخوانه وقال بعض الحكماء من احب المكارم اجتنب  
المحارم وقيل عار الفضيحة يكدر لذتها وقد انشدني بعض اهل الادب للحسن  
ابن على رضى الله عنهما

\* الموت خير من ركوب العار \* والعار خير من دخول النار \*  
\* والله من هذا وهذا جارى \*

والداعى الى ذلك شيان احدهما ارسال الطرف والثانى اتباع الشهوة وقد  
روى عن النبي عليه السلام انه قال لعلى بن ابى طالب كرم الله وجهه يا على  
لا تتبع النظرة النظرة فان الاولى لك والثانية عليك وفي قوله لا تتبع النظرة  
النظرة تأويلان احدهما لا تتبع نظر عينك نظر قلبك والثانى لا تتبع الاولى التى  
وقعت سهوا بالنظرة الثانية التى توقعها عمدا وقال عيسى بن مريم عليه السلام  
اياكم والنظرة بعد النظرة فانها تزرع فى القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها  
فتنة وقال على بن ابى طالب كرم الله وجهه العيون مصايد الشيطان وقال  
بعض الحكماء من ارسل طرفه استدعى حتفه وقال بعض الشعراء

\* وكنت متى ارسلت طرفك رائدا \* لقلبك يوما اتعبتك المناظر \*  
\* رأيت الذى لا كلاه انت قادر \* عليه ولا عن بعضه انت صابر \*  
واما الشهوة فهى خادعة العقول وغادرة الالباب ومحسنة التبايح ومسولة الفضائح  
وليس عطب الا وهى له سبب وعليه الب ولذلك قال النبي عليه السلام اربع  
من كن فيه وجبت له الجنة وحفظ من الشيطان من ملك نفسه حين يرغب  
وحين يرهب وحين يشتهى وحين يغضب وقهرها عن هذه الاحوال يكون  
بثلاثة امور ❖ احدها ❖ غض الطرف عن اثارها وكفه عن مساعدتها  
فانه الرائد المحرك والقائد المهلك روى سعيد بن سنان عن انس بن مالك عن  
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تقبلوا الى بست اتقبل اليكم بالجنة قالوا وما هى  
يا رسول الله قال اذا حدث احدكم فلا يكذب واذا وعد فلا يخلف واذا اتمن فلا  
يخون غضوا ابصاركم واحفظوا فروجكم وكفوا ايديكم ❖ والثانى ❖ ترغيبها فى

الحلال عوضا واقناعها بالبالح بدلا فان الله ما حرم شيئا الا واغنى عنه بمباح من جنسه لما علمه من نوازع الشهوة وتركيب الفطرة ليكون ذلك عوننا على طاعته وحاجزا عن مخالفته وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما امر الله تعالى بشيء الا واعان عليه ولا نهى عن شيء الا واغنى عنه ﴿ والثالث ﴾ اشعار النفس تقوى الله تعالى في اوامره واتقاءه في زواجره والزائمها ما الزم من طاعته وتحذيرها ما حذر من معصيته واعلامها انه لا يخفى عليه ضمير ولا يعزب عنه قطمير وانه يجازى المحسن ويكافئ المسيء وبذلك نزلت كتبه وبلغت رسله روى ابن مسعود ان آخر ما نزل من القرآن واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون و آخر ما نزل من التوراة اذا لم تستحي فاصنع ما شئت و آخر ما نزل من الانجيل شر الناس من لا يبالي ان يراه الناس مسيئا و آخر ما نزل من الزبور من يزرع خيرا يحصد زرعه غبطة فاذا اشعرها ما وصفت انقادت الى الكف واذعنت بالاتقاء فسلم دينه وظهرت مروءته فهذا شرط واما كف اللسان عن الاعراض فلائنه ملاذ السفهاء وانتقام اهل الغوغاء وهو مستسهل الكلف اذا لم يقهر نفسه عنه برادع كاف وزاجر ساد تلبط بمعاره وتخبط بمضاره وظن انه لتجافى الناس عنه حتى يتقى ورتبة ترتقى فهلك واهلك فلذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ألا ان دعاءكم واموالكم واعراضكم حرام عليكم حرام عليكم بجمع بين الدم والعرض لما فيه من ايفار الصدور وابداء الشرور واطهار البزء واكتساب الاعداء ولا يبقى مع هذه الامور وزن لموموق ولا مروءة للمحوظ ثم هو بهاموتور موزور ولاجلها مهجور مزجور وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال شر الناس من اكرمه الناس اتقاء لسانه وقال بعض الحكماء انما هلك الناس بفضول الكلام وفضول المال وما قدح في الاعراض من الكلام نوعان احدهما ما قدح في عرض صاحبه ولم يتجاوزه الى غيره وذلك شيئان الكذب وخش القول والثاني ما يتجاوزه الى غيره وذلك اربعة اشياء الغيبة والتميمة والسعاية والسب بقذف او شتم وربما كان السب انكاسها للقلوب وابلانها اثرا في النفوس ولذلك ما زجر الله عنه بالحد تغليظا وبالفسيق تشديدا وتصعبيا وقد يكون ذلك لاحد شيئين اما انتقام يصدر عن

سفه او بذاء يحدث عن لؤم وقد روى ابو سلمة عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال المؤمن غر كريم والفاجر خب لئيم وقال ابن المقفع الاستطالة لسان الجهالة وكف النفس عن هذه الحال بما يصددها من الزواجر اسلم وهو بذري المروءة اجل فهذا شرط واما العفة عن المآثم فنوعان احدهما الكف عن المجاهرة بالظلم والثاني زجر النفس عن الاسرار بخيانة فاما المجاهرة بالظلم فعتو مهلك وظغيان متلف وهو يؤول ان استمر الى فتنة او جلاء فاما الفتنة في الاغلب فتحيط بصاحبها وتعكس عن البائى بها فلا تكشف الا وهو بها مصروع كما قال الله تعالى ولا يحق المكر السيء الا باهله وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الفتنة نائمة فمن ايقظها صار طعاما لها وقال جعفر بن محمد الفتنة حصاد للظالمين وقال بعض الحكماء صاحب الفتنة اقرب شئ اجلا واسوأ شئ عملا وقال بعض الشعراء

\* وكنت كعنز السوء قامت لحنقها \* الى مدينة تحت الثرى تستشيرها \*  
 واما الجلاء فقد يكون من قوة الظالم وتطاول مدته فيصير ظلمه مع المكنته جلاء وفناء كالنار اذا وقعت في يابس الشجر فلا تبقى معها مع تمكنها شيئا حتى اذا اذنت ما وجدت اضحمت ونجحت فكذا حال الظالم مهلك ثم هالك والباعث على ذلك شيان الجراءة والتسوة ولذلك قال النبي عليه السلام ادلبوا الفضل والمعروف عند الرجاء من امتي تعيشوا في اكنافهم والصادق عن ذلك ان يرى آثار الله تعالى في الظالمين فان له فيهم عبرا ويتصور عواقب ظلمهم فان فيهما مزدجرا وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من اصبح ولم ينو ظلم احد غفر الله له ما اجترم وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا على اتق دعوة المظلوم فانه انما يسأل الله حقه وان الله لا يسمع ذا حق حقه وقيل في منشور الحكم ويل للظالم من يوم المظالم وقال بعض البلغاء من جار حكمه اهلكه ظلمه وقال بعض الشعراء

\* وما من يد الا يد الله فوقها \* ولا ظالم الا سيلى بظالم \*  
 واما الاستسرار بالخيانة فضعة لانه بذل الخيانة مهين ولقلة الثقة به مستكين وقد قيل في منشور الحكم من يخن يهن وقال خالد الربيعي قرأت في بعض

الكتب السالفة ان مما تعجل عقوبة ولا تؤخر الامانة تخان والاحسان يكفر  
والرحم تقطع والبغى على الناس ولولم يكن من ذم الخيانة الا ما يجده الخائن في  
نفسه من المذلة لكفاه زاجرا ولو تصور عقبي امانته وجدوى ثقته لعلم ان ذلك  
من اربح بضائع جاهه واقوى شفعا تقدمه مع ما يجده في نفسه من العز ويقابل  
عليه من الاعظام وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أدّ الامانة الى  
من ائتمك ولا تخن من خالك وروى سعيد بن جبير قال لما نزلت هذه الآية ومن  
اهل الكتاب من ان تأمئه بقتلار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده  
اليك الا ما دمت عليه قائماً ذلك بانهم قالوا ليس علينا في الاميين سبيل يعنون  
ان اموال العرب حلال لهم لانهم من غير اهل الكتاب قال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم كذب اعداء الله ما من شيء كان في الجاهلية الا وهو تحت  
قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر ولا يجعل ما يتظاهر به من الامانة  
زورا ولا ما يديه من العفة غرورا فينهتك الزور وينكشف الغرور فيكون مع  
هتكه للتدليس اقبح ولعرة الرياء افضح وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه  
قال لا تزال امتي بخير ما لم تر الامانة مغنما والصدقة مغرما وقال بعض الحكماء  
من التمس اربع باربع التمس ما لا يكون ومن التمس الجزاء بارياء التمس ما لا يكون  
ومن التمس مودة الناس بالغلظة التمس ما لا يكون ومن التمس وفاء الاخوان بغير  
وفاء التمس ما لا يكون ومن التمس العلم براحة الجسد التمس ما لا يكون والداعى الى  
الخيانة شيان المهانة وقلة الامانة فاذا حسمهما عن نفسه بما وصفت ظهرت  
مروءته فهذا شرط قد استوفينا فيه اقسام العفة ❖ واما النزاهة فنوعان  
احدهما النزاهة عن المطامع الدنية والثاني النزاهة عن مواقف الريبة فلما  
المطامع الدنية فلان الطمع ذل والدناءة لؤم وهما ادفع شيء للمروءة وقد كان  
النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه اللهم انى اعوذ بك من طمع يهدى الى طبع  
وقال بعض الشعراء

\* لا تخضعن لمخلوق على طمع \* فان ذلك نقص منك في الدين \*  
\* واسترزق الله مما في خزائنه \* فانما هو بين الكاف والنون \*  
والباعث على ذلك شيان الشره وقلة الانفة فلا يقنع بما اوتى وان كان كثيرا

لاجل شرهه ولا يستنكف مما منع وان كان حقيرا لقلته انفته وهذه حال من لا يرى لنفسه قدرا ويرى المال اعظم خطرا فيرى بذل اهون الامر من لاجلها معنما وليس لمن كان المال عنده اجل ونفسه عليه اقل اصغاء لتأنيب ولا قبول لتأنيب وروى ان رجلا قال يا رسول الله اوعى قال عليك بالياس مما في ايدى الناس واياك والطمع فانه فقر حاضر واذا صليت صلاة فصل صلاة مودع واياك وما يعتذر منه وقال بعض الشعراء

\* ومن كانت الدنيا مناه وهمه \* سبته المنى واستعبدته المطامع \*

وحسم هذه المطامع شيان اليأس والقنائة وقد روى عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان روح القدس نفث في روعى ان نفسا لا تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله واجلوا في الطلب ولا يحملمنكم ابطاء الرزق على ان تطلبوه بمعاصى الله تعالى فان الله عز وجل لا يدرك ما عنده الا بطاعته فهذا شرط • واما مواقف الريبة فهي التردد بين منزلتى حمد وذم والوقوف بين حالتى سلامة وستم فتوجه اليه لائمة التوهيمين ويناله ذلة المريبين وكفى بصاحبها موقفا ان صح اقتضخ وان لم يصح امتهن وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم دع ما يريك الى ما لا يريك وسئل محمد بن على عن المروءة فقال ان لا تعمل فى السر عملا تستحي منه فى العلانية وقال حسان بن ابى سنان ما وجدت شيئا هو اهون من الورع قيل له وكيف قال اذا ارتبت بشئ تركته والداعى الى هذه الحال شيان الاسترسال وحسن الظن والمناغع منهما شيان الحياء والحذر وربما انتفت الريبة بحسن الثقة وارتفعت التهمة بطول الخبرة وقد حكى عن عيسى بن مريم عليه السلام انه رآه بعض الحواريين وقد خرج من منزل امرأة ذات فجور فقال يا روح الله ما تصنع هنا فقال الطيب انما يداوى المرضى ولكن لا ينبغي ان يجعل ذلك طريقا الى الاسترسال وليكن الحذر عليه اغلب والى الخوف من تصديق التهم اقرب فا كل ريبة ينفيها حسن الثقة هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابعد خلق الله من الريب واصونهم من التهم وقف مع زوجته صفية ذات ليلة على باب مسجد يحادثها وكان معتكفا فر به رجلان من الانصار فلما رأها اسرعا فقال لهما على رسلكما انهما

صفية بنت يحيى فقلا سبحان الله أوفيك شك يا رسول الله فقال له ان الشيطان  
يجرى من احدكم مجرى لحمه ودمه فخشيت ان يقذف في قلبكما سوءا فكيف من  
تخالجت فيه الشكوك وتقابلت فيه الظنون فهل يعرى من في مواقف الريب من  
قادح محقق ولائم مصدق وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا  
لم يشق المرء الاجبا عمل فقد سعد واذا استعمل الحزم وغلب الحذر وترك مواقف  
الريب ومضان التهم ولم يقف موقف الاعتذار ولا عذر لمختار لم يختلج في نزاهته  
شك ولم يقدر في عرضه افك وقد قال الشاعر

\* اصولك ان ادل عليك ذانا \* لان الظن مفتاح اليقين \*  
وقال سهل بن هارون مؤنة المتوقف ايسر من تكلف المعسف وقال بعض الحكماء  
من حسن ظنه بمن لا يخاف الله تعالى فهو مخدوع وانشدني بعض اهل الادب  
لابي بكر الصولي رحمه الله قوله

\* احسنت ظني باهل دهري \* فحسن ظني بهم دهاني \*  
\* لا آمن الناس بعد هذا \* ما الخوف الامن الا مان \*

فهذا شرط استوفينا فيه نوعي النزاهة \* واما الصيانة وهي الثالث من شروط  
المروءة فنوعان احدهما صيانة النفس بالتماس كفايتها وتقدير ماديها والثاني  
صيانتها عن تحمل المن من الناس والاسترسال في الاستعانة واما التماس الكفاية  
وتقدير المادة فلان المحتاج الى الناس كل مهتمهم وذليل مستثقل وهو لما فطر  
عليه محتاج الى ما يستمه ليقوم اود نفسه ويدفع ضرورة وقته وقد قالت العرب  
في امثالها كلب جوال خير من اسد رابض وما يستمه نوعان لازم وندب فاما  
اللازم فما اقام بالكفاية وافضى الى سد الخلة وعليه في طلبه ثلاثة شروط  
\* احدها \* استنابته من الوجوه المباحة وتوقي المحظورة فان المواد المحرمة  
مستحبة الاصول محوقة المحصول ان صرفها في بر لم يؤجر وان صرفها في مدح  
لم يشكر ثم هو لاوزارها محتب وعليها معاقب وقد قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم لا يعجبك رجل كسب مالا من غير حله فان انفته لم يقبل منه وان  
امسكه في وزاده الى النار وقال بعض الحكماء شر المال ما لم يملك اثم مكسبه  
وحزمت اجر انفاقه ونظر بعض الخوارج الى رجل من اصحاب السلطان

يتصدق على مسكين فقال انظر اليهم حسنااتهم من سيئاتهم وقال علي بن الجهم  
 \* سر من عاش ماله فاذا حيا \* سبه الله سره الاعدام \*  
 \* والثاني \* طلبه من احسن جهاته التي لا يلحتمه فيها غض ولا يتدنس له بها  
 عرض فان المال يراد لصيانة الاعراض لا لابتذالها ولعن النفوس لا لاذلالها  
 وقال عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه يا حبيذا المال اسون به عرضى وارضى  
 به ربي وقال ابو بشر الضرب

\* كفى حزنا انى ارواح واغتمدى \* ومالى من مال اسون به عرضى \*  
 \* واكثر ما اتى الصديق بمحبا \* وذلك لا يكفى الصديق ولا يرضى \*  
 وسئل ابن عائشة عن قول النبي صلى الله عليه وسلم اطلبوا الخواص من حسان  
 الوجوه فقال معناه من احسن الوجوه التي تحل \* والثالث \* ان يتأني في  
 تقدير مادته وتدبير كفايته بما لا يلحتمه خلل ولا يناله زلل فان يسير المال مع حسن  
 التقدير و اصابة التدبير اجدى نفعا واحسن موقعا من كثيره مع سوء التدبير  
 وفساد التقدير كالبذر فى الارض اذا روى يسيره زكا وان اهمل كثيره اضمحل  
 وقال محمد بن علي رضى الله عنه الكمال فى ثلاثة العفة فى الدين والصبر على  
 النوائب وحسن التدبير فى المعيشة وقيل لبعض الحكماء فلان غنى فقال لا اعرف  
 ذلك ما لم اعرف تدبيره فى ماله فاذا استكمل هذه الشروط فيما يستمده من قدر  
 الكفاية فقد ادى حق المروءة فى نفسه وسئل الاحنف بن قيس عن المروءة فقال  
 العفة والحرفة وقال بعض الحكماء لابنه يا بنى لا تكن على احد كلافك تزداد  
 ذلا واضرب فى الارض عودا وبدءا ولا تأسف لمال كان فذهب ولا تجزع عن  
 الطلب لو صب ولا نصب فهذا حال اللازم وقد كان ذوا الهمم العلية والنفوس  
 الالية يرون ما وصل الى الانسان كسبا افضل مما وصل اليه ارثا لانه فى الارث  
 فى جدهى غيره وبالكسب مجد الى غيره وفرق ما بينهما فى الفضل ظاهر وقال  
 كشاجم

- \* لا استلذ العيش لم ادأب له \* طلبا وسعيا فى الهواجر والغلس \*
- \* وارى حراما ان يواتسنى الغنى \* حتى يحاول بالغناء ويلتمس \*
- \* فاصرف نوالك عن اخيك موفرا \* فالليث ليس يسبغ الا ما افترس \*

واما النذب فهو ما فضل عن الكفاية وزاد على قدر الحاجة فان الامر فيه معتبر بحال طالبه فان كان ممن تقاعد عن مراتب الرؤساء وتقاصر عن مطاولة النظراء وانقبض عن منافسة الاكفاء فحسبه ما كفاه فليس في الزيادة الا شره ولا في الفضول الا نهم وكلاهما مذموم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الدنيا كل على العاقل وقال عبد الله بن مسعود المستغنى عن الدنيا بالدنيا كعطى النار بالبن وقال بعض الحكماء اشتر ماء وجهك بالتمساعه وتسئل عن الدنيا لتجافيهها عن الكرام فان كان ممن يعلو الهمم وتحركت فيه اريحية الكرم وآثر ان يكون رأسا ومقدما وان يرى في النفوس معظما ومفجعا فالكفاية لا تقله حتى يكون ماله فاضلا ونائله فائضا فقد قيل لبعض العرب ما المروءة فيكم قال طعام ما كور ونائل مبذول وبشر مقبول وقد قال الاحنف بن قيس

- \* فلو مد سروى بمال كثير لجدت وكنت له باذلا \*
- \* فان المروءة لا تستطعا \* ع اذا لم يكن مالها فاضلا \*
- واما صياتهما عن تحمل المن والاسترسال في الاستعانة فلائز المنة استرقاق الاحرار تحدث ذلة في الممنون عليه وسطوة في المان به والاسترسال في الاستعانة تدبيل ومن ثقل على الناس هان ولا قدر عندهم لمهان وقال رجل لعمر رضى الله عنه خدمك بنوك فقال اغثناني الله عنهم وقال علي بن ابي طالب رضى الله عنه لابنه الحسن في وصيته له يا بني ان استطعت ان لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرا فان اليسير من الله تعالى اكرم واعظم من الكثير من غيره وان كان كل منه كثيرا وقال زياد لبعض الدهاقين ما المروءة فيكم قال اجتناب الريب فانه لا ينبل مرئيا واصلاح الرجل ماله فانه من مروءته وقيامه بحوائجه وحوائج اهله فانه لا ينبل من احتياج الى اهله ولا من احتياج اهله الى غيره وانشد ثعلب
- \* من عف خف على الصديق لقأوه \* واخو الحوائج وجهه مملول \*
- \* واخوك من وفرت ما في كيسه \* فاذا عبثت به فانت ثقيل \*



وان كان الناس لحة لا يستغنون عن التعاون ولا يستقلون عن المساعدة والمظافر  
فانما ذلك تعاون ائتلاف يتكافؤن فيه ولا يتفاضلون وربما كان المستعين فيه  
مفضلا والمعين مستفصلا لاستعانة السلطان بجنده والمزارع باكرته فليس من هذا  
بد ولا لاحد عنه غنى وانما الذي يتصون عنه الكرام تعاون التفضيل فيتقبضون  
عن ان يستعينوا لئلا يكون عليهم يد ويسارعون ان يعينوا لان يكون لهم يد ومن  
اقدم من غير اضطرار على الاستعانة بجاه او بمال فقد اوهى مروءته واستبدل  
صيانته ومن دعاه الاضطرار لثائب الم او حادث هجم الى الاستعانة بمن يتنفس  
به من خناق كربه ويتخلص به من وثاق نوابئه فلا لوم على مضطر فان اغتمه  
الاستعانة بالجاه عن الاستعانة بالمال فلا عذر له في التعرض للمال ويعدل الى  
ولاة الامور فان الحوائج عندهم انجح وهي عليهم اسهل وهم لذلك مندوبون  
فهم لا يجدون لهم مسا وليصبرن على ابطانهم فان تراكم الامور عليهم يشغلهم  
الا عن الملح الصبور ولذلك قيل قدم لحاجتك بعض لحاجتك وقال ابو سارة  
سحيم بن الاعرف

- \* تعد قرابة وتعد صهرا \* ويسعد بالقرابة من رعاها \*
- \* وما زرنالك من عدم وليكن \* يهش الى الامارة من رجاها \*
- \* واياما فعلت فان نفسى \* تعد صلاح نفسك من غناها \*

فان تعذر عليه صلاح حاله الابدال يستعين به على نوابئه كان له مع الضرورة  
فسحة لكن ان وجده قرضا مردودا لم يأخذه صلة وجودا فان القرض مستسمح  
به في المروءات هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما اعلى الله من قدره وفضله  
على خلقه قد اقترض ثم قضى فاحسن وقال صلى الله عليه وسلم من اعياه رزق  
الله تعالى -للا فليستدن على الله وعلى رسوله وقال صلى الله عليه وسلم المستدين  
تاجر الله في ارضه وقال البخترى

- \* ان لم يكن ككفر فعل عطية \* يبلغ بها باغى الرضا بعض الرضا \*
- \* او لم يكن هبة فقرض سيرت \* اسبابه وكواهب من اقرضا \*

ولئن كان الدين رقا فهو اسمهل من رق الافضال وقد روى عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه انه قال من اراد البقاء ولا بقاء فليباكر الغداء وليخفف الرداء قيل وما في خفة الرداء من البقاء قال قلة الدين فان اعوزه ذلك الا استسماحا فهو الرق المذل ولذلك قيل لامروءة لمقل رقال بعض الحكماء من قبل صلته فقد باعك مروءته واذل لقدرك عزه وجلالته والذي يتماسك به الباقي من مروءة الراغبين واليسير التافه من صيانة السائلين وان لم يبق لذى رغبة مروءة ولا لسائل تصون اربعة امور هي جهد المضطر ﴿ احدها ﴾ ان يتجافى ضرع السائلين وابهة المستقلين فيذل بالضرع ويحرد بالابهة وليكن من التجميل على ما يقتضيه حال مثله من ذوى الحاجات وقد قيل لبعض الحكماء متى يفحش زوال التعم قال اذا زال معها التجميل وانشد بعض اهل الادب لعلي بن الجهم

- \* هى النفس ما حملتها تحمّل \* وللدهر ايام تجوز وتعدل \*
- \* وعاقبة الصبر الجميل جميلة \* واحسن اخلاق الرجال التفضل \*
- \* ولا عار ان زالت عن الحر نعمة \* ولكن عارا ان يزول التجميل \*

﴿ والثاني ﴾ ان يقتصر فى السؤال على ما دعته اليه الضرورة وقادته اليه الحاجة ولا يجعل ذلك ذريعة الى الاغتمام فيحرم باغتنامه ولا يعذر فى ضرورته وقد قال بعض الحكماء من الف المسألة الف، المنع ﴿ والثالث ﴾ ان يعذر فى المنع ويشكر على الاجابة فانه ان منع فعما لا يملك وان اجيب فالى ما لا يستحق فقد قال النمر بن توبل

- \* لا تغضبني على امرئ في ماله \* وعلى كرائم صلب مالك فاغضب \*

﴿ والرابع ﴾ ان يعتمد على سؤال من كان للمسألة اهلا و كان النجج عنده مأمولا فان ذوى المكنته كثير والمعين منهم قليل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم الخير كثير وقليل فاعله والمرجو للاجابة من تكاملت فيه خصالها وهى ثلاث ﴿ احدها ﴾ كرم الطبع فان الكرم مساعد والليم معاند وقد قيل المخذول من كانت له الى اللثام حاجة ﴿ والثانية ﴾ سلامة الصدر فان العدو الب على نكبتك وحرب فى نأبتك وقد قيل من اوغرت صدره استدعت

شره فان رق لك بكرم طبعه ورحمك بحسن ظفره فاعظم بها محنة ان يصير عدوك لك راجا وقد قال الشاعر

\* وحسبك من حادث بامرئ \* ترى حاسديه له راجينا \*

❖ والثالث ❖ ظهور المكنة فان من سأل ما لا يمكن فقد احال وكان كاستنهض السججون ومستعف المديون وكان بالرد خليقا وبالحرمان حقيقا وقد قال علي كرم الله وجهه من لا يعرف لا حتى يقال له لا فهو احق ووصى عبد الله بن الاهتم ابنه فقال يا بني لا تطلب الحوائج من غير اهلها ولا تطلبها في غير حينها ولا تطلب ما لست له مستحقا فانك ان فعلت ذلك كنت حقيقا بالحرمان وقال الشاعر

\* ولا تسألن امرءا حاجة \* يحاول من ربه مثلها \*

\* فيترك ما كنت حملته \* ويبدأ بمحاجته قبلها \*

فهذا ما يختص بشروط المروءة في نفسه واما شروط المروءة في غيره فتلاثة الموازرة والمياسرة والافضال اما ❖ الموازرة ❖ فنوعان احدهما الاسعاف بالجاه والثاني الاسعاف في النوائب فاما الاسعاف بالجاه فقد يكون من الاعلى قدرا والانفذ امرأ وهو ارخص المكارم ثمنا والظف الصنائع موقعا وربما كان اعظم من المال نفعا وهو الظل الذي يبلأ اليه المضطرون والحمى الذي يأوى اليه الخائفون فان اوطأه اتسع بكثرة الانصار والشيع وان قبضه انقطع بنفور الغاشمية والتبع فهو بالبدل ينمي ويزيد بالكف يتقص ويبد فلا عذر لمن منح جاهها ان ينخر به فيكون اسوأ حالا من البخيل بماله الذي قد يعده لنوائبه ويستبقه للذته ويكثره لذريته وبضد ذلك من يخل بجاهه لانه قد اضاعه بالشمع وبدده بالبخل وحرم نفسه غنمية مكنته وفرصة قدرته فلم يعقبه الاندما على فانت واسفا على ضائع ومقتا يستحكم في النفوس وذما قد ينتشر في الناس وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الخلق كلهم عيال الله واحب خلق الله تعالى اليه احسنهم صنيعا الى عياله وقال بعض الحكماء اصنع الخير عند امكانه يبق لك حجه عند زواله واحسن والدولة لك يحسن لك والدولة عليك واجعل زمان رخائك عدة زمان بلائك وقال بعض البلغاء من علامة الاقبال اصطناع

الرجال وقال بعض الادباء بذل الجاه احد الحبايين وقال ابن الاعرابي العرب تقول من امل شيئاً هابه ومن جهل شيئاً عابه وبذل الجاه قد يكون من كرم النفس وشكر النعمة وضده من ضده وليس بذل الجاه لالتماس الجزاء بذلا مشكورا وانما هو بائع جاهه ومعاوض على نعم الله تعالى والآله فكان بالذم احق وانشد بعض الادباء لعلي بن عباس الرومي رحمه الله

\* لا يبذل العرف حين يبذله \* ككشترى الحمد او كعتاضه \*  
\* بل يفعل العرف حين يفعله \* لجوهر العرف لا لاعراضه \*

وعلى من اسعد بجاهه ثلاثة حقوق يستكثر بها الشكر ويستمد بها الزيد من الاجر \* احدها \* ان يستسهل المعونة مسرورا ولا يستثقلها كارها فيكون ينعم الله تعالى متبرما ولا حسانه متسخطا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من عظمت نعمة الله تعالى عليه عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل تلك المؤنة عرض تلك النعمة للزوال \* والثاني \* بجانب الاستطالة وترك الامتنان فانهما من لؤم الطبع وضيق الصدر وفيهما هدم الصنيع واحباط الشكر وقد قيل للحكيم اليوناني من اضيق الناس طريقا واقلمهم صديقا قال من عاشر الناس بعبوس وجهه واستطال عليهم بنفسه \* والثالث \* ان لا يقرن بمشكور سعيه تقريبا بذنب ولا توبيحنا على هفوة فلا يني مضض التوبيح بادراك النجح ويصير الشكر وجدا والحمد عيبا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اقبلوا ذوى الهيئات عثراتهم وقال النابغة الجعدي

\* ألم تعلم ان الملامة نفعها \* قليل اذا ما الشيء ولى فادبرا \*  
واما الاسعاف في النوائب فلان الايام غادرة والنوازل غائرة والحوادث عارضة والنوائب راکضة فلا يعذر فيها الاعليم ولا يستغفنه منها الا سليم وقد قال عدى بن حاتم

\* كفى زاجرا للمرء ايام دهره \* تروح له بالواعظات وتفتدى \*  
فاذا وجد الكرم مصابا بمحوادث دهره حشه الكرم وشكر النعم على الاسعاف فيها بما استطاع سبيلا اليه ووجد قدرة عليه روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خير من الخير معطيه وشر من الشر فاعله وقيل لبعض الحكماء هل شيء

خير من الذهب والفضة قال معطيها والاسعاف في النوائب نوعان واجب وتبرع  
فاما الواجب فما اختص بثلاثة اصناف وهم الاهل والاخوان والجيران اما  
الاهل فللمساة الرحم وتعاطف النسب وقد قيل لم يسد من احتاج اهله الى غيره  
وقال حسان بن ثابت

\* وان امرءا نال المنى ثم لم ينل \* قريبا ولا اذا حاجة لزهيد \*  
\* وان امرءا عاذى الرجال على الغنى \* ولم يسأل الله الغنى لحسود \*  
واما الاخوان فلمستحکم الود ومتأسد العهد سئل الاحنف بن قيس عن  
المروءة فقال صدق اللسان ومواساة الاخوان وذكر الله تعالى في كل مكان وقال  
بعض حكماء الفرس صفة الصديق ان يبذل لك ماله عند الحاجة ونفسه عند  
النكبة ويحفظك عند المغيب ورأى بعض الحكماء رجلين يصطحبان لا يفترقان  
فسأل عنهما فقيل هما صديقان فقال ما بال احدهما فقير والآخر غنى  
واما الجار فلدنو داره واتصال مزاره قال على كرم الله وجهه ليس حسن  
الجوار كف الاذى بل الصبر على الاذى وقال بعض الحكماء من اجار جاره  
اجار الله واجاره وقال بعض البلغاء من احسن الى جاره فقد دل على حسن نجاره  
وقال بعض الشعراء

\* وللبحار حق فاحترز من اذائه \* وما خير جار لا يزال مؤاذيا \*  
فيجب في حقوق المروءة وشروط الكرم في هؤلاء الثلاثة تحمل ائصالهم  
واسعافهم في نوابيهم ولا فسحة لذى مروءة مع ظهور المكنته ان يكلهم الى غيره  
او يلجئهم الى سؤاله وليكن سائل كرم نفسه عنهم فانهم عيال كرمه واصياف  
مروءته فكما انه لا يحسن ان يلجئ عياله واصيافه الى الطلب والرغبة فهكذا  
من عاله كرمه واصيافه مروءته وقال بعض الشعراء

\* حق على السيد المرجو نائله \* والمستجار به في العرب والعجم \*  
\* ان لا ينيل الاقاصى صوب راحته \* حتى يخص به الاذى من الخدم \*  
\* ان الفرات اذا جاشت غواربه \* روى السواحل ثم امتد في الامم \*  
واما التبرع فبين عدا هؤلاء الثلاثة من البعداء الذين لا يدلون بنسب ولا  
يتعلمون بسبب فان تبرع بفضل الكرم وفائض المروءة فتهض في حوادثهم وتكفل

بنوابهم فقد زاد على شروط المروءة وتجاوزها الى شروط الرأسة وقيل لبعض الحكماء اى شئ من افعال الناس يشبه افعال الاله قال الاحسان الى الناس وان كلف تشاغلا بما لزم فلا لوم ما لم يلجأ اليه مضطر لان القيام بالكل معوز والتكفل بالجميع متعذر فهذا حكم الموازنة ❖ واما ❖ المياسرة ❖ فنوعان احدهما العفو عن الهفوات والثانى المسامحة فى الحقوق فاما العفو عن الهفوات فلانه لا مبرأ من سهو وزلل ولا سليم من نقص او خلل ومن رام سليما من هفوة والتمس بريئا من نبوة فقد تعدى على الدهر بشططه وخادع نفسه بغاظه وكان من وجود بعينه بعيدا وصار باقتراحه فردا وحيدا وقد قالت الحكماء لا صديق لمن اراد صديقا لا عيب فيه وقيل لانوشروان هل من احد لا عيب فيه قال من لا موت له واذا كان الدهر لا يوجد ما طلب ولا ينيله ما احب وكان الوحيد فى الناس مرفوضا قصيا والمنقطع عنهم وحشيا لزمه مساعدة زمانه فى القضاء ومياسرة اخوانه فى الصفح والاغضاء روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تعالى امرنى بمدارة الناس كما امرنى بآداء الفرائض وقال بعض الادباء ثلاث خصال لا تجتمع الا فى كريم حسن المحضر واحتمال الزلة وقلة الملل وقال ابن الرومى

\* فعذرک مبسوط لذنب مقدم \* وودك مقبول باهل ومرحب \*  
 \* ولو بلغتني عنك اذنى اقمته \* لدى مقام الكاشح المتكذب \*  
 \* فلست بتليب اللسان مصارما \* خليلا اذا ما القلب لم يتقلب \*  
 واذا كان الاغضاء حتما والصفح كرها ترتب بحسب الهفوة وتنزل بقدر الذنب والهفوات نوعان صغائر وكبائر فالصغائر مغفورة والنفوس بها معذرة لان الناس مع اطوارهم المختلفة واخلاقهم المتفاضلة لا يسلمون منها فكان الوجد فيها مطرحا والعتب مستقبحا وقد قال بعض العلماء من هجر اخاه من غير ذنب كان كمن زرع زراعا ثم حصده فى غير اوانه وقال ابو العتاهية  
 \* وشرا الاخلاء من لم يزل \* يعاتب طورا وطورا يدم \*  
 \* يريك النصيحة عند اللقا \* ويبريك فى السر برى التلم \*

واما الكبائر فنوعان ان يهفو بها خاطيا ويزل بها ساهيا فالخرج فيها مرفوع

والعقب عنها موضوع لان هفوة الخاطر هدر ولومه هذر وقال بعض الحكماء لا تقطع احاك الا بعد عجز الحيلة عن استصلاحه وقال الاحنف بن قيس حق الصديق ان تحمل له ثلاثا ظلم الغضب وظلم الدالة وظلم الهفوة وحكى ابن عون ان غلاما هاشميا عربد على قوم فاراد عمه ان يسى به فقال يا عم انى قد اسأت وليس معى عقلى فلا تسى بى ومعك عقلك وقال ابو نواس

\* لم او اخذك اذ جنيت لاني \* واثق منك بالانحاء الصحيح \*  
\* بجميل العدو غير جميل \* وقبيح الصديق غير قبيح \*

فان تشبه خطاؤه بالعمد وسهوه بالقصد تثبت ولم يه بالتوهم فيكون ملوما ولذلك قيل التثبت نصف العفو وقال بعض الحكماء لا يفسدك الظن على صديق اصلحك اليقين له وقال بعض شعراء هذيل

\* فبعض الامر تصلحه ببعض \* فان الغث يحمله السمين \*  
\* ولا تجمل بظنك قبل خبر \* فعند الخبر تنقطع الظنون \*  
\* ترى بين الرجال العين فضلا \* وفيما اضمروا الفضل المبين \*  
\* كلون الماء مشبهها وليست \* تخبر عن مذاقته العيون \*

والثانى ان يعتمدا اجترم من كباؤه ويقصد ما اجترح من سيئاته ولا يخلو فيما اتاه من اربع احوال ❖ فالحال الاولى ❖ ان يكون متورا قد قابل على وترته وكاداً على مسائه فاللائمة على من وتره عائدة الى البسائى بها راجعة لان المكافئ اعذر وان كان الصفيح اجمل ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والمشاركة فانها تمت الغيرة وتحبي الغرة وقال بعض الحكماء من فعل ما شاء لقي ما لم يشأ وقال بعض الادباء من نالته اساءتك همة مساءتك وقال بعض البلغاء من اولع بقبح المعاملة اوجع بهج المقابلة وقال صالح بن عبد القدوس

\* اذا وترت امرءا فاحذر عداوته \* من يزرع الشوك لا يحصده عنباً \*  
\* ان العدو وان ابدى مسالمة \* اذا رأى منك يوماً فرصة وثباً \*  
والاغضاء عن هذا اوجب وان لم تكن المكافأة ذنباً لانه قد رأى عقبي اساءته فان واصل الشر واصلته المكافأة وقد قيل باعتبارك الشر يعتبرك وبمحسن

النصفة تكون المواصلون وقال بعض الحكماء من كنت سببا لبلائه وجب عليك التلطف له في علاجه من دأه وقد قال اوس بن حجر

\* اذا كنت لم تعرض عن الجهل والحنأ \* اصبت حليما او اصابك جاهل \*  
والحال الثانية ان يكون عدوا قد استحكمت شحناؤه واستوعرت شراؤه  
واستخسنت ضراؤه فهو يتربص بدوائر السوء انتهاز فرصه ويتجرع بمهانة  
العجز مرارة غصصه فاذا ظفر بنائبة ساعدها واذا شاهد نعمة عاندها  
فالبعد منه حذرا اسلم والكف عنه متاركة اغنم فانه لا يسلم من عواقب شره ولا  
يفلت من غوائل مكره وقد قالت الحكماء لا تعرضن لعدوك في دولته فاذا زالت  
كفيت شره وقال لقمان لابنه يا بني كذب من قال ان الشر بالشر يطفأ فان كان  
صادقا فليوقد نارين ولينظر هل تطفى احداهما الاخرى وانما يطفى الخير الشر  
كما يطفى الماء النار وقال جعفر بن محمد كفاك من الله نصرا ان ترى عدوك  
يعصى الله فيك وقال بعض الحكماء بالسيرة العادلة يقهر المعادي وقال  
البحرئى

\* واقسم لا اجزيك بالشر مثله \* كفى بالذى جازيتنى لك جازيا \*  
\* والحال الثالثة \* ان يكون للئيم الطبع خبيث الاعل قد اغراه لؤم الطبع على  
سوء الاعتقاد وبعثه خيبة الاصل على اتيان الفساد فهو لا يستقبح الشر ولا  
يكف عن المكره فهذه الحالة اطم لان الاضرار بها اعم ولا سلامة من مثله الا  
بالبعد والانتقاض ولا خلاص منه الا بالصفح والاعراض فانه كالسبع الضارى  
في سوارح الغنم وكالنار المتأججة في يابس الحطب لا يقربها الا تالف ولا يدنو منها  
الا هالك روى مكحول عن ابي امامة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه  
وسلم انه قال الناس كشجرة ذات جنى ويوشك ان يعودوا كشجرة ذاك شوك ان  
ناقدتهم ناقدوك وان هربت منهم طلبوك وان تركتهم لم يتركوك قيل يا رسول  
الله وكيف المخرج قال أقرضهم من عرضك ليوم فاتك وقال عبد الله بن العباس  
العافل الكرمي صديق كل احد الا من ضره والجاهل اللئيم عدو كل احد الا من  
نفعه وقال شر ما فى الكرم ان يمنك خيره وخير ما فى اللئيم ان يكف عنك  
شره وقال بعض البلغاء اعداؤك داؤك وفى البعد عنهم شفاؤك وقال بعض البلغاء



شرف الكريم تغافلته عن اللئيم ووصى بعض الحكماء ابنه فقال يا بني اذا سلم الناس منك فلا عليك ان لا تسلم منه فانه قل ما اجتمعت هاتان النعمتان وقال عبد المسيح بن نفيثة

\* الخير والشر مقرونان في قرن \* فالخير مستتبع والشر محذور \*  
 \* والحال الرابعة \* ان يكون صديقا قد استحدث نبوة وتغيرا او اخا قد استجد جفوة وتكرا فابدى صفحة عقوقه واطرح لازم حقوقه وعدل عن بر الاخاء الى جفوة الاعداء فهذا قد يعرض في المودات المستقيمة كما تعرض الامراض في الاجسام السليمة فان عولجت اقلعت وان اهتمت اسقمت ثم اتلفت ولذلك قالت الحكماء دواء المودة كثرة التعاهد وقال كشاجم

\* اقل ذا الود عثرته وقفه \* على سنن الطريق المستقيمة \*  
 \* وتسرع بجمعبية اليه \* فقد يهفو وينتهه سليمة \*  
 ومن الناس من يرى ان متاركة الاخوان اذا نفرؤا اصلح واطراحهم اذا فسدوا اولى كاعضاء الجسد اذا فسدت كان قطعها اسلم فان شح بها سرت الى نفسه وكالثوب اذا خلق كان اطراحه بالجديده اجل وقد قال بعض الحكماء رغبتك فيمن يزهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك صغر همة وقد قال بزرجهر من تغير عليك في مودته فدعه حيث كان قبل معرفته وقال نصر بن احمد الخبز ارزى

\* صل من دنى وتناس من بعدا \* لا تكرهن على الهوى احدا \*  
 \* قد اكثرت حواء اذ ولدت \* فاذا جفا واد فخذ ولسدا \*  
 فهذا مذهب من قل وفاؤه وضعف اخاؤه وساءت طرائقه وضائق خلائقه ولم يكن فيه فضل الاحتمال ولا صبر على الادلال فقابل على الجفوة وعاقب على الهفوة واطرح سالف الحقوق وقابل العقوق بالعقوق فلا بالفضل اخذ ولا الى العفو اخلد وقد علم ان نفسه قد تطغى عليه فترديه وان جسمه قد يسقم عليه فيؤلمه ويؤذيه وهما اخص به واحنى عليه من صديق قد تميز بذاته وانفصل بادواته فيريد من غيره لنفسه ما لا يجده من نفسه لنفسه هذا عين المحال ومحض الجهل مع ان من لم يحتمل بقى فردا وانقلب الصديق فصار عدوا وعداوة من

كان صديقا اعظم من عداوة من لم يزل عدوا ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم اوصاني ربي بسبع الاخلاص في السر والعلانية وان اعفو عن ظلمي واعطى من حرمي واصل من قطعني وان يكون حتى فكرا ونطقي ذكرا ونظري عبرة وقال لقمان لابنه يا بني لا تترك صديقك الاول فلا يطعن اليك الثاني يا بني اتخذ الف صديق والالف قليل ولا تتخذ عدوا واحدا والواحد كثير وقيل للمهلب بن ابي صفرة ما تقول في العفو والعقوبة قال هما بمنزلة الجود والبخل فتمسك بايهما شئت وانشد ثعلب

\* اذا انت لم تستقبل الامر لم تجد \* بكفك في ادياره متعلما \*  
 \* اذا انت لم تترك اخاك وزلة \* اذا زلها او شكمتا ان تفرقا \*  
 فاذا كان الامر على ما وصفت فن حتموق الصفيح الكشف عن سبب الهفوة ليعرف الداء فيعالجه فان لم يعرف الداء لم يقف على الدواء كما قد قال المتنبي  
 \* فان الجرح ينفر بعد حين \* اذا كان البناء على فساد \*  
 واذا كان ذلك كذلك فلا يخلو حال السبب من ان يكون لملل او زلل فان كان لملل ففودات الملول ظل الغمام وحلم النيام وقد قيل في مشور الحكم لا تأمن للملول وان تحلى بالصلة وعلاجه ان يترك على ملله فيمل الجفاء كما مل الاخاء وان كان لزلل لوحظت اسبابه فان كان لها مدخل في التأويل وشبهة تؤول الى جميل حمله على اجل تأويله وصرفه الى احسن جهة كالذي حكى عن خالد بن صفوان انه مر به صديقان له فعرج عليه احدهما وطواه الاخر فتميل له في ذلك فقال نعم عرج علينا هذا بفضلته وطوانا ذاك بثقته بنا وانشد بعض اهل الادب لمحمد ابن داود الاصفهاني

\* وتزعم للواشين اني فاسد \* عليك وانى لست فيما عهدتني \*  
 \* وما فسدت لي يعلم الله نية \* عليك ولكن خبتني فانهممتني \*  
 \* غدرت بعهدى عامدا وأخفتني \* فخفت ولو آمنتني لاؤمتني \*  
 وان لم يكن لزلله في التأويل مدخل نظر حاله بعد زلله فان ظهر ندمه وبان خجله فالندم توبة والخجل انابة ولا ذنب لتائب ولا لوم على متيب ولا يكلف عذرا عما سلف فيلجأ الى ذل التحريف او خجل التعنيف ولذلك قال النبي صلى

الله عليه وسلم اياكم والمعاذر فان اكثرها مفاجر وقال على رضى الله عنه  
 كفى بما يعتذر منه ترحمة وقال مسلم بن قتيبة لرجل اعتذر اليه لا يدعونك امر  
 قد تخلصت منه الى الدخول في امر لعلك لا تخلص منه وقال بعض الحكماء  
 شفيح المذنب اقراره و توبته اعتذاره وقال بعض البلغاء من لم يقبل التوبة  
 عظمت خطيئته ومن لم يحسن الى التائب فحقت اساءته وقال بعض الحكماء  
 الكرم اوسع المغفرة اذا ضاقت بالمذنب المعذرة وقال بعض الشعراء

\* العذر يلجته التحريف والكذب \* وليس في غير ما يرضيك لى ارب \*  
 \* وقد اسأت فبالنعمى التى سلفت \* الا مننت بعفو ما له سبب \*  
 وان عجل العذر قبل توبته وقدم التصل قبل انابته فالعذر توبه والتوصل  
 انابه فلا يكشف عن باطن عذره ولا يعنف بظاهر غدره فيكون لئيم الظفر سيء  
 المكافأ وقد قيل من غلبته الحدة فلا تغتر بمودته وقال بعض الحكماء شافع  
 المذنب خضوعه الى عذره وقال بعض الشعراء

\* اقبل معاذير من يأتيك معذرا \* ان بر عندك فيما قال او فجزا \*  
 \* فقد اطاعك من يرضيك ظاهره \* وقد اجلك من يعصيك مستترا \*

وان ترك نفسه في زلله ولم يتدارك بعذره وتصله ولا يحاه توبته وانابه راعيت  
 حاله في التاركة فستجده لا ينك فيها من امور ثلاثة \* احدها \* ان يكون قد  
 كف عن سيء عمله واقلمع عن سالف زلله فالكف احدى التوبتين والاقلاع  
 احد العذرين فكن انت المعتذر عنه بصفيحك والمتصل له بفضلك فقد قال عمر  
 ابن الخطاب رضى الله عنه الحسن على المسمى امير \* والثانى \* ان يكون  
 قد وقف على ما اسلف من زلله غير تارك ولا متجاوز فوقوف المرض احد  
 البرئين وكفه عن الزيادة احدى الحسنتين وقد استبق بالوقوف عن المتجاوز  
 احد شطريه فعول به على صلاح شطره الآخر واياك وارجاءه فان الارجاء  
 يفسد شطر صلاحه والتلافى يصلح شطر فساده فان من سقم من جسمه ما لم  
 يعالجه سرى السقم الى صحته وان عاجل سرت المحة الى سقمه \* والثالث \*  
 ان يتجاوز مع الاوقات فيريد فيه على مرور الايام فهذا هو الداء العضال  
 فان امكن استدراكه وتأتى استصلاحه وذلك باستزاله عنه ان علا وبارزاه

ان دنا وبعثابه ان ساوى والا فآخر الداء العياء الحكى ومن بلغت به الاعذار الى غايتها فلا لأئمة عليه والمقيم على شتاقه باغ مصروع وقد قيل من سل سيف البغي اغمده في رأسه فهذا شرط • واما المسامحة في الحقوق فلائن الاستيفاء موحش والاستقصاء منفر ومن اراد كل حقه من النفوس المستصعبة بشح او طمع لم يصل اليه الا بالنافرة والمشاقة ولم يقدر عليه الا بالخاشنة والمشاحة لما استقر في الطباع من مقت من شاقها ونافرها وبغض من شاحها ونازعها كما استقر حب من ياسرها وسامحها فكان أليق لامور المروءة استلطاف النفوس بالمياسرة والمسامحة وتألفها بالمقاربة والمساهلة قال بعض الحكماء من عشر اخوانه بالمسامحة دامت له موداتهم وقال بعض الادياء اذا اخذت عفو القلوب زكا ربيعك وان استقصيت اكديت والمسامحة نوعان في عقود وحقوق فاما العقود فهو ان يكون فيها سهل المناجزة قليل المحاجزة مأمون الغيبة بعيدا من المكر والخديعة روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال أجعلوا في طلب الدنيا فان كلا ميسر لما كتب له منها وقال صلى الله عليه وسلم الا ادلكم على شئ يحببه الله تعالى ورسوله قالوا بلى يا رسول الله قال التغابن للضعيف وحكى ابن عون ان عمر بن عبيد الله اشترى للحسن البصرى ازارا بستة دراهم ونصف فأعطى التاجر سبعة دراهم فقال ثمنه ستة دراهم ونصف فتعال انى اشتريته لرجل لا يقاسم اخاء درهما • ومن الناس من يرى ان المساهلة في العقود عجز وان الاستقصاء فيها حزم حتى انه لينافس في الحخير وان جاد بالليل الكثير كالذى حكى عن عبد الله بن جعفر وقد ماكس في درهم وهو يجود بما يجود به فقيل له في ذلك فقال ذلك مالى اجوده وهذا عقلى بضلت به وهذا انما ينسأغ من اهل المروءة في دفع ما يخادعهم به الادياء ويغابنهم به الاشحاء وهكذا كانت حال عبد الله بن جعفر فاما مماسكة الاستئزال والاستسماح فكلا لانه منافى للكرم ومباين للمروءة • واما الحقوق فتتنوع المسامحة فيها نوعين احدهما في الاحوال والثانى في الاموال فاما المسامحة في الاحوال فهو اطراح المنازعة في الرتب وترك المنافسة في التقدم فان مشاحة النفوس فيها اعظم والعناد عليها اكثر فان سامح فيها ولم ينافس كان مع

اخذ به افضل الاخلاق واستعماله لاحسن الآداب اوقع في النفوس من افضاله  
 برغائب الاموال ثم هو ازيد في رتبته وابلغ في تقدمه وان شاح فيها ونازع  
 كان مع ارتكابه لاختن الاخلاق واستعماله لاهجن الآداب انكى في النفوس  
 من حد السيف وطعن السنان ثم هو اخفض للترتبة وامنع من التقدم ❖ حكي  
 ان فتى من بني هاشم تخطى رقاب الناس عند ابن ابي داود فقال يا بني ان  
 الآداب ميراث الاشراف ولست ارى عندك من سلفك ارثا ❖ واما المسامحة  
 في الاموال فتنوع ثلاثة انواع مسامحة اسقاط لعدم ومسامحة تخفيف لعجز  
 ومسامحة انكار لعسرة وهي مع اختلاف اسبابها تفضل مأثور وتألّف مشكور  
 واذا كان الكريم قد يجود بما تحويه يده وينفذ فيه تصرفه كان اولى ان  
 يجود بما خرج عن يده فطاب نفسا بفراقه وقد تصل المسامحة في الحقوق  
 الى من لا يقبل البر ويأبى الصلّة فيكون احسن موقعا وازكى محلا وربما كانت  
 المسامحة فيها آمن من رد السائل ومنع المجتدى لان السائل كما اجترأ على سؤالك  
 فسيجترأ على سؤال غيرك ان رددته وليس كل من صار اسير حقه ورهين  
 دينك يجذب بدا من مسامحتك ومياسرتك ثم لك مع ذلك حسن الثناء وجزيل الاجر  
 وقال محمود الوراق رحمه الله

\* المرء بعد الموت احدثه \* يفنى وتبقى منه آثاره \*  
 \* فاحسن الحالات حال امرئ \* تطيب بعد الموت اخباره \*  
 فهذه حال المياسرة واما ❖ الافضال ❖ فنوعان افضال اصطناع وافضال  
 استكفاف ودفاع فاما افضال الاصطناع فنوعان احدهما ما اسداه جودا في  
 شكور والثاني ما تألف به نبوة نفور وكلاهما من شروط المروءة لما فيهما  
 من ظهور الاصطناع وتكأثر الاشياء والاتباع ومن قلت صنائعه في الشاكرين  
 واعرض عن تألف النافرين كان فردا مهجورا وتابعا محتمورا ولا مروءة لمتروك  
 مطرح ولا قدر لمحتور مهتضم وقال عمر بن عبد العزيز ما طاوعني الناس على  
 شيء اردته من الحق حتى بسطت لهم طرفا من الدنيا وقال بعض الحكماء اقل  
 ما يجب للمنعم بحق نعمته ان لا يتوصل بها الى معصيته وانشدت لبعض الاعراب  
 \* من جمع المال ولم يجده به \* وترك المال لعام جده \*

\* هان على الناس هوان كابه \*

❖ وقال اسحق بن ابراهيم الموصلي ❖

\* يبقى الثناء وتذهب الاموال \* واصل دهر دولة ورجال \*  
 \* ما نال محمدا الرجال وشكرهم \* الا الجواد بماله المفضل \*  
 \* لا ترض من رجل حلوة قوله \* حتى يصدق ما يقول فعال \*  
 فان ضاقت به الحال عنى الاصطناع بماله فقد عدم من آله المكارم عمادها وفقد  
 من شروط المروءة سنادها فليواس بنفسه مواساة المساعف وليسعد بها اسعاد  
 المتألف قال المتنبي

\* فليسعد النطق ان لم تسعد الحال \*

وان كان لا يراها وان اجهدها الاتباعا للمفضلين قليلة بين المكثرين فان  
 الناس لا يساوون بين المعطي والمانع ولا يقنعهم القول دون الفعل ولا يغنيهم  
 الكلام عن المال ويرونه كالصدي ان رد صوتا لم يجد نفعا كما قال  
 الشاعر

\* يوجد بالوعد ولا كنه \* يدهن من قارورة فارغه \*

فكل ما خرج عندهم عن المال كان فارغا وكل ما عدا الافضال به كان هينا  
 وقد قدمنا من القول في شروط الافضال ما اقنع \* واما افضال الاستكفاف  
 فلان ذا الفضل لا يعدم حاسد نعمة ومعاند فضيلة يعتره الجهل باظهار عناده  
 ويبغضه اللؤم على البذى بسفهه فان غفل عن استكفاف السفهاء واعرض عن  
 استدفاع اهل البذاء صار عرضه هدفا للمثاب وحاله عرضة للنواب واذ  
 استكف السفهاء واستدفع البذى صان عرضه وحى نعمته وقد روى عن النبي  
 صلى الله عليه وسلم انه قال ما وقى به المرء عرضه فهو صدقة وقالت عائشة  
 رضى الله عنها ذبوا باهواكم عن احسابكم وامتح رجل الزهري فاعطاه  
 قميصه فقال له رجل اتعطي على كلام الشيطان فقال من ابتغى الخير اتقى  
 الشر ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم من اراد بر الوالدين فليعط الشعراء  
 وهذا صحيح لان الشعر سائر يستر به ما ضمن من مدح او هجاء ومن اجل ذلك  
 قيل لا تواخ شاعرا فانه يمدحك بئس ويهجوك مجانا \* ولا استكفاف

السفهاء بالافضال شرطان احدهما ان يخفيه حتى لا ينتشر فيه مطامع  
السفهاء فيتوصلون الى اجتذابه بسبه والى ماله بثلبه والثاني ان يتطلب له في  
المجاملة وجهها ويحمله في الافضال عليه سبباً لانه لا يرى انه على السفه واستدامة  
البذاء • واعلم انك ما حيت ملحوظ المحاسن محفوظ المساوى ثم من بعد ذلك  
حديث منتشر لا يراقبك صديق ولا يحاسي عنك شقيق فكن احسن حديث  
ينشر يكن سعيتك في الناس مشكورا واجرك عند الله مذخورا فتدروى زياد  
ابن الجراح عن عمر بن ميمون انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اغتتم خمسا  
قل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل  
شغلك وحياتك قبل موتك فهذا ما اقتضاه هذا الفصل من شروط المروءة  
وان كان كل كتابنا هذا من شروطها وما اتصل بحقوقها والله سبحانه وتعالى  
اعلم ❖ الفصل الثامن في آداب مشورة ❖ اعلم ان الآداب مع اختلافها بنقل  
الاحوال وتغير العادات لا يمكن استيعابها ولا يقدر على حصرها وانما يذكر كل  
انسان ما يذنه الوسع من آداب زمانه واستحسن بالعرف من عادات دهره ولو  
امكن ذلك لكان الاول قد اغنى الثاني عنها والمتقدم قد كفى المتأخر تكلفها  
وانما حظ الاخير ان يتعاني حفظ الشارح وجمع المفرق ثم يعرض ما تقدم على  
حكم زمانه وعادات وقته فيثبت ما كان موافقا وينفي ما كان مخالفا ثم يستمد خاطره  
في استنباط زيادة واستخراج فائدة فان اسعف بشئ فاز بدركه وحظى بفضيلته  
ثم يعبر عن ذلك كله بما كان مألوفاً من كلام الوقت وعرف اهله فان لاهل كل  
وقت في الكلام عادة تؤلف وعبارة تعرف ليكون اوقع في النفوس واسبق الى  
الافهام ثم يرتب ذلك على اوائله ومقدماته ويثبته على اصوله وقواعده حسبما  
يقضيه الجنس فان لكل نوع من العلوم طريقة هي اوضح مسلكا واسهل  
مأخذا • فهذه خمسة شروط هي حظ الاخير فيما يعاينه وكذلك القول في كل  
تصنيف مستحدث ولولا ذلك لكان تعاطى ما تقدم به الاول عناء ضائعا وتكلفا  
مستهجنا ورجو الله ان يمدنا بالتوفيق لتأدية هذه الشروط وتنهضنا المعونة  
بتوفيق هذه الحقوق حتى نسلم من ذم التكلف ونبرأ من عيوب التقصير وان  
كان اليسير مغفورا والخطاى معذورا فقد قيل من صنف كتابا فقد استهدف

فان احسن فقد استعطف وان اساء فقد استتذف وقد مضت ابواب تضمنت  
فصولا رأيت اتباعها بمالم احب الاخلال به فن ذلك حال الانسان في مأكله  
ومشربه فان الداعي الى ذلك شيان حاجة ماسة وشهوة باعثة فاما الحاجة فتدعو  
الى ماسد الجوع وسكن الظمأ وهذا مندوب اليه عقلا وشرعا لما فيه من حفظ  
النفس وحراسة الجسد ولذلك ورد الشرع بالنهي عن الوصال بين صوم  
اليومين لانه يضعف الجسد ويميت النفس ويجز عن العبادة وكل ذلك  
يمنع منه الشرع ويدفع عنه العقل وليس لمن منع نفسه قدر الحاجة حظ من بر  
ولا نصيب من زهد لان ما حرمها من فعل الطاعات بالعجز والضعف اكثر  
ثوابا واعظم اجرا اذ ليس في ترك المباح ثواب يقابل فعل الطاعات واتيان القرب  
ومن اخسر نفسه رجحا موفورا او احرمها اجرا مذخورا كان زهده في  
الخير اقوى من رغبته ولم يبق عليه من هذا التكليف الا الشهوة بريأه وسمعته  
واما الشهوة فتتويع نوعين شهوة في الاكثار والزيادة وشهوة في تناول  
الالوان الملذذة فاما النوع الاول وهو شهوة الزيادة على قدر الحاجة والاكثار على  
مقدار الكفاية فهو ممنوع منه في العقل والشرع لان تناول ما زاد على  
الكفاية نهم معرّ وشره مضر وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اقل  
اياكم والبطنة فانها مفسدة للدين مورثة للسمع مكسلة عن العبادة وقال على رضى  
الله عنه ان كنت بطنا فعد نفسك زمنا وقال بعض البلغاء اقلل طعاما تحمد مناما  
وقال بعض الادباء الرعب لؤم والنهم شؤم وقال بعض الحكماء اكبر الدواء تقدير  
الغذاء وقال بعض الشعراء

\* فكم من لقمة منعت اخاها \* بلدة ساعة اكلات دهر \*

\* وكم من طالس يسعى لامر \* وفيه هلاك لو كان يدري \*

﴿ وقال آخر ﴾

\* كم دخلت اكلة حشا شره \* فاخرجت روحه من الجسد \*

\* لا بارك الله في الطعام اذا \* كان هلاك النفوس في المعد \*

ورب اكلة هاضت آكل واحرمته مآكل روى ابو يزيد المدني عن عبد الرحمن  
ابن المرقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يخلق وعاء مليء



شرا من بطن فان كان لابد فاعلا فاجعلوا ثلثا للطعام وثلثا للشراب وثلثا للريح ♦ واما النوع الثاني وهو شهوة الاشياء المذة ومنازعة النفوس الى طلب الانواع الشهية فذهاب الناس في تمكين النفس فيهما مختلفة فمنهم من يرى ان صرف النفس عنها اول وقهرها عن اتباع شهواتها اخرى لئلا له قيادها ويهون عليه عنادها لان تمكينها وما تهوى بطر يطغى واشر يردى لان شهواتها غير متناهية فاذا اعطاها المراد من شهوات وقتها تعدتها الى شهوات قد استحدثتها فيصير الانسان اسير شهوات لا تقضى وعبد هوى لا ينتهي ومن كان بهذه الحال لم يرج له صلاح ولم يوجد فيه فضل وانشدت لابي الفتح البستي

\* يا خادم الجسم كم تشقى بخدته \* لتطلب الريح مما فيه خسران \*  
 \* اقبل على النفس واستكمل فضائلها \* فانت بالنفس لا بالجسم انسان \*  
 وللحذر من هذه الحال ما حكى ان ابا حزم رحمه الله كان يمر على الفاكهة فيشتهيها فيقول موعذك الجنة وقال آخر تمكين النفس من لذاتها اولى واعطاؤها ما اشتهدت من المباحات اخرى لما فيه من ارتياح النفس بنيل شهواتها ونشاطها بادراك لذاتها فتخسر عنها ذلة المقهور وبلادة المجهور ولا تقصر عن درك ولا تعصى في نهضة ولا تكل عن استعانة وقال آخرون بل توسط الامرين اولى لان في اعطائها كل شهواتها بلادة والنفس البليدة عاجزة وفي منعها عن البعض كف لها عن السلاطة وفي تمكينها من البعض حسم لها عن البلادة وهذا لعمرى اشبه المذاهب بالسلام لان التوسط في الامور اجد وان قد مضى الكلام في المأكول والمشروب فينبغي ان يتبع بذكر الملبوس ♦ اعلم ان الحاجة وان كانت في المأكول والمشروب ادعى فهي الى الملبوس ماسة وبها اليه فاقدة لما في الملبوس من حفظ الجسد ودفع الاذى وستر العورة وحصول الزينة قال الله تعالى يا بني ادم قد انزلنا عليك لباسا يوارى سواتكهم وريشا ولباس النقوى ذلك خير فعنى قوله انزلنا عليكم لباسا اى خلطنا لكم ما تلبسون من الثياب يوارى سواتكهم اى يستر عوراتكم وسميت العورة سوءة لانه يسوء صاحبها انكشافها من جسده وقوله وريشا فيه اربعة تأويلات احدها انه المال وهو

قول مجاهد والثاني انه اللباس والعيش والنعم وهو قول ابن عباس رضى الله  
 عنهما والثالث انه المعاش وهو قول معبد الجهني والرابع انه الجمال وهو قول  
 عبد الرحمن بن زيد ♦ وقوله ولباس التقوى فيه ستة تأويلات احدها ان لباس  
 التقوى هو الايمان وهو قول قتادة والسدى والثاني انه العمل الصالح وهو قول  
 ابن عباس رضى الله عنهما والثالث انه السمى الحسن وهو قول عثمان بن عفان  
 رضى الله عنه والرابع هو خشية الله تعالى وهو قول عروة بن الزبير والخامس  
 انه الحياء وهذا قول معبد الجهني والسادس هو ستر العورة وهذا قول عبد  
 الرحمن بن زيد ♦ وقوله ذلك خير فيه تأويلان احدهما ان ذلك راجع الى  
 جميع ما تقدم من قوله قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سواكم وريشا ولباس  
 التقوى ثم قال ذلك خير اى ذلك الذى ذكرته خير كله والثاني ان ذلك راجع الى  
 لباس التقوى ومعنى الكلام وان لباس التقوى خير من الرياش واللباس وهذا  
 قول قتادة والسدى فلما وصف الله تعالى حال اللباس واخرجه مخرج الامتنان  
 علم انه معونة منه لشدة الحاجة اليه واذا كان كذلك ففي اللباس ثلاثة اشياء  
 احدها دفع الاذى والثاني ستر العورة والثالث الجمال والزينة فاما دفع الاذى  
 به فواجب بالعقل لان العقل يوجب دفع المضار واجتلاب المنافع وقد قال الله  
 تعالى والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل  
 لكم سراويل تقيكم الحر وسراويل تقيكم بأسكم فاخبر بحالها ولم يأمر بها اكتفاء  
 بما يقتضيه العقل واستغناء بما يعث عليه الطبع ويعنى بالظلال الشجر وبالاكنان  
 جمع كن وهو الموضع الذى يستكن فيه ويعنى بقوله سراويل تقيكم الحر ثياب  
 القطن والكتان والصوف وبقوله وسراويل تقيكم بأسكم الدروع التى تقي البأس  
 وهو الحرب فان قيل كيف قال تقيهم الحر ولم يذكر البرد وقال جعل لكم من الجبال  
 اكنانا ولم يذكر السهل فعن ذلك جوابان ♦ احدهما ♦ ان القوم كانوا اصحاب  
 جبال وخيام فذكر لهم الجبال وكانوا اصحاب حر دون برد فذكر لهم نعمة عليهم  
 فيما هو مختص بهم وهذا قول عطاء ♦ والجواب الثانى ♦ انه اكتفاء بذكر  
 احدهما عن ذكر الآخر ان كان معلوما ان السراويل التى تقي الحر ايضا تقي  
 البرد ومن اتخذ من الجبال اكنانا اتخذ من السهل وهذا قول الجمهور واما ستر

العورة فقد اختلف الناس فيه هل وجب بالعقل او بالشرع فقالت طائفة وجب سترها بالعقل لما في ظهورها من التبع وما كان قيمها فالعقل مانع منه ألا ترى ان آدم وحواء لما أكلا من الشجرة التي نهيا عنها بدت لهما سواتهما وطقما يخصفان عليهما من ورق الجنة تزييهما لعقولهما في ستر ما رأياه مستقبحا من سواتهما لانهما لم يكونا قد كلفا ستر ما لم يبد لهما ولا كلفاه بعد ان بدت لهما وقيل سترها وقالت طائفة اخرى بل ستر العورة واجب بالشرع لانه بعض الجسد الذي لا يوجب العقل ستر باقيه وانما اخصت العورة بحكم شرعي فوجب ان يكون ما يلزم من سترها حكما شرعيا وقد كانت قريش واكثر العرب مع ما كانوا عليه من وفور العقل وصحة الالباب يطوفون بالبيت عراة ويمرّون على نفوسهم اللحم والودك ويرون ذلك ابلغ في القربة وانما القرب ما استحسنت في العقل حتى انزل الله تعالى يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين يعني بقوله خذوا زينتكم الثياب التي تستر عورتكم وكلوا واشربوا ما حرّمتموه على انفسكم من اللحم والودك وفي قوله تعالى ولا تسرفوا تأويلان احدهما لا تسرفوا في التحريم وهذا قول السدي والثاني لا تأكلوا حراما فانه اسراف وهذا قول ابن زيد فوجب بهذه الآية ستر العورة بعد ان لم يكن العقل موجبا له فدل ذلك على ان سترها وجب بالشرع دون العقل واما الجمال والزينة فهو مستحسن بالعرف والعادة من غير ان يوجب عقل او شرع وفي هذا النوع قد يقع التجاوز والتقصير والتوسط المطلوب فيه معتبر من وجهين احدهما في صفة الملبوس وكيفيته والثاني في جنسه وقيمه فاما صفته فمعتبرة بالعرف من وجهين احدهما عرف البلاد فان لاهل المشرق زيا مألوفا ولاهل المغرب زيا مألوفا وكذلك لما بينهما من البلاد المختلفة عادات في اللباس مختلفة والثاني عرف الاجناس فان للاجناس زيا مألوفا وللتجار زيا مألوفا وكذلك لمن سواهما من الاجناس المختلفة عادات في اللباس وانما اختلفت عادات الناس في اللباس من هذين الوجهين ليكون اختلافهم سمة يميزون بها وعلامة لا يخفون معها فان عدل احد عن عرف بلده وجنسه كان ذلك منه خرقا وحكما ولذلك قيل العري الفادح خير من الزي الفاضح واما جنس الملبوس وقيمه فمعتبر من وجهين

احدهما بالمكنة من اليسار والاعسار فان للموسر في الزى قدرا وللمعسر دونه  
والثاني بالمنزلة والحال فان لذي المنزلة الرفيعة في الزى قدرا وللمتخفص عنه  
دونه ليتفاضل فيه على حسب تفاضل احوالهم فيصيروا به متميزين فان عدل  
الموسر الى زى المعسر كان شحما وبخلا وان عدل الرفيع الى زى الدني كان  
مهانة وذلا وان عدل المعسر الى زى الموسر كان تبيذرا وسرفا وان عدل الدني  
الى زى الرفيع كان جهلا وتخلفا ولزوم العرف المعهود واعتبار الحد  
المقصود ادل على العل وامنع من الذم ولذلك قال عمر بن الخطاب رضى الله  
عنه اياكم لبستين لبسة مشهورة ولبسة محقورة وقال بعض الحكماء البس من الثياب  
ما لا يزيدريك فيه العظماء ولا يعيبوه عليك الحكماء وقال بعض الشعراء

\* ان العيون رمتك اذ فاجأتها \* وعليك من شهر الثياب لباس \*

\* اما الطعام فكل لنفسك ما تشاء \* واجعل لباسك ما اشتهاه الناس \*

واعلم ان المروءة ان يكون الانسان معتدل الحال في مراعاة لباسه من غير اكثار  
ولا اطراح فان اطراح مراعاتها وترك تفقدها مهانة وذل وكثرة مراعاتها  
وصرف الهمة الى العناية لها دناءة ونقص وربما توهم بعض من خلا من فضل  
وعرى عن تمييز ان ذلك هو المروءة الكاملة والسيرة الفاضلة لما يرى من تميزه  
بذلك عن الاكثرين وخروجه عن جملة العوام المسترذلين وخفي عليه انه اذا  
تعدى طوره وتجاوز قدره كان اقبح لذكره وابعث على ذمه فكان كما قال المتنبي

\* لا تعجبن مضيا حسن بزته \* وهل يروق دفيننا جودة الكفن \*

وحكى المبرد ان رجلا من قريش كان اذا اتسع لبس اُرت ثيابه واذا ضاق لبس  
احسنها فقيل له في ذلك فقال اذا اتسعت تزينت بالحدود واذا ضقت فبالهيئة  
وقد اتى ابن الرومي بابلغ من هذا المعنى في شعره فقال

\* وما الحلبي الا زينة لتقيصة \* يتمم من حسن اذا الحسن فصرا \*

\* فاما اذا كان الجمال موفرا \* لحسنك لم يحتج الى ان يزورا \*

ولذلك قالت الحكماء ليست العزة في حسن البرة وقال بعض الشعراء

\* وترى سفية القوم يدنس عرضه \* سفها ويسخ نعله وشراكها \*

واذا اشد كلفه بمراعاة لباسه قطعه ذلك عن مراعاة نفسه وصار الملبوس

عنده انفس وهو على مراعاته احرص وقد قيل في منشور الحكيم البس من الثياب ما يخدمك ولا يستخدمك وقال خالد بن صفوان لاياس بن معاوية اراك لا تبالي ما لبست فقال البس ثوبا اقب به نفسي احب الى من ثوب اقبه بنفسى فكما انه لا يكون شديد الكلف بها فكذلك لا يكون شديد الاطراح لها فقد حكى عن ابن عائشة ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فنظر اليه رث الهيئة فقال ما مالك قال من كل المال قد اتاني الله فقال ان الله تعالى يحب اذا انعم على امرئ نعمة ان ينظر الى اثرها عليه وقد قيل المروءة الظاهرة في الثياب الطاهرة وهكذا القول في علمانه وحشمه ان اشتد كلفه بهم صار عليهم قيما ولهم خادما وان اطرحهم قل رشادهم وظهر فسادهم فصاروا سببا لمقتته وطريقا الى ذمه لكن يكفهم عن سيئ الاخلاق وبأخذهم باحسن الآداب ليكونوا كما قال فيهم الشاعر

\* سهل الفناء اذا مررت ببابه \* طلق اليدين مؤدب الخدام \*

وليكن في تفتد احوالهم على ما يحفظ تجمله ويصون مبتذله فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ادهنوا يذهب البؤس عنكم والبسوا تظهر نعمة الله عليكم واحسنوا الى ممالئكم فانه اكتب لعدوكم وليتوسط فيهم ما بين حالي اللين والخشونة فانه ان لان هان عليهم وان خشن مقو، وكان على خطر منهم حكى ان المؤيد سمع ضحك الخدام في مجلس انوشروان فقال أما تمتع هؤلاء الغلمان فقال انوشروان انما بهم يهابنا اعداؤنا وقال ابو تمام الطائي

\* حشم الصديق عيوبهم بجائه \* لصديقه عن صدقه ونفاقه \*  
\* فلينظرن المرء من علمائه \* فهم خلائفه على اخلاقه \*

واعلم ان للنفس حالتين حالة استراحة ان حرمتها اياها كلت وحالة تصرف ان أرحتها فيها تخلت فالاولى بالانسان تقدير حاله حال نومه ودعته وحال تصرفه ويقظته فان لهما قدرا محدودا وزمانا مخصوصا يضر بالنفس مجاوزة احدهما وتغير زمانهما فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال نومة الصبيحة معجزة منفخة مكسلة مورمة مقشلة مناسبة للحاجة وقال عبد الله بن عباس رضى

الله عنهما النوم ثلاثة نوم خرق وهي الصبحة ونوم خلق وهي القائلة ونوم  
 حق وهو العشي وقد روى محمد بن يزدان عن ميمون بن مهران عن ابن عباس  
 قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نوم الضحى خرق والتيلولة خلق ونوم  
 العشي حق وقيل في منشور الحكم من لزم الرقاد عدم المراد فاذا اعطى النفس  
 حقها من النوم والدعة واستوفى حقه بالتصرف والانتظة خلص بالاستراحة من  
 مجزها وكلالها وسلم بالرياضة من بلادتها وفسادها وحكى ان عبدالله بن عمر بن  
 عبد العزيز دخل على ابيه فوجده نائما فقال يا ابة انام والناس بالباب فقال يا بني  
 نفسى مطيق واكره ان اتبعها فتقوم بى وينبغى ان يقسم حالة تصرفه ويقظته  
 على المهم من حاجاته فان حاجة الانسان لازمة والزمان يقصر عن استيعاب  
 المهم فكيف به ان تجاوز الى ما ليس بهمهم هل يكون الا

\* كبتاركة بيضها بالعرء \* وملبسة بيض اخرى جناحا \*

ثم عليه ان يتصفح في ليله ما صدر من افعال نهاره فان الليل اخطر للخاطر واجمع  
 للفكر فان كان محمودا امضاه واتبعه بما شاكله وضاعاه وان كان مذموما  
 استدركه ان امكن وانتهى عن مثله في المستقبل فانه اذا فعل ذلك وجد افعاله  
 لا تفك من اربعة احوال اما ان يكون قد اصاب فيهما الغرض المقصود بها  
 او يكون قد اخطأ فيهما فوضعها في غير موضعها او يكون قصر فيها  
 فنقصت عن حدودها او يكون قد زاد فيها حتى تجاوزت حدودها وهذا  
 التصفح انما هو استظهار بعد تقديم الفكر قبل الفعل ليعلم به مواقع الاصابة  
 وينتهز به استدراك الخطأ وقد قيل من كثر اعتباره قل عثاره وكما يتصفح  
 احوال نفسه فكذا يجب ان يتصفح احوال غيره فربما كان استدراكه الصواب  
 منها اسهل بسلامة النفس من شبهة الهوى وخلو الخاطر من حسن الظن فان  
 ظفر بصواب وجده من غيره او اعجبه جميل من فعله زين نفسه بالعمل به فان  
 السعيد من تصفح افعال غيره فاقبدي باحسنها وانتهى عن سيئها وقد  
 روى زيد بن خالد الجهني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السعيد من  
 وعظ بغيره وقال الشاعر

\* ان السعيد له من غيره عظة \* وفي التجارب تحكيم ومعتبر \*

وانشدني بعض اهل العلم لطاهر بن الحسين

\* اذا عجبك خصال امرئ \* فكفه يكن منك ما يحبك \*

\* فليس على الجمد والمكرما \* ت اذا جئتها حاجب يحجبك \*

فاما ما يرومه من اعماله ويؤثر الاقدام عليه من مطالبه فيجب ان يقدم الفكر فيه قبل دخوله فان كان الرجاء فيه اغلب من الاياس منه، وجدت العافية فيه سلكه من اسهل مطالبه، والطف جهاته وبقدر شرفه يكون الاقدام وان كان الاياس اغلب عليه من الرجاء مع شدة التفرير ودناءة الامر المطلوب فلينحذر ان يكون له معرضا فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا هممت بامر ففكر في عاقبه فان رشدا فأمضه وان كان غيا فاته عنه وقالت الحكماء طلب ما لا يدرك عجز وقال بعض الشعراء

\* فإياك والامر الذي ان توسعت \* موارد ضاقت عليك المصادر \*

\* فما حسن ان يعذر المرء نفسه \* وليس له من سائر الناس عاذر \*

وليعلم ان لكل حين من ايام عمره خلقا وفي كل وقت من اوقات دهره عملا فان تخلق في كبره باخلاق الصغر وتعاطى افعال الفكاهة والبطر استصغره من هو اصغر وحقره من هو اقل واحقر وكان كالمثل المضروب بقول الشاعر

\* وكل باز يسهه هرم \* تخرا على رأسه العصافير \*

فكن ايها العاقل مقبلا على شانك راضيا عن زمانك سلما لاهل دهره جاريا على عادة عصره منقادا لمن قدمه الناس عليك متحننا على من قدمك الناس عليه ولا تباينهم بالعزلة عنهم فيمتوك ولا تجاهرهم بالخالفه لهم فيعادوك فانه لا عيش احموت ولا راحة لمعادى وانشد بعض اهل الادب لبعضهم

\* اذا اجتمع الناس في واحد \* وخالفهم في الرضا واحد \*

\* فقد دل اجاعهم دونه \* على عقله انه فاسد \*

واجعل نصح نفسك غنمة عقلك ولا تدهنها باخفاء عيبك واطهار عذرك فيصير عدوك احظى منك في زجر نفسه بانكارك ومجارتك من نفسك التي هي اخص بك لاغرائك لها باعدارك ومساءتك فحسبك سوءا رجل ينفع عدوه ويضر نفسه

وقد قال بعض الحكماء اصلح نفسك لنفسك يكن الناس تبعالك وقال بعض  
البلغاء من اصلح نفسه ارغم انفس اعاديه ومن اعلم جده بلغ كنهه امانيه وقال  
بعض الادباء من عرف معابه فلا يل من عابه وانشدني ابو ثابت النخوي لبعض  
الشعراء

\* ومصروفة عيناه عن عيب نفسه \* ولو بان عيب من اخيه لا يبصرا \*  
\* ولو كان ذا الانسان ينصف نفسه \* لا تمسك عن عيب الصديق وقصرا \*

فهذب ايها الانسان نفسك بافكار عيوبك وانفعها كمنفعك

لعدوك فان من لم يكن له من نفسه واعظ لم تنفعه

المواعظ اعانتنا الله واياك على القول

بالعمل وعلى النصيح بالقبول

وحسبنا الله

وكفى

م م

م





الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه اما بعد فان كتاب  
 ادب الدنيا والدين للامام الكبير \* العلامة الشهير \* الغنى بشهرته عن  
 الاطناب في المدح \* الواضح متن فضائله فلا يحتاج لطول الشرح \* مولانا  
 ابي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصرى كتاب اشتمل من نتائج العقل \*  
 ومعارج الفضل \* واسرار الشرع \* ومحاسن الطبع \* ما لا يستغنى عنه  
 طالب دنيا ولا طالب اخرى \* ويستحق به مؤلفه من كل من اطلع عليه  
 حمدا وشكرا \* من آيات بينات \* واحاديث محكمة \* ونصائح عقلاء \*  
 ولطائف انباء \* وبدائع بغاء \* ونكت شعراء \* وحكم حكماء \* اتفق  
 على حسنها ذوقوا الالباب \* ولم يجتمع مثلها قبله ولا بعده في كتاب \* وقد  
 كان مع جلالة قدره وشهرة مؤلفه نادرا جدا \* لا يكاد طالبه يظفر به  
 ولو سمع بما سمع عدا ونقدا \* حتى يسر الله طبعه هذه المرة في  
 مطبعة الجوائب البهية \* في القسطنطينية المحمية \* مصححا بالدقة  
 والتزوي من الفقيه يوسف النبهاني على نسختين صحيحتين \*

واضيف الى الصححة حسن الطبع ففاز بالحسين \* وقد

تم طبعه \* وسيعم ان شاء الله نفعه \* في غرة

شهر شعبان المبارك من شهر سنة ١٢٩٩

من هجرة سيد الرسل الكرام \*

عليه وعلى آله واصحابه

افضل الصلاة

والسلام

م م

م

\*\*

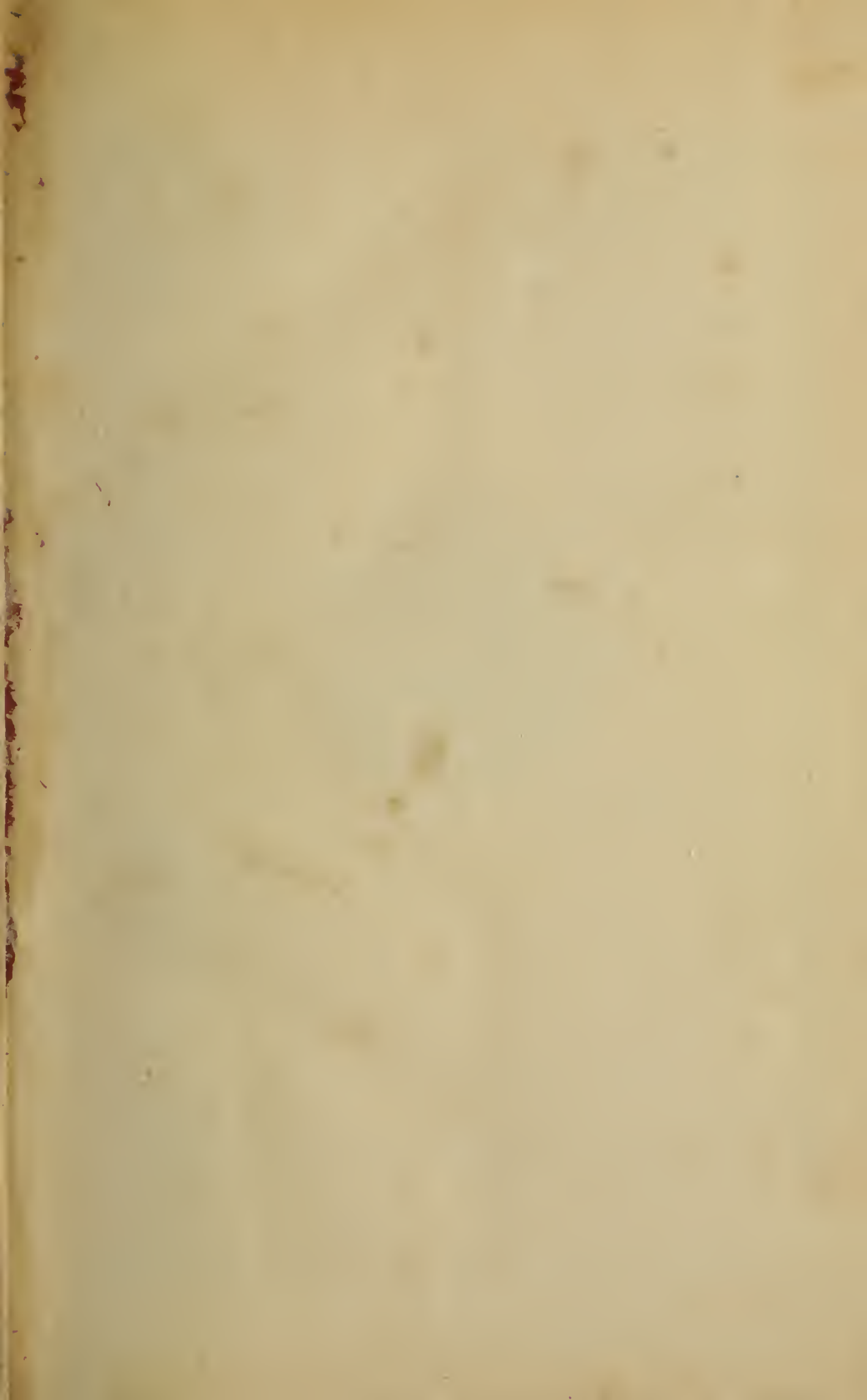
❖ فهرسة كتاب ادب الدنيا والدين ❖

	صفحة
باب فضل العقل و ذم الهوى	٠٣
باب ادب العلم	١٨
باب ادب الدين	٦٠
باب ادب الدنيا	٩٤
باب ادب النفس	١٧٧

❖ طبعت برخصة نظارة المعارف الجليلية ❖

❖ معارف نظارت جليله سنك رخصتیه طبع قلمشدر ❖

























# تأليف

العلامة \* الجبر الفهامة \* الامام الكبير \* المحقق \*  
شهير \* افاضى القضاة ابى الحسن على بن محمد بن

حبيب البصرى الماوردى

رحمه الله تعالى

الطبعة الاولى

فى مطبعة الجوائب

قسنطينية

سنة

١٢٩٩

UNIVERSITY OF TORONTO



3 1761 00575332 2